

جامعة الخرطوم  
كلية الآداب  
قسم التاريخ

منطقة القضاة - القلايات في عهد المهدي  
دراسة في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدي

١٨٨١-١٨٩٩

اعداد

محمد سعيد القدال

رسالة لدرجة الماجستير

١٩٢٠



١٨٨١ م - ١٨٨٥ م • ويمكن ان ننظر الى تاريخ

هذه المنطقة حسب التسلسل الزمني للاحداث ، ويمكن معالجتها من زاوية

السياسة الداخلية والخارجية التي سارت عليها الحركة المهدية • وقد اخذت

بالتقسيم الزمني والموضوعي معا ، فقسمت الرسالة الى ستة فصول الخمسة

الفصول الاوائل تمثل خمسة مراحل تاريخية مرتبة زمنيا ، ثم قسمت كل فصول منها

الى قسمين قسم عن السياسة الداخلية وقسم عن السياسة الخارجية • اما الفصل

السادس فعبارة عن خلاصة للدراسة وما توصلت له من نتائج •

يشمل الفصل الاول فترة المهدى (١٨٨١-١٨٨٥) ويمكن ان نعتبر هذه

الفترة فترة الثورة المهدية تميزا لها عن فترة الخليفة التي يمكن اعتبارها فترة

بناء الدولة المهدية • ولذلك فهذا الفصل هو اساسا دراسة لانعقاد الحكم

التركي - المصري في تلك المنطقة وانتصار الثورة المهدية فيها • ويعالج هذا الفصل

كذلك بعض الجوانب المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية في عهد المهدى والنسقى

هي في مجموعها جزء من الاجراءات التي اتخذها المهدي بالنسبة لبقية انحاء البلاد . على ان في دراستنا لهذه الجوانب ماؤكد المنحى العام للسياسة الداخلية والخارجية التي اتبعها المهدي .

اما الفصل الثاني فهو دراسة للفترة الاولى من عهد الخليفة وهي الفترة التي كان فيها محمد ولد ارباب ويونس الدكيم عاملين على منطقة الغضارف - القلايات (١٨٨٥-١٨٨٨) وقد اعتبرت عهد هذين العاملين المرحلة الاولى من عهد الخليفة . اما في السياسة الداخلية فتتمثل هذه المرحلة البداية الاولى لتكوين دولة المهديية ومما صاحب تلك البداية من مشاكل وصعوبات وصراعات . وفي السياسة الخارجية تمثل هذه المرحلة تصاعد الصراع مع الحبشة حتى وصل مرحلة المواجهة الا ان الحرب نفسها لم تنشب الا في المرحلة التالية . وقسمت هذا الفصل الى جزئين رئيسيين جزء عن محمد ولد ارباب والآخر عن يونس الدكيم ، وعالجت في كل جزء منهما السياسة الداخلية والخارجية كل على حدة . وينتهي هذا الفصل بتعيين حمدان اميرا على المنطقة .

وتتعد فترة حمدان هذه الى عامين ( ١٨٨٧-١٨٨٩ )

هي الفصل الثالث . وعلى الرغم من ان هذه الفترة شهدت بعض التحولات في السياسة الداخلية وبرز بعض القضايا الجديدة ، الا ان الصراع مع الحبشة والحروب التي خاضها حمدان ضدها تمثل اهم مظهر من تاريخ هذه الفترة . ولعل عهد حمدان - على قصره - من اخصب العهود في السياسة الخارجية لدولة المهديّة حيث وصلت فيه جيوش المهديّة ابعد مسافة لها خارج حدود السودان .

اما الفصل الرابع فهو دراسة لاربع سنوات من تاريخ الدولة

المهديّة هي فترة الزاكي طعل واحمد علي ( ١٨٨٩-١٨٩٣ ) . وشهدت هذه الفترة تبلور دولة المهديّة واكتمال تكوينها الداخلي كما تعتبر هذه الفترة كذلك قمة انتصار الخليفة في مجال السياسة الخارجية . وظهر في هذه الفترة كذلك خطر خارجي جديد تمثل في ظهور ايطاليا في جهة كسلا . وشهدت السنوات الاخيرة من هذه الفترة بداية النهاية لدولة المهديّة . فالمشاكل

التي كانت تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر اخذت تظهر بشكل واضح واستمرار .

اما الفصل الخامس فهو عبارة عن متابعة للسنوات الاخيرة

من حياة الدولة المهدية ؛ كيف اخذت هذه الدولة توهن داخليا ، وكيف اخذت الدول المحيطة بها تنهش من اوصالها حتى جاء عام ١٨٩٨ ليشهد تلاشيها تماما . وقد ملأ الصراع ضد بريطانيا وايطاليا والحبشة الفراغ الاكبر من هذه افترقة ، وتقلصت القضايا الداخلية حتى لم تعد الا مظاهر للانهايار نلاحظها هنا وهناك .

وحاولت في الفصل الاخير ان اناقش السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية معتمدا على الدراسة التي قدمتها في الفصول الخمسة السابقة . وحاولت ان استبين بعض معالم السياسة الاقتصادية والادارية والقبلية في هذه المنطقة والتطورات التي مرت بها خلال السنوات الصاخبة لدولة المهدية .

شكر وتقدير

انه واجب حبيب الى نفسي ان اشكر كل من ساعدني في

منعطفات هذا البحث . حبيب الى نفسي ان اذكر بالتقدير  
 المعروف الذى طوقنى به لانه كان يتم فى صمت ويحفه احساس  
 عميق بالمسئولية. ولا شك ان البروفسير مكي شبكة اول من يقدم له  
 الشكر بالنسبة لهذا البحث فقد كان لخبراته الطويلة وارشاداته  
 الاساسية دورا هاما فى ان يخرج هذا البحث بشكله هذا . اما  
 الدكتور عباس ابراهيم الذى تحمل مسئولية الاشراف المباشر  
 على هذا العمل بعد سفر البروفسير شبكة فقد فتح لى افاقا  
 جديدة بالمناقشات التى اجارها معى . اما الدكتور محمد ابراهيم  
 ابوسليم واسرة دار الوثائق المركزية فشكرى لهم لا يحد . فمئذ ان  
 كان هذا البحث فكرة تجول فى خاطرى وانا اقتحم بها دار الوثائق ،  
 كان هو ومن معه من موظفين لا ييخلون لى بطلب . ثم كان للمجهود  
 الخاصر الذى قدمه لى الدكتور ابوسليم بعيد الاثر فى مجرى هذا  
 البحث . قالى هؤلاء والى اخرين يعرفون تماما مدى مساعداتهم لى  
 اتقدم بوافر شكرى وتقديرى .

## فهرست الموضوعات

الصفحة

أ - د	..... خلاصة الرسالة
هـ - د	..... شكر وتقدير
د - ز ح	..... مقدمة

الفصل الأول

٣٧-١	..... منطقة القصارف - القلايات في عهد المهدي
(١٨٨٧-١٨٨١) (٩٨ / ٩٩ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ هـ)	

الفصل الثاني

١١٤-٣٨	..... الفترة الاولى من حكم الخليفة
يونيه ١٨٨٥ - يناير ١٨٨٨ (رمضان ١٣٠٢ هـ - ربيع ثاني ١٣٠٥ هـ)	

الفصل الثالث

٢٠٦-١١٥	..... حمدان ابو عنجة في القصارف - القلايات
(١٨٨٧-١٨٨٩) (١٣٠٥-١٣٠٦ هـ)	

الفصل الرابع

٢٧٢-٢٠٧	..... القصارف القلايات بين الزاكي طمل واحمد علي
(١٨٨٩-١٨٩٣) (١٣٠٦-١٣١١ هـ)	

الفصل الخامس

٣١٨-٢٧٣	..... احمد فضيل ونهاية دولة المهدي
(١٨٩٤-١٨٩٩) (١٣١١-١٣٠٦ هـ)	



الفصل السادس

الصفحة

٣٣٢-٣١١

..... دولة المهديّة في منطقة القضايف - القلايات

تلخيص وتقييم

٣٤١-٣٣٣

..... المراجع

الملاحق

ملحق أ - خريطة منطقة القضايف - القلايات

ملحق ب - حصن القلايات

## مقدمه

## ١ - لماذا القوارف - القلابات

لا شك ان ارتباط عائلتي بهذه المنطقة كان من الاسباب التي جعلتني اختارها مجالا لدراستي ، فلزال بعض اهلي وعشيرتي يعيشون في وديانها ويضربون في بطاحها . ولعل المصير الذي لقيته قبيلة الضبانية في عهد الحكم الثنائي وفقدانها لكيانها وذوابعها داخل القبائل الاخرى من العوامل التي اثارت اهتمامي بتاريخ هذه المنطقة . فقد كان جدي يعمل باشكاتباً للضبانية في " التركية السابقة " ، وظل بعض اهلي يرتبطون بهذه القبيلة في عهد الحكم الثنائي . كما اشترك بعضهم في الثورة المهدية في سنواتها الاولى . فجدي بآبكر القدال كان من امراء المهدية في القوارف وقد اشاد به الخليفة في بعض خطابه . كما استشهد ثلاثون من اعمامه في حروب المهدية المختلفة في تلك المنطقة ولعل الاهمال الذي لقيته هذه المنطقة من المؤرخين بالرغم من اهميتها القصوى بالنسبة لدولة المهدية قد دفعني لدراستها اما

اختيار اسم القفار - القلايات لهذه المنطقة فلانه اكثر شعولا  
 من الاسماء الاخرى . فكانت تعرف هذه المنطقة في عهد المهدي  
 باسم القفار حينما والقلايات حينما اخر وسميها بعض المؤرخين  
 بمالة الحدود الحبشية في حين ثالث . ولكن هذه المنطقة بالرغم  
 من اختلاف اسمائها الا انها ظلت طوال فترة المهدي وحدة  
 سياسية قائمة بذاتها . اما منشا هذا الخلاف فراجع الى اختلاف  
 السياسة اذ كان التركيز اولا على السياسة الخارجية ثم تحول الى  
 السياسة الداخلية فانتقل مركز الثقل من القلايات الى القفار تبعاً  
 لذلك . ولذلك فاسم القفار - القلايات يعطى وصفا ادق واشمل .

## ٢ - حول جغرافية منطقة القفار - القلايات

تعتبر منطقة القفار - القلايات وحدة جغرافية قائمة

بذاتها لها خصائصها ومميزاتها الخاصة بها وسميها بعض الجغرافيون  
 مرتفع القفار القلايات . (

وتقع هذه المنطقة بين خطي طول ٣٧ ، ٣٤ شرقا ، وخطي عرض ١٥ و ١٢

(١) ... Harbour, The Republic of The Sudan : ..  
 ... ..  
 1984 ، ...

شمالا • وهذه المنطقة هي جزء من ارض البطانة التي تقع بين النيل  
الازرق ونهر عطبرة وتعتمد حتى الحدود الحبشية ، وتقع منطقة  
انضارف - القلابات في الجزء الجنوبي الشرقي منه • وترتفع هذه  
المنطقة عن بقية ارض البطانة ارتفاعا تدريجيا حتى تصل الى ٦٠٠ قدم فوق  
سطح البحر عند الحدود الحبشية • ويقع مرتفع القضارف - القلابات على  
سطح هذه الهضبة •

وتتراوح الامطار في منطقة القضارف - القلابات بين ٤٠٠ و ٦٠٠ مم  
في العام • والامطار بالنسبة لهذه المنطقة ومناطق السودان المختلفة هي  
" العنصر المناخي الفعال وهو اكثر العوامل المناخية اهمية في السودان وهو  
العامل الاساسي في تحديد السكان " <sup>٢</sup> فالامطار في هذه المنطقة تصلح لزراعة  
الثورة والسمسم والقطن • فمنطقة القضارف تنتج كميات وفيرة من الحبوب فهي  
المصدر الرئيسي له في الماضي والحاضر • وقد بلغت وفرة الانتاج في اواخر العهد

---

٢ فيليب رفلد ، الجغرافية السياسية الافريقية ( القاهرة ، مكتبة الوحي العربي ،  
١٩٦٥ ) ، ص ٢٢٩



ويتحدون بعضها سبيلا للمواصلات ويصنع بعضها الآخر موانع طبيعية تعوق الحركة عند امتلائها .

### ٣ - حول جغرافية الجزء الغربي من الحبشة

تقع الحبشة ( اثيوبيا ) بين خطي طول ٢٣ و ١٨ شرقا وخطي عرض ١ و ١٥ شمالا . وترتفع عن سطح البحر كثيرا حتى يصل ارتفاع بعض مناطقها ١٥ ألف قدما . ويتخلل الهضبة الحبشية الهائلة وديان عميقة يصل عمق بعضها ميلا واتساعه ميلان . ويتخلل هذه الهضبة أنهار عديدة ولكنها غير صالحة للزراعة لاندفاعها الشديد . وتكون هذه الوديان والأنهار حواجز طبيعية خصوصا عند فيضاناتها . ولعل أهم ظاهرة في حوض الحبشة هي امطارها الغيفية التي تشتد في المناطق الجنوبية الغربية حتى يصل متوسطها ١٨٠٠ مم في العام وتهطل كل هذه الكمية في مائة وسبعة وسبعين يوما من العام . وتعتبر الحبشة من البلاد القليلة التي اثرت جغرافيتها على تاريخها تأثيرا كبيرا .

ويكون الجزء الجنوبي الغربي من الحبشة المتاخم للقنوات وحدة جغرافية تعرف بمرتفعاتها اثيوبيا - كافسا التي تعتمد من ارتيا في

الشمال وتشمل بلاد التقرى والامهرة وكجام وشوا وكافا . وينحدر  
اقصى ارتفاع في هذه المنطقة ٦٥٠٠ قدما . وينحدر هذا  
المرتفع الى جهة الغرب حتى ينتهى عند هضبة القصارف -  
القلابات وتشهد حدة الانحدار في الجزء الشمالى الغربى والجزء  
الجنوبى الشرقى وتقل حدته في منطقة الوسط وهى المنطقة الملاصقة  
تماما للقلابات .

وينقسم طبق هذا الجزء الجنوبى الغربى من الحبشة  
الى ثلاثة اقسام تتراوح بين الحرارة والبرودة الشديدة حسب  
الارتفاع ويمتد فص الشتاء من ابريل الى سبتمبر وهو ايضا فصل الامطار.  
ويختلف شتاء هذه المنطقة عن شتاء السودان الذى يتصف بالبرودة  
والجفاف .

والنهر الازرق هو اهم نهر في الحبشة وينحدر من الشرق  
الى الغرب مع انحدار الهضبة . يكون هذا النهر حاجزا طبيعيا  
يفصل منطقة كجام عن الجزء الجنوبى من الحبشة . وفي الجزء الغربى  
تكثر الانهر الموسمية التى تصب عند فيفانها حاجزا يعزل الحبشة

عن منطقة القلايات •

وتنقسم الحبشة الى ثلاثة عشر ولاية تقع ثلاثة منها في الجزء المتاخم للقلايات

وهي حسب وضعها من الشمال الى الجنوب : تقرى ، لمهرة ، وكجام •

### أهم القبائل في هذه المنطقة

أهم ثلاث مجموعات قبلية في منطقة القضايف - القلايات هي : الشكرية

والضبانة والتكارير • أما الشكرية فهم من القبائل الكبيرة لا بالنسبة لهذه المنطقة بل

بالنسبة لكل قبائل السودان • وقد بلغ تعداد هذه القبيلة في اواخر العهد التركي -

المصري حوالي نصف مليون شخصا كانوا مقسمين الى تسعين عميرة <sup>٤</sup> • ويعمل الشكرية

بالزراعة والرعي ويملكون مجموعة كبيرة من الابل والماشية حتى بلغ مجموع الابل

المخصصة لركوب شيخ القبيلة نحو من اربع الاف • وكانوا يتاجرون

٤ نعم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان (بيروت دار الثقافة ، ١٩٦٧)

ص ٦٨ • ويتفق ابراهيم فوزي مع نعم شقير الى حد كبير ان يقول ان

تعدادهم اربعمائة الف ، راجع :

ابراهيم فوزي ، السودان بين يدي غردون وكشنير ، الجزء الثاني (مصر

١٣١٩ ، ١٩٠١-١٩٠٢) ص ٥٦٠ •



فى ابلهم مع مصر • ويقال ان الشيخ احمد ابو سن مات فى مصر عندما ذهب  
هناك ليتفاوض فى امر هذه التجارة •

وتسكن قبيلة الشكرية فى المناطق الزراعية الواقعة حول القضايف وفى منطقة  
البطانة الغنية بمراعيها • وتعتبر القضايف اهم مركز للشكرية بل هى مقر حكمهم حيث  
يسكن شيوخ القبيلة من عائلة ابوسن • وكان للشكرية وضع ممتاز فى العهد التركى -  
المصرى • وفى عهد الخديوى اسماعيل اصبح شيخ القبيلة احمد ابو سن مديرا  
للخرطوم وسنار ، وانعم عليه بلقب باشا " وعلى ابنه عوض الكرم من بعده بلقب  
" بك " •

لما قبيلة الضيانية فهى اقل شأنا من الشكرية ولكنها من القبائل الهامة  
فى هذه المنطقة وقد بلغ تعدادهم فى العهد التركى - المصرى نحو ١٠٠٠٠ من خصين  
الفا حسمين على سبعة عمار • ويسكن الضيانية فى الخريف فى البطانة وينزحون  
منها فى فصل الصيف الى المنطقة الواقعة بين نهري  
سيتيت ونهر بسلام ( وهو اسم الجزء الحبشى من  
نهر عطبرة ) • وتعتبر التومات ( تومات ولد زايد ) من اهم

مدن الضيانية فهي مقر زعمائهم من طائفة ولد زايد . ومن مدنها التجارية الهامة الجبيرة ودوكة ولقيت هذه القبيلة حظا كبيرا في العهد التركي - المصري ومنح شيخهم محمود عيسى زايد لقب بك<sup>٥</sup>. وعاصر محمود هذا اغلب حكم الخليفة .

وتعتمد المجموعة القبلية الثالثة بالتكرار او تكرار القلابات . وكلمة تكرور نفسها قد اكتنفها الكثير من التحريف والغموض مما ابعدنا عن معناها الحقيقي واصبحت تستعمل في منطقة الشرق الاوسط استعمالا عاما يقصد به كل المهاجرين من غرب افريقيا الذي كان يقودهم طريق الحج عبر بعض بلدان الشرق الاوسط فيطيب لهم المقام في بعضها فيستقرون بها<sup>٥</sup> . ولذلك عندما نتحدث عن تكرار القلابات فنحن نتحدث عن مجموعة من قبائل غرب افريقيا استقرت في منطقة " راس الفيل " ( القلابات ) في القرن الثامن عشر الميلادي بعد عودتها من مكة<sup>٦</sup> .

٥ ..... Takoun .....  
 ١ .....  
 ٢ .....  
 ٣ .....  
 ٤ .....  
 ٥ .....  
 ٦ .....  
 ٧ .....  
 ٨ .....  
 ٩ .....  
 ١٠ .....  
 ١١ .....  
 ١٢ .....  
 ١٣ .....  
 ١٤ .....  
 ١٥ .....  
 ١٦ .....  
 ١٧ .....  
 ١٨ .....  
 ١٩ .....  
 ٢٠ .....  
 ٢١ .....  
 ٢٢ .....  
 ٢٣ .....  
 ٢٤ .....  
 ٢٥ .....  
 ٢٦ .....  
 ٢٧ .....  
 ٢٨ .....  
 ٢٩ .....  
 ٣٠ .....  
 ٣١ .....  
 ٣٢ .....  
 ٣٣ .....  
 ٣٤ .....  
 ٣٥ .....  
 ٣٦ .....  
 ٣٧ .....  
 ٣٨ .....  
 ٣٩ .....  
 ٤٠ .....  
 ٤١ .....  
 ٤٢ .....  
 ٤٣ .....  
 ٤٤ .....  
 ٤٥ .....  
 ٤٦ .....  
 ٤٧ .....  
 ٤٨ .....  
 ٤٩ .....  
 ٥٠ .....  
 ٥١ .....  
 ٥٢ .....  
 ٥٣ .....  
 ٥٤ .....  
 ٥٥ .....  
 ٥٦ .....  
 ٥٧ .....  
 ٥٨ .....  
 ٥٩ .....  
 ٦٠ .....  
 ٦١ .....  
 ٦٢ .....  
 ٦٣ .....  
 ٦٤ .....  
 ٦٥ .....  
 ٦٦ .....  
 ٦٧ .....  
 ٦٨ .....  
 ٦٩ .....  
 ٧٠ .....  
 ٧١ .....  
 ٧٢ .....  
 ٧٣ .....  
 ٧٤ .....  
 ٧٥ .....  
 ٧٦ .....  
 ٧٧ .....  
 ٧٨ .....  
 ٧٩ .....  
 ٨٠ .....  
 ٨١ .....  
 ٨٢ .....  
 ٨٣ .....  
 ٨٤ .....  
 ٨٥ .....  
 ٨٦ .....  
 ٨٧ .....  
 ٨٨ .....  
 ٨٩ .....  
 ٩٠ .....  
 ٩١ .....  
 ٩٢ .....  
 ٩٣ .....  
 ٩٤ .....  
 ٩٥ .....  
 ٩٦ .....  
 ٩٧ .....  
 ٩٨ .....  
 ٩٩ .....  
 ١٠٠ .....

٦ .....  
 ٧ .....  
 ٨ .....  
 ٩ .....  
 ١٠ .....  
 ١١ .....  
 ١٢ .....  
 ١٣ .....  
 ١٤ .....  
 ١٥ .....  
 ١٦ .....  
 ١٧ .....  
 ١٨ .....  
 ١٩ .....  
 ٢٠ .....  
 ٢١ .....  
 ٢٢ .....  
 ٢٣ .....  
 ٢٤ .....  
 ٢٥ .....  
 ٢٦ .....  
 ٢٧ .....  
 ٢٨ .....  
 ٢٩ .....  
 ٣٠ .....  
 ٣١ .....  
 ٣٢ .....  
 ٣٣ .....  
 ٣٤ .....  
 ٣٥ .....  
 ٣٦ .....  
 ٣٧ .....  
 ٣٨ .....  
 ٣٩ .....  
 ٤٠ .....  
 ٤١ .....  
 ٤٢ .....  
 ٤٣ .....  
 ٤٤ .....  
 ٤٥ .....  
 ٤٦ .....  
 ٤٧ .....  
 ٤٨ .....  
 ٤٩ .....  
 ٥٠ .....  
 ٥١ .....  
 ٥٢ .....  
 ٥٣ .....  
 ٥٤ .....  
 ٥٥ .....  
 ٥٦ .....  
 ٥٧ .....  
 ٥٨ .....  
 ٥٩ .....  
 ٦٠ .....  
 ٦١ .....  
 ٦٢ .....  
 ٦٣ .....  
 ٦٤ .....  
 ٦٥ .....  
 ٦٦ .....  
 ٦٧ .....  
 ٦٨ .....  
 ٦٩ .....  
 ٧٠ .....  
 ٧١ .....  
 ٧٢ .....  
 ٧٣ .....  
 ٧٤ .....  
 ٧٥ .....  
 ٧٦ .....  
 ٧٧ .....  
 ٧٨ .....  
 ٧٩ .....  
 ٨٠ .....  
 ٨١ .....  
 ٨٢ .....  
 ٨٣ .....  
 ٨٤ .....  
 ٨٥ .....  
 ٨٦ .....  
 ٨٧ .....  
 ٨٨ .....  
 ٨٩ .....  
 ٩٠ .....  
 ٩١ .....  
 ٩٢ .....  
 ٩٣ .....  
 ٩٤ .....  
 ٩٥ .....  
 ٩٦ .....  
 ٩٧ .....  
 ٩٨ .....  
 ٩٩ .....  
 ١٠٠ .....

ويبلغ أقصى تعداد للتكاير في هذه المنطقة خمسة وأربعين ألفاً • واعتبر

بعض المؤرخين هذا العدد ضئيلاً واستنتجوا من هذه القلة أنهم عنصر غريب على

المنطقة <sup>٧</sup> • ولذا إذا قارنا هذا العدد بالضيائية مثلاً لوجدنا أنهم متقاربين في

التعداد مما يدفعنا إلى القول بأن غرابية عنصرهم على المنطقة لا تعد إلا شيئاً

أسبب بل إلى اسباب أخرى لعل من أهمها اسمهم الغريب على المنطقة •

وأصبح لتكاير في القلايات مشيخة قائمة بذاتها ، وكان صالح إدريس ( المشهور

بصالح شقفا ) هو شيخهم عند اندلاع الثورة المهدية • وكان التكاير يقومون بدور

الوسيط في عملية التبادل التجاري التي كانت قائمة بين الحبشة والقلايات • وقد

تحملوا عنهم أرباح طائلة من تلك العملية وذلك عن طريق الضرائب التي كانوا

يفرضونها باسم الحبشة أو السودانين على التجار • وكان لتكاير يفتقلون بولاهم

السياسي حينما هم الحبشة وحينما خرج السودان حسب الدولة التي كانت تفرض

سيادتها على القلايات <sup>٨</sup> • ولذلك لعب التكاير دوراً سياسياً هاماً في هذه

Al-Nagar, op.cit, P. 366

٧ راجع من هذا الفصل عن القلايات وكذلك

Barbour, op.cit, P. 195

المنطقة وفي ترجيح كفة هذه الدولة او تلك •

• اهم المدن التجارية في العهد التركي - المصري

---

مثلا لعبت السروف الجغرافية دورا هاما في تاريخ هذه المنطقة لعبت

التجارة كذلك دورا لا يمكن انحاله واثرت في تكيف العلاقة بين السودان والحبشة •

• سنتعرض لاهم ثلاث مراكز تجارية في المنطقة وهي : القضايف والقبليات فسي

السودان ثم غندار في الحبشة •

### ١ القضايف

تقع القضايف وسط منطقة زراعية غنية ولذلك اصبحت سوقا تجاريا هاما للمحاصيل

الزراعية • وساعدها موقعها الجغرافي الحصين ايضا ان تحيط بهذا سلسلة من

الشلل تجعل الدفاج عنها ضد الغارات الخارجية الكريسا • ومما ساعدها ايضا

على النمو وتوسعها على مسافات مقاربة بين عدد من المدن الهامة • فتقع على بعد

١٤٢ ميلا من سلا ، و ١٤٦ ميلا من ابي حراز ، و ١٤ ميلا من القلايسات •

فاصبحت نقطة التقاء هامة يرد اليها التجار لامن السودان فحسب بل من مصر

## ف

والبحار والهند ، المينة وحياتها اوربا<sup>٩</sup> . ولذلك اشتهرت القضايف ، بجانب  
 الزراعة ، بالتجارة في ريش النعام والماشية . كما كان بها صنعا للصبايون واخر  
 لسجائر . وقد بلغت الضرائب السنوية على التمباك مائة الف ريال كانت تذهب  
 كلها الى خزينة الحكومة<sup>١٠</sup> . وحتى اذا كانت هذه الارقام غير دقيقة فانها تعكس  
 الثراء الذي كانت تتمتع به القضايف . ولهذا وجدت القضايف عناية خاصة من  
 الحكام الاتراك ان ظلت طوال ذلك العهد تابعة للخرطوم ، بل كان من اهتمام  
 الحكومة بها ان مدتها ببوستة منقطة<sup>١١</sup> . والقضايف اذا كانت لها اهمية قبلية  
 واستراتيجية واقتصادية .

## ب : القلايات

تقع مدينة القلايات على " خور ابونخريه " في سفح الهضبة الحبشية  
 عند الطريق الرئيسي الذي يصل السودان بشمال الحبشة . وهذا الموقع الجغرافي

نعم شقير ، ص ١٤٠

سعد رفعت ، تقرير سعد رفعت ( دار الوثائق المركزية ) ، ص ٤

Richard Hill, Egypt in the Sudan, 1820-1881 (London, 1959)

1959)

اعطى القلايات اهمية استراتيجية خاصة فهي موقع دفاعي ومنطلق للهجوم ففى

نفس الوقت •

وتسمى المنطقة التى تقع فيها القلايات " براس انفيل " تسمى احيانا

باقلايات • ولكن استعمالنا للكلمة القلايات هنا يعنى المدينة فقط ولا يعنى كل

المنطقة • وتحدث بعض المراجع التاريخية عن مدينتى القلايات والتممة على انهما

مدينتان منفصلتان ، احيانا تستعمل التمة لتعنى القلايات <sup>١٢</sup> • والواقع انهما

مدينتان توأمان على الحدود ، تقع القلايات في السودان والتممة في الحبشة •

وبذلك فان التفريق بينهما غير مألوف لانهما مكملتان لبعضهما البعض وعليه فسنقتصر

على استعمال القلايات فقط •

ونشأة القلايات غير واضحة المعالم ، ولكن يبدو ان العبيد الهاريين - الكنجارة -

هم اول من سكنها • ونعل موقع القلايات المنعزل على الحدود قد ساعدها لتصبح

ماموى لاولئك الهاريين • اما اقدم تاريخ للقلايات لمدينة فيرجع الى مملكة

سنار • ويبدو ان ملوك سنار هم الذين اسسوها في القرن الثامن عشر كقاعدة حربية وذلك عندما تونرت علاقتهم مع الحبشة <sup>١٣</sup> .

على ان تاريخ القلايات أصبح اكثر ارتباطا بقبائل غرب السودان (التدارير) الذين استقروا بها عند عودهم من مكة ، اكثر من ارتباطها بملوك سنار • وأصبح للتدارير مشيخة قائمة بداتها شبه مستقلة ولهم " نحاس " خلاص بهم يحتفلون بتجليده كل عام في شهر رجب (عهد الرجبية) •

واستمرت القلايات تابعة لملوك سنار حتى بداية العهد التركي - المصري عندما تحولت تبعيتها إلى الحبشة • ولعل الحبشة قد اغتصمت الفوضى التي عاشت سقوط ملكة سنار فاحتلت القلايات • وأصبح حاكم الولاية الغربية من الحبشة هو المسئول عن المدينة • وكان يعين ويكفل من جانبه من المسلمين ليدبر شئون القلايات • اسم واجبات الوكيل جمع الضرائب وتسليمها للحبشة وكانت تلك الضرائب تجمع بواسطة شيخ التكاير في المنطقة <sup>١٤</sup> •

وظلت القلايات تتبع للحبشة حتى عام ١٨٣٨<sup>١٥</sup> . ففي ذلك العام نشب

صراع بين الحبشة والحكومة التركية ، فإرسل حاكم دار السودان خورشيد آغا حملة إلى

القلايات لاحتلالها . وبمناطة واستطاعت الحملة الاستيلاء على المدينة وسلم لها

الشيخ " ميرى " شيخ التكاير ، وفرض الاتراك خريبة سنوية على المدينة<sup>١٦</sup> .

وتبين لخورشيد أهمية القلايات فأقام بها حامية تركية مؤلفة من مائة جندي من الباشبوز

والاتراك . وهذه هي المرة الأولى التي تقام فيها حامية في القلايات بجانب قوة

التكاير الحربية . أما وسع التكاير الإداري فلم يتغير إذ ظلوا هم الادارة

الادارية المسئولة عن المدينة .

وفي عهد الحاكم موسى باشا حمدي (١٨٦٣-١٨٦٥) زادت حدة الصراع

بين الحكومة التركية والحبشة حول الحديد ، وكثرت تدديات الحبشة على القبائل

١٥ يذكر نعم شقير ( ٥١٦ ) ان تاريخ ذلك الصدام هو عام ١٨٣٠ ولكن الصحيح هو عام ١٨٣٨ . فقد اشار هل ( Hill, P.33 ) ان ذلك الصدام حدث في عهد خورشيد باشا ( ١٨٢٦-١٨٣٨ ) وكان من نتائجه استدعاء خورشيد ولذلك تكون تلك السادة قد تمت في اخر عهده . وكان استدعاء خورشيد بواسطة محمد علي باشا بخرن ارشاد بريمانيا التي رأت ان احتلال القلايات فيه تعد على مناطق نفوذها .

راجع . S.N.R. op.cit, P. 96

١٦ نعم شقير ص ٥١٦



الخاضعة للحكم التركي - المصري . فاستجد شيخ التكاير جمعه ابودقن بالحكمدار طالبا حمايته من تهديدات الاميراطور ثيودور . وفي نوفمبر ١٨٦٢ قام موسى حمدي على رأس حملة مكونة من ثلاثة الاف جندي نظامي وخمسة الاف غير نظامي وساراسي القلايات <sup>١٧</sup> . وهناك رأى ضرورة تحصين المدينة فانشا فيها استحكاما منيعا ودعه بالموانع واقام بها اوطنتين من الجهادية بقيادة ادم بك . كما فرض ضرائب جديدة على المنطقة بلغت اربعة وعشرين الف ريام سنويا . فقام الشيخ جمعه من جانبه بفرض ضرائب جديدة على الواردات الحبشية ليواجه بها التزامه الجديد نحو الحكومة <sup>١٨</sup> .

وكان من جراء ذلك الاستقرار ان زادت اهمية القلايات كمركز تجارى واصبحت سوقا لمختلف البضائع مثل العاشية والذهب والقطن والشمع والزباد والبن واسمن والرقيق والعاج . وبلغ سكانها عام ١٨٦٤ خمسا وعشرين الف نسمة موزعين على خمسة وعشرين قرية <sup>١٩</sup> . ويبدو ان هذا العدد اكثر

S.N.R., op.cit, P. 97 ١٧

نعم شقير ، ص ٣٦ ١٨

S.N.R., op.cit, P. 97 ١٩

رافعية من العدد الذي ذكره شقير، فستان المرحوم نفسها في تلك الفترة بلغوا

ثلاثين ألفاً .

وسوق القديرات من أكثر الاسواق تنظيماً، ويجتمع يوم الثلاثاء والأربعاء من كل

اسبوع ويزداد نشاطه بين نوفمبر ومايو . ولعل حجم التجارة بين القديرات وسواكن يعد من

سيرة لما وصلت القديرات من أهمية تجارية . فقد بلغ مجموع ما يحدد سنوياً إلى سواكن

الآتي :

٢٠٠٠ ألف كيلو بن

١١٠ ألف كيلو شمع

٤٤٥٠ كيلو عاج

١٠٠٠ أوقية ذهب

من ١٥ إلى ٢٠٠ من الخيول في كل يوم سوق

٢٠٠٠ رقيق

وبلغت كمية ما يبيع من القطن عام ١٨٦٣ حوالي أربعة آلاف بالة . ولهذا فقد أصبحت

القلابات سوقا شبه عالمي يرد اليها التجار لا من الحبشة فحسب بل من بلاد  
الاعرق والارمن وغيرها <sup>٢١</sup>.

وقد اعطى سعد رفعت وصفا للقلابات في اخر العهد التركي - المصري  
فوصفها بانها بلد ذات " اهوية عظيمة " ومنازلها مبنية من الحجر والق - وبها  
قلعة محصنة يحرسها جنود من البيادة والصبيحة • وسكانها بجانب التكاير  
هم الحمدة والكواهلة وانضائية • وقد رسعد رفعت الضرائب المفروضة على القلابات  
بحوالي ثلاثمائة الف جنيه في العام <sup>٢٢</sup> • ولعل هذا الرقم مبالغ فيه ولكنه يدل على  
اهمية القلابات التجارية •

في الحقبة الاخيرة من العهد التركي - المصري كان صالح شنقا هو  
شيخ التكاير في القلابات • وشنقا هذا من مجاوري الازهر جاء الى القلابات

<sup>٢١</sup> Richard Pankhurst, The Trade of Northern Ethiopia  
in The Nineteenth and Early Twentieth Centuries,  
Journal of Ethiopian Studies, Vol. II, No 1, January  
1964, pp.72-73

<sup>٢٢</sup> سعد رفعت، التقرير، ص ٣٠

- ليصبح اماما لمسجدها ويبدوانه كان عظيم الولاء للحكومة التركية اذ منحوه وضعاً ممتازاً في القلايات ، فهو المكلف بجمع الجزية ويخلق علاقات تجارية مع الحبشة<sup>٢٣</sup> .
- كما كان له جيش خاص به يتكون من اربعة الاف جندي من الحبش والسودانيين وجميعهم بأسلحة نارية . ويستعمل هذا الجيش في زمن السلم في اعمال الزراعة الخاصة بشيخ التكاير<sup>٢٤</sup> .

### ج ١ غندار

- كانت غندار في النصف الاول من القرن التاسع عشر من اهم الاسواق التجارية في الحبشة ، بل أصبحت في وقت من الاوقات اهم مدينة تجارية .
- وتقع غندار في وسط طريق تجارى هام يبدأ من دارفور ثم مملكة الفونج ويمر .
- بغندار الى عدوة فصوع . ويمر بها ايضا طريق تجارى اخر يسير الى شلقا (Selgo) ووهنى (Wahani) ثم النمة والقلايات . وتسير القوافل التجارية من غندار متجهة غرباً في فصل الجفاف بين اكتوبر ومايو<sup>٢٥</sup> .

٢٣ نعوم شقير ، ص ٥٢٢

٢٤ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٢٠

٢٥ Pankhurst, op.cit., pp.52,65

وتعتبر غندار أهم سوق للذهب في الحبشة ومن أهم الأسواق لتجارة  
البن والعاج • وبالرغم من تدهور أهميتها التجارية في النصف الثاني من القرن  
التاسع إلا أنها ظلت واحد من اثني عشرة سوق هام في الحبشة • ولعل  
حجم تجارتها عام ١٨٩٠ يوضح تلك الأهمية • فقد بلغ ما بيع بها من المواشي  
في ذلك العام الآتي :

٨٠ ألف ثور

١٨ ألف بقرة

١٠ ألف نعجة

٢٠ ألف خروف

٢٦  
٦٠ ألف دجاجة

ويبدو ان قرب غندار من الحدود السودانية وتاريخها التجاري الحافل قد خلقا  
لها صورة زاهية في عقل السودانيين ولعلها كانت تمثل بالنسبة لهم مركز الشراء

## العرض عبر الحدود •

### ٦- الوضع العسكري في القنارف - انقلابات عند اندلاع الثورة المهدية

عند اندلاع الثورة المهدية ركزت الحكومة التركية مجهوداتها العسكرية في ضرب السبلان باعتباره معقل الثورة • وادى ذلك التركيز الى ضعف الماصق الاخرى عسكريا بالذات منطقة القنارف - انقلابات ، فقد حولت عنها الحكومة بعض فرق الجيوش وبعثتها الى الغرب • وسنتعرض هنا الى الوضع العسكري في ثلاثة مدن هامة في هذه المنطقة وهي القنارف ، انقلابات ، والجيرة •

كان بالقنارف عند اندلاع الثورة المهدية مائتا جندي نظامي واوردى من اباشوزق المغاربة بقيادة محمد باشا اغا • وكان محمد عوض الكريم ابن سن مأمورا عليها • ونقل اليها بلوك من القذبات ولكنه سرعان ما حول الى عمار لتدعيم موقعها <sup>١٧</sup> .

وفي عام ١٨٦١ كان بالانقلابات الف وستمائة وعشرة جنديا • وعند قيام

الثورة في غرب السودان اخذ منها " ٥ جى " ارضة بقيادة البكباشى حسن افندى عارف و " ٦ جى " اورطة بقيادة سرور افندى بهجت وارسل الى الغرب .  
وبقى بها بلوطان فقط . وبها ايضا بطارية طوبجية بقيادة محمد افندى ريسان  
يلىد ايردس باغبوزق يتكون من اربعمائة وخمسين جندي بقيادة محمد بك السيد  
واورطة غير نظامية تابعة لصالح شنقا . وعند حلول عام ١٨٨٤ أصبح بالقربات  
خمسائة وثلاثة وتسعون جنديا نظاميا فقط <sup>٢٨</sup> .

اما المدينة الثالثة فهي الجيرة . والديرة دابة حصينة على حدود الحبشة  
مبنية بالحجر على اكمة مرتفعة تطل على نهري سيتيت . وكان بها " ٤ جى " اوطه  
التي تتكون من ثمانمائة جندي بقيادة البكباشى فضل الله حبيب . وعند اندلاع  
الثورة المهدية ارسل نصف القوة العسكرية التي بها الى سنار ، وارسل منها بلوك  
الى كسلا ، فبقى بها بلوك بمائة وثلاثة مدافع وصاروخ حربي <sup>٢٩</sup> .

٢٨ المصدر السابق ، ص ٦٣٥

٢٩ المصدر السابق ، ص ٦٠١

يتضح لنا من الأرقام السابقة بعض الحقائق المتعلقة بالوضع العسكرى  
 فى هذه المنطقة عشية اندلاع الثورة المهدية فيها • فنلاحظ أولا ان القوة  
 العسكرية للحكومة كانت متمركزة فى ثلاث حاميات هامة بجانب النقاط العسكرية  
 الصغيرة الأخرى • ثانيا انه فى حالة اندلاع ثورة شعبية تصبح تلك الحاميات  
 عبارة عن جزر معزولة وسط بحر من الثورة الهادرة وتظل غير متصلة ببعضها البعض •  
 ونلاحظ ثالثا ان منطقة القضايف -- القلايات لم تكن تشكل خطورة كبيرة على الحكم  
 التركى -- المصرى ولذا كانت تعتبر كمطقة احتياطية يؤخذ منها الجنود  
 لتعزيز المناطق الأخرى خطورة ولذلك عندما اندلعت بوا الثورة لم يكن بمقدور  
 سوى الفين وستمائة جنديا موزعين على ثلاث مدن • وعليه فلم يكن امام اولئك  
 الجند الا التسليم او الانسحاب من مراكزهم عن طريق الخيضة باعتبارها الطريق  
 الوحيد الممكن • وهكذا دخلت الخيضة فى الصراع ضد المهدية فى هذه  
 المنطقة واسيحت هى العنصر الحاسم فى ذلك الصراع واحتلت مكان الحكومة  
 التركية -- المصرية •



## ٧- اهم مصادر هذا البحث

تعتمد هذه الدراسة على وثائق المهدية • وكانت هذه الوثائق حتى  
حقيقين خلت بعيدة عن متناول الباحثين • ثم انشأت دار الوثائق المركزية  
فكان ظهورها فتحاً في مجال البحث العلمي خصوصاً في تاريخ السودان ففى  
عهد المهدية. وقد تعرض كثير من الباحثين لضبيعة دار الوثائق المركزية وتكوينها  
بتصنيف الوثائق حياً وإمكانات التي تتيحها للبحث<sup>٣٠</sup> • ولذلك لن نتعرض  
لهذا الجانب بل سأنحدث عن اهم ياتر المهدية التي اعتمدت عليها ، وهى  
الاقسام الثلاثة الاولى منها •

يشمل القسم الاول من وثائق المهدية رسائل المتبادلة بين الخليفة من  
جانب قياد المهدية وامرائها المشهورين من الجانب الاخر • فرجحت نفسى  
هذا القسم الى المراسلات بين الخليفة ومحمد ارباب ويونس الدكيم ومحمد ابي عنيحة

٣٠ راجع ، F. J. Holt, The Archives of the Mahdīa (London, 1955).

Mohamed Ibrahim Abu Saleem : The Central Archives and Possibilities of Research. A Paper Presented to the Philosophical Society of the Sudan (1964)

موسى المبارك ، تاريخ دارفور السياسى ، ١٨٨٢-١٨٩١ ، رسالة ماجستير لم تنشر  
( جامعة الخرطوم نوفمبر ١٩٦٤ ) •

## ج ٥

والزكي طمل واحمد على واحمد فضيل وغيرهم • ولحقى اول من اطلع على هذه

الرسائل متكاملة فكانت مصدرا هاما من مصادر هذا البحث •

اما القسم الثاني فهو عبارة عن رسائل مختلفة مرسلة من بعض امراء المهدي

وقوادها للخليفة او يعقوب او كبار القادة • وكانت هذه الرسائل ايضا ركيزة

ثانية اعتمدت عليها في هذه الدراسة •

ويعرف القسم الثالث من رسائل المهدي بدفاتر المصادر وتشمل الخطابات

المصادرة من ائمة من اول الخليفة ابو مختلف الاقاليم • وتتميز دفاتر المصادر هذه ،

بال اغلب وثائق المهدي ، بميزة هامة وهي ان اغلب تلك الخطابات تبدأ بخلاصة

لرسالة السابقة التي كتب الرد عليها • فالمهدي والخليفة وبقية قواد المهدي كانوا

يلخصون الرسالة الواردة اليهم قبل ان يشرعوا في الرد عليها • واصبحت تلك

الرسائل في الواقع عبارة عن رسالتين • وقد افادت هذه الطريقة كثيرا لانها

حفظت لنا الكثير من الخطابات التي ضاعت وسهلت في كثير من الاحيان التوفيق

على تسلسل الاحداث ، بل وفي وضع التواريخ في الرسائل التي غاب ذكر

التاريخ فيها •

ورجعت الى مخطوطة اسماعيل عبدالقادر الكردفاني باسم الطرار المنقوش  
ببشرى قتل يوحنا ملك الحبش ، في القسم الثامن من وثائق المهديّة • وهذه  
المخطوطة لنا اهميتها لانها تمثل مصدرا اوليا عن حروب المهديّة على  
الجهة الحبشية • ولعل قد تعرضت الى كثير من اجزاء هذه المخطوطة  
بالتحقيق وافدت منها كثيرا • وقد تعرضت لهذه المخطوطة والظروف التي احاطت  
بتأليفها واسلوب الكردفاني في مقالتي بمجلة الدراسات السودانية <sup>٣١</sup> .

زيد سافرت الى منطقة القضاير وقضيت بها قرابة الشهر واتصلت ببعض  
الشخصيات التي تهتم بالتاريخ ولم افد منها كثيرا مما يستحق الذكر ماعدا  
ملاحظات عابرة هنا وهناك •

سأء هي اهم مصادر هذه الدراسة • وهناك مصادر اخرى تشمل على  
مؤلفات عربية وانجليزية لها فائدتها ويعرفها الباحثون في تاريخ المهديّة •

٣١ محمد سعيد القدال " الطرار المنقوش " مجلة دراسات السودانية

( العدد ٢ ، المجلد (١) ، يونيو ١٩٦٩ ) ص ١٤٠-١٤٥ .

## ن ر ج

وتد اتملت بشعبة التاريخ بجامعة هيلاسلاى وىدار المحفوظات  
الانثوية وافادوا بان ليس لديهم ما يمكن ان يعين فى هذا البحث • ولذلك  
اعتمدت على رسائل ملوك الحبشة وقوادها المتبادلة مع الممدى والخليفة وبقية  
الامراء والموجودة فى القسم الاول من المهدية ( ١ | ٣٤ ) • وبما ان هذه الدراسة  
تهتم باتجاهات دولة المهدية فى السياسة الخارجية فان هذه الرسائل كانت  
كافية وقد اعانت كثيرا فى تفهم هذه الاتجاهات •

## الفصل الأول

### منطقة القدارف من القلايات في عهد المهدي

١٨٨١-١٨٨٥ (١٢٩٨/٩٩-١٣٠٢/٣٨٢ هـ)

انقسمت السنوات الأربع الأولى من الثورة المهدية إلى قسمين ، تميزت الفترة الأولى منها بزيادة الدفاع عن حدود الخصومات التي كانت توسعها الحكومة المركزية المهدية . فقد اتخذ الدمام الأولي والمهدى بجمع حول الانبار في حين قدس في ظلها السخنة الواقعة على الأخرى . ثم انتقل المهدي من سير الأعمال إلى مرحلة التوسيع ، والتي كان يستند بها المعسكر المهادي للحكومة في غرب السودان وأحد أمدينا الأبيض وبارا . كما كان المهدي يمارس اهتمامه بضرورة إخماد نار اللذبة من الزيرة يومئذ . إكن لا يهمل الاستراتيجية والاقتصاديين . فـ في هذه الفترة كانت منطقة القدارف من القلايات هادئة نسبيا فلم تقم بها أحداث شامة . تألفت الثورة المهدية فيها من كل واحد من الأحداث المنظمة السابقة . وقد أخذت إلى البعد عن معقل الثورة بين مراكز الحكومة الهامة . بعد فترة حدد في شيكان ( ٥ نوفمبر ١٨٨٧ / ٤ محرم ١٣٠٦ ) انقسم اتحاد المهديين بزيادة بالجزء السودان المختلفة . وكان هذا الاهتمام جزءا من

مختص بمنح حق الترخيص بعد ان يعود لذلك بمنزله داخلها وخارجها • بما ان  
 براءه تاريخ ١٩٨٤ حتى اسبحت الخرجون بزيارة معزولة وسط ختم من الشرطة المتابعة •  
 بان خطة المودس قد نشر الدعوة في المنطق المختلفة من ان يعرف عامل من  
 شبه سبي غالباً من احد المنطق المدنية ويبحثه لاستفكار الاحوال للشيرة باسم المودبة •  
 بان المودس يهتم دائما بزعماء القبائل بزيادة الرزق المدنية بالشخصيات ذات الميزن  
 الاجتماعي والتبلي الذي انضمام الى المدنية مايقول من شأنها ويساند على  
 انتشارها • يلعب هذا يفسر لنا الصروراء منشوراته الجديدة التي تاجر ببعض بها  
 لسيادة المرافقة والتعبير بد بدر ان الجحش وغيرهم من الشخصيات السودانية المتصورة<sup>١</sup>  
 من على المنطق التي انشأت اليها المودس بعد عتقان كانت مفقدة القداري —————  
 القزبات •

لم يلعب انتشار المدنية في منطقة القصاره — القزبات امتعاضا دينا من

—————

١ : منشورات الاما المودس ، مبرره في المنطق المبينة بالخبر ، اريدة لميزانه  
 نشرت في اراياكس المرتبة ، الخرج ، ١١٦٤ • ايضا بملقة كبيره وديائل  
 المودس • ويعتبرنا في هذا المجال الجزء الثاني وهو المصور بكتاب الانتارات

المؤرخين كالذى لقيته المناطق الاخرى التى ارتبط انتشار المهديّة فيها بشخصيّة المهدي او بامراته الكبار او حكام العهد التركى المشهورين . فاذا اضمنا الى هذا ان الحاميات التركية فى هذه المنطقة لم تكن حاميات كبيرة وهامة ، بل ان اغلبها قد اتخذ لتدعيم الحاميات الاخرى فى الابهض وسنار وكسلا ، لادركنا صعوبة التنقيب فسى تاريخ هذه المنطقة والذى ينتشر بين ثنايا الاحداث التاريخية الهامة وفى منشورات المهدي الشحيحة التى كان يبعث بها الى عماله فى المنطقة . ولكن وجود الحبشة كعنصر هام فى تاريخ هذه المنطقة امدنا بمصادر اضافية ستساعدنا فى ان نرسم صوره لانتهيار الحكم التركى هناك ، وهذا بلاشك اهم حدث ثم فى عهد المهدي فى تلك المنطقة . وقد ارتبط انهيار الحكم التركى وانتشار الثورة المهديّة فى منطقة القضايف - القلايات بقبليتى الشكرية والصيانية . وبعض العمال الذين بعثهم المهدي من قبله مثل الحسين عبد الواحد<sup>٢</sup> ، او القواد الذين تجاوبوا مع المهديّة عن بعد واشعلوا نـار

---

٢ الحسين عبد الواحد هو اخ الشيخ محمد شريف نور الدائم استاذ المهدي وشيخ الطريقة السمانية فى الفترة الاخيرة من العهد التركى - المصرى . والحسين ومحمد شريف كلاهما احفاد الشيخ الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية فى السودان والمولود عام ١٢٧٠ هـ ١١٥٥ هـ .

الثورة بمجهودهم الخاص مثل محمد ولد ارباب • وقد استهدفت الثورة المهدية القضاء على المدن الهامة مثل القصارف والقلايات والجيرة ولحققتها بعد ذلك المدن الصغيرة الاخرى مثل دوكه وصار والتومات وغيرهم •

### انهيار الحكم التركي - المصري •

اما عن سقوط القصارف فهناك روايتان ، الرواية الاولى برويها نعم شقير الذي يقول ان المهدي قد عين الحسين عبد الواحد نور الدائم عاملا على البلاد الواقعة بين النفل الازرق ونهر عطبرة • كما عين معه ثلاثة من الماعدين هم عبد الله الطريفي الجعلي والسماوي ولر احمد والظاهر محمد تاتاي<sup>٣</sup> • وقد وقع اختيار المهدي على الحسين لانه كان عارفا باحوال تلك الجهة اذ كان مقبلا بالقرب من تبارك الله على نهر عطبرة • فسار الحسين مع اتباعه حتى وصل القلعة ارانج وهي احدى مراكز قبيلة الشكرية ، فجمع اهلهما وزحف بهم على القصارف • وكان بالقصارف محمد ابن الشيخ عوض الكريم ابو سن مامرا عليها ومعه محمد لغا القائد التركي على راس مائتي جندي وموسى افندي حسن



على رأس مدفعين ومعهم عدد من التجار الاجانب . فارسل لهم للحسين خطابا كان يحمله معه من المهدي<sup>٤</sup> وخطابا لآخر من غده يدعوهم الى اتباع المهدي وبعدهم بحفظ مالهم وسلاحهم . وبما ان الحامية كانت ضعيفة وبعيدة عن مراكز الحكومة العامة فقد قررت التسليم ، وسلمت في ٢١ ابريل ١٨٨٤ ( ٢٤ جمادى لخر ١٣٠١ ) ، وما ان استلم الحسين المدينة حتى قام بجمع ما بها من اسلحة وذخائر كما صادر بضائع التجار واودعها جميعا في بيت المال . واجبر النصارى من التجار على دخول الاسلام وقام بقطع خط التلغراف بين القصارف والقلايات .

اما الرواية الثانية فقد اوردها سعد رفعت في تقريره الذي كتبه عن اخلاء القلايات . فقد ذكر ان عبد الله ولد عوض الكريم ابو سن قد توجه الى المهدي بعد واقعة هكس وان المهدي قد عينه اميرا على قبيلة الشكرية<sup>٦</sup> . ثم يذكر ان المهدي قد ارسل الامير

٤ المهدي الى عوض الكريم احمد ابو سن واخريين من عائلة ابو سن ، في ربيع اول ١٣٠١ ، منشورات المهدي ، جزء ٢ ، ص ٩١ .

٥ نفوس<sup>شفيق</sup> ، ص ٨١٦-٨١٧ .

٦ الواقع ان المهدي قد عين عبد الله عوض الكريم ابو سن عاملا على حلة رفاعه وجعله تابعاً لعبد الرحمن النجومي . وكان ذلك التعيين في ٢٥ محرم ١٣٠٢ ( ١٠ / ١٨٨٤ ) راجع منشور المهدي الى عبد الله عوض الكريم ابو سن في : المشهد ، نمرة ٤٢٢

٧ ولد الشيخ الطيب ب خطاب الى محمد عوض الكريم ابو سن وعنه عبد الله<sup>٨</sup>  
 يطلب منهما اخذ الجيخانم والاسلحة من العساكر . فقاما بدعوة الناس الى المهديـة  
 وسلمت لهما الحامية فذهبوا الـاهالى وفرضوا على الـاربيين الذين بالمنطقة اعتناق المهديـة<sup>٩</sup> .  
 نجد ان الروايتين تتفقان على ان حامية القضايف سلمت دون كبير عـناء وان  
 تسليمها قد تم بمعاونة القبائل المحلية واهمها قبيلة الشكرية . ولكنهما تختلفان فـى  
 شخصية القائد الذى تم على يده سقوط المدينة فنجد شقير يتحدث عن الحسين بنـما  
 يذكر رفعت الـ ابو سن فـى المقام الـاول . من المـؤكد ان قبيلة الشكرية بقيادة زعيمها  
 الشيخ عوض الكريم لم تسرع الى الاستجابة لدعوة المهديـة . فقد كانت قبيلة الشكرية  
 وزعيمها لهم وضع ممتاز فـى التركية . وهى قبيلة غنية زراعيـا ولها ثروة حيوانية كبيرة ،  
 وكانت على جانب من الاستقرار . لكل هذه الاسباب نجدها قد عارضت الدعوة

٧ يقصد عبد الواحد وليس عبد المحمود

٨ لا يتحدث رفعت فـى تقريره عن عوض الكريم ابو سن ولا يعتبره من ضمن من خاطبهم  
 المهديـ بل يعتبره من المـؤيدين للحكم التركى - المصرى . وايـده هـولت فـى  
 هذا الرأى - P. I. Holt, The Ishdiat State in the Sudan, 1881-1898, (Oxford 1958)

٩ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٢ ، ص ٤٥

الجديدة ووقف زعماءها من المهديّة مؤقتاً بعدّ اما متشككاً او معادياً • على ان عبد الله احمد ابو سن كان اسرع زعماء الشكرية استجابة للمهديّة ولكن هذه الاستجابة قد جاءت بعد سقوط القضايف عندما بدأت كفة المهديّة في الترجيح • ولكن رواية سعد رفعت قد وجدت قبولاً لدى بعض الكتاب فقد اخذ بها ونجت وهولت<sup>١٠</sup> ان اضربا ان عبد الله عوض الكريم هو الذي استولى على القضايف • ومن الواضح انهم جميعاً خلطوا بين عبد الله عوض الكريم وعبد الله احمد ، فالاول قد عين عاملاً على حلة رفاعه ولم يرتبط اسمه بتاريخ هذه المنطقه في المهديّة في تلك الفترة المبكرة •

لذلك نجد ان رواية شقير اقرب الى الحقيقة لانها تشبه تماماً الطريقة التي كان يسير عليها المهدي في نشر دعوته في البقاع المختلفة • فالمهدي قد بعث بالحسين الى القضايف وحمله رسالة اورسائل الى زعماء واهل المنطقه • فقام الحسين بالاتصال بزعماء الشكرية واهمهم عوض الكريم واخوه عبد الله وقد كان يرسلهم المهدي حتى قبيل سقوط القضايف<sup>١١</sup> • واستطاع الحسين بمعاونة آل ابو سن ان يستولى على القضايف •

op.cit,

Wingate, P. 151; P.M. Holt, The Mahdist State, P. 148 ١٠

١١ ابو سليم ، المرشد ، نمرة ٢٠٢ ، ٢٠٨

وبما أن المهدي كان يفضل أن يتولى زمام القبائل إدارة مناطقهم فقد عين عبد الله أحمد أبوسن عاملاً على القضايف ثم دعاه إليه ليخف على حقيقة ولاته ، وطلب من الحسين أن ينوب عنه حتى حين عودته . وفقد ذلك الوقت والمهدي يشير إلى عبد الله على أنه عامله على القضايف ، بل نجده بعد شهرين من تلك المقابلة يحينه عاملاً على جهات " بحر ابهره " <sup>١٢</sup> . فالحميين هو الذي استولى على القضايف وعهد الله أبو سن أصبح عاملاً عليها فيما بعد .

بعد أن استولى الحسين على القضايف سار بانصاره على المراكز المجاورة . فتقدم إلى القومات وكان بها محمود بك عيسى زايد شيخ قبيلة الضبانين ، الذي سلم استجابة لدعوة المهدي . وبالرغم من استجابة ولد زايد السريع إلا أنه لم يكن صديق الأيمان بالمهدية وقد تجلى هذا في صراعه مع الخليفة . ثم دعى الحسين عرب الحمران التي المهدية فاستجاب جزء منهم بقيادة الشيخ عمرو الكردى ، والنجباء الجزء الآخر بقيادة العجيل عوض الحمراني إلى الحبشة في جهة غبته حيث أخذ يهاجم دولته

---

١٢ المهدي إلى عبد الله أحمد أبوسن ، في ٥ ربيع ثاني ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر

المهدية هجمات مباغتة ومتكررة بغرض السلب والنهب • ثم تقدم الحسين الى الصفوى  
 وكان بها بعض الجعليين من سلالة الملك نمر فانضموا اليه • وانتقل بعدها الى دوكسة  
 وهي من اهم مراكز الضبانية وكانت بها حامية تركية صغيرة مكونة من عشرين جنديا  
 بقيادة محمود اغا محمد التركى وبها ايضا الشيخ عجب ولد النسي/زايد وسلموا جميعهم ١٣  
 وكيل ولد  
 لم يبق بعد ذلك من المراكز الهامة الا القلايات والجيرة فالتفت اليهما الانصار •

يرجع اهتمام الانصار بالقلايات الى الفترة الاولى من الثورة المهدية • فقد  
 حدث اول اشتباك مع اعدائهم فى مركز زرقة التابع للقلايات حوالى مايو ١٨٨٢  
 " رجب ١٢٩٩ " وذلك عندما حضر شخص يدعى محمد ولد ماجوك ١٤ ومعه جماعة  
 من البقارة الموجودين بالرهدة الى جهة زرقة • فقام بالهجوم عليها واحتلها وقتل من  
 بها من الرجال وضم ما بها من اموال • وعندما وصلت الاخبار الى صالح شنقا عين محمد

١٣ نعم شقير ، ص ٨٩٦-٨٩٧

١٤ يكتب نعم شقير هذا الاسم " ماجوك " ويكتبه سعد رفعت " ماجوك " وفى  
 اعتقادي ان " ماجوك " اكثر صحة لانه اقرب الى التعبير بالعربية فى قولهم  
 " ماجار " اليك • وبما ان شقير قد كتب بعد رفعت بفترة طويلة فلعله تحقق  
 من هذا الاسم • ويكتب هذا الاسم احيانا " مجوك " •

بك السيد على رأس مائة وخمسين من الخيالة وثلاثمائة من البيادة من التكاير وارسلهم الى زرقه فوجدوا البقارة مقيمين بها ويستعدون للخروج الى سرف عردية وهى من المراكسز التابعة للقلابات . فنشب بينهم قتال استمر ساعة هزم بعده الانصار وانسحبوا مسن زرقه<sup>١٥</sup> . ولكن ولد ماجوك عاد ثانية فى اواخر اغسطس " رمضان " بعد ان استعاد قوته بمساعدة مشايخ الحمدة . بل ان احمد ولد للرضى ابن اخ شيخ الحمدة صاحب ولد مجوك فى حملته هذه . فقام ولد مجوك باحتلال سرف عردية واخذ يستعد للهجوم على القلابات . وكان شيخ سرف عردية قد هرب الى القلابات حيث افضى السى صالح بكل ماحدث . فقام صالح على رأس ثلاثة الاف نفر من توابعه ومعه محمد بك السيد واروى باشوزق لصد الانصار قبل وصولهم الى القلابات . والتقوا بهم عند خور القتا " سبتمبر / شوال " حيث دارت بينهما معركة فقد فيها الانصار عددا كبيرا من القتلى من بينهم الشيخ ولد الرضى واستطاع ولد ماجوك ان ينجو بنفسه<sup>١٦</sup> . ويبدو ان قوة مركز القلابات جعلته لا يكرر المحاولة ولم يظهر له اى نشاط بعد ذلك . ويحدد شخير

١٥ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٣

١٦ المصدر السابق

تاريخ هذه المعركة يوم ٢١ صفر ١٣٠٢ هجرية ويضع تاريخها المقابل بالميلادى يوم ١٠ ديسمبر ١٨٨٤<sup>١٧</sup> ، بينما التاريخ الميلادى الصحيح هو يوم ٢٢ ديسمبر ١٨٨٣ . وحتى اذا وضعنا هذا الخطأ جانبا سنجد ان كلا من التاريخين يضعان هذه الاحداث فى وقت متأخر من الثورة المهدية عندما قويت واشتد عودها ، بينما لاتعدو هــذـه المحاولات عن مناقشات اوليه قام بها مجموعة من الاعراب بدافع من الحماس قبل ان تصلهم دعوة المهدية فى شكلها الرسمى . وطيه فان تاريخ معركة خور القنا هو سبتمبر ١٨٨٢ " ذوالقعدة ١٢٩٩ هـ " كما حدده سعد رفعت .

وتبدأ المرحلة الثانية من حروب الانصار فى منطقة القلايات بعد سقوط القضايف وتحول قوة الانصار نحوها . وكان المهدي قد حمل الحسين خطايا الى صالح شنقا يطلب منه اتباع المهدية والقيام من اجل نصرتها ويصفح عنه لما سلف منه من اعمال عدائية ، ولعل للمهدي كان يقصد حروبه مع الانصار فى زرقه وخور القنا . فارسل الحسين الخطاب الى صالح مع احد التجار بالقضايف ويدهى دفع الله الكثر<sup>١٨</sup> . فرد صالح

١٧ لا نعوم شقير ، ص ٨٩٨

١٨ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٤

شنقا بخطاب الى الحسين بتاريخ ٢٧ ابريل ١٨٨٤ ( ١ رجب ١٣٠١ ) قال فيه  
 " . . . انى انا واهلى التكارنه مسلمون للمهدى ولكن العساكر الذين يهدم الحاميه غير  
 مسلمين فامهلونى ريثما ادبر انجيله للخلاص منهم " . . . فانصل الحسين بالمهدى بمشيره  
 فى طلب المهله التى حددوها صالح بثلاثة اشهر وذكر الحسين للمهدى ان موسم الامطار  
 وشيك الهدايه فقبل المهدى <sup>١٩</sup> . اما صالح شنقا فانه لم يقصد من تلك المهلة الا  
 ليجد الوقت الكافى ليستعد لصد هجوم الانصار المرتقب . ولذلك ما ان عاد رسول  
 الحسين حتى قام بالاتصال بالضباط فى القلايات واتفق معهم على الاستعداد لتحصين  
 الحاميه للمقاومه . كما قام بالاتصال بغردون فى الخرطوم وباحمد غت فى كسلا يطلب  
 منهما نجده . ولكنهما لم يكونا فى وضع يمكنهما من مساعدته اذ كانا ايضا يستعدان  
 لمواجهة هجوم مرتقب <sup>٢٠</sup> . ليس بمستغرب ان يقف صالح شنقا موقفا معاديا للمهديه  
 وان يستمر على موقفه هذا حتى النهايه ، فقد كان له وضع ممتاز فى التركيه وكان يستفيد  
 من الحركه التجاريه التى كانت بين البلدين ، وكانت له علاقه وديه مع الحبشه ويستطيع

---

١٩ نعم شقير ، ص ٨٩٨

٢٠ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٢٥



## الاتجاه اليها في وقت الشدة •

لما الحسين فقد بقي في دوة حتى انقطعت الامطار فكتب الى صالح يطلب منه ان يسلم • ولكن صالح عاد ثانية الى المخادعة وطلب مهلة ثلاثة اشهر اخرى ، واصحب طلبه بودية الى الحسين عبارة عن كمية من البن والعسل و خمسمائة ريال • عند ذلك ادرك الحسين ان صالح يحاول فقط كسب الوقت فصمم على حربه • وقبل ان يبدأ الحسين في العمليات الحربية مود لها بخطاب ارسله الى الشايقة القيميين بالقلابات وصفهم فيه بالاخلاص والصدق وطلب منهم القيام باسم المهدي<sup>٢١</sup> • وكان الحسين يرمى من هذا الخطاب لضعاف الموقف الداخلي للحامية وذلك بيث الفرقة بين صفوفها • ولكن الشايقة لم يتجاوبوا معه كما كان يتوقع • فانقل بعد ذلك الى العمل العسكري وقسم جيشه الى قسمين ذهب بقسم لحصار الجبرة وارسل القسم الاخر الى القلابات •

استمر صالح شنفًا من جانبه في مخاطبة الخرطوم وكسلا املا في الحصول على نجدة عسكرية فقد كان يجهل الظروف القاسية التي كانت تمر بها الحكومة التركية ففى

هذه الفترة • فكتب الى غردون في ٢٢ سبتمبر ١٨٨٤ (الحجة ١٣٠١) قائلاً  
 "..... اننا محاطون بالاعداء من كل الجهات : الشكرية والضبابية والبعليين من  
 جهة دوكه ، والحمدة من جهة الرهد • ولكننا لانزال ثابتين على الحصار ولازلنا  
 نواصل مركز كسلا بالمكانبات <sup>٢٢</sup> " •

بدأ اول هجوم للانصار على سرف سعيد ومنها تقدموا لحصار القلابات •  
 فبعث صالح باخيه عثمان على رأس ستائة من اهله التكاير وارسل معه محمد بك  
 السيد مع عدد من الفرسان • فالتقوا بالانصار عند تل بين سرف سعيد ومريود يوم  
 ٧ نوفمبر ١٨٨٤ محرم ١٣٠١ حيث دارت بينهم معركة انتهت بهزيمة الانصار <sup>٢٣</sup> •  
 ورجعت القوة الى القلابات وجمع الانصار شتاتهم ليشددوا حصارهم على الحامة •  
 في هذا الاثناء كان قد تم اتفاق بين الحكومة المصرية والملك يوحنا في يوليو  
 ١٨٨٤ ( رمضان ١٣٠١ ) بشأن سحب الحاميات المصرية على الحدود عن طريق الحبيشة •

٢٢ نعم شقير ، ص ٨٩٨

٢٣ المصدر السابق ، ص ٨٩٩

وكانت الحكومة المصرية قد أرسلت الأدميرال هيوت<sup>٢٤</sup> وماسون بك للتفاوض مع يوحنا •  
 وقد لجأت الحكومة المصرية إلى هذه الخطوة بعد أن قطع عثمان دقنة طريق سواكن -  
 بربر وبعد أن احتل محمد الخير بربر وأغلق طريق الشمال فلم يعد هناك من طريق  
 لانتفاذ حاميات الحدود الشرقية إلا طريق الحبشة • وانتهت المفاوضات بموافقة يوحنا  
 على تسهيل مهمة سحب الحاميات عن طريق بلاده على أن يعاد له الجزء من منطقة  
 ارتريا الحالية والذي كان تحت سيطرة الحكومة المصرية • فوافقت الحكومة المصرية • وقام  
 الكولنيل جيرم شايد ، حاكم دار شرق السودان وسواحل البحر الأحمر بتعيين البكباشي  
 سعد رفعت للقيام بتنفيذ الانسحاب • وعين يوحنا قائده دهنشم ومعه خمسة وعشرين  
 جنديا لمعاونته<sup>٢٥</sup> • وخرج سعد رفعت من مصوع في ٢ أغسطس ١٨٨٤ ( ٩ شوال  
 ١٣٠١ ) قاصدا الغلايات • فمر على اسمره ( مقر الراس الولد ) ومنها ذهب لمقابلة يوحنا  
 في عدوة ليطلب منه تعيين العدد الكافي من الضباط والجنود لمساعدته في مهمته •  
 فاستجاب يوحنا لذلك الطلب وعين الراس جره مدهن ليقوم مع دهنشم بتقديم تلك

٢٤ الأدميرال هيوت (Hewett) هو قائد الاسطول البريطاني الذي أرسل إلى سواكن  
 لتعزيز الموقف العسكري فيها بعد انتصارات عثمان دقنة على فلنتين بيكر •

المساعدة • وغادر سعد رفعت عدوة وهو مطمئن على موقفه وسار يتنقل في المسدن الحشبية التي تقع على طريقه فمر باكسوم ومنطقة تكازى - وهي الجزء الحشبي من النمل الأزرق - حتى وصل الى ديبيا (مقر الراس تسما) ، ثم قنذار (مقر الراس كفلو) ومنها الى وهنى (مقر الراس اخنشوم جبر) حتى انتهى الى شلقا (مقر الراس تواردي امباي) ، فوصل ضواحي القلابات في نوفمبر • ويذكر شقير ان تاريخ وصول الحملة هو ١٢ ديسمبر وان خروجها من صوع كان في ١٨ أغسطس وهذا يعنى انها مكثت في الطريق ٦ اشهر وهو امر بعيد الاحتمال • فاذا تذكرنا ان صالح شنقا كان قد كتب الى حامية الجيرة في نوفمبر يخبرها بقدوم سعد رفعت لادركنا ان التاريخ الذي ذكره شقيرا لم يكن دقيقا • وقد ترتب على هذا الخطأ ان اعطى شقير بقية التواريخ الاخرى المتعلقة بهذه الحملة بطريقة غير دقيقة •<sup>٢٦</sup>

وبعد ثلاثة ايام من الراحة تقدم سعد رفعت بجنوده وهاجم الانصار الذين كانوا يحاصرون القلابات • واستمرت المعركة لثلاثة ايام متتالية تمكنت بعدها حامية القلابات من الخروج من استحكاماتها وانضمت الى سعد رفعت • اما الانصار فقد تراجعوا

بعد هزيمتهم حتى نهر الرهد . ثم دخلت الحملة المصرية الى القلايات وقامت بتسليم  
الاسلحة والذخيرة الى الحبشة حسب الاتفاق . وفي اواخر عام ١٨٨٤ (مطلع عام  
١٣٠٢) خرجت الحملة من القلايات ، وفي ٥ مارس ( ١٨ جماد اول ١٣٠٢ ) تحرك  
محمد ولد ارباب من سرف سعيد واحتل القلايات <sup>٢٧</sup> .

ثم قام صالح شنقا بتزويد الحملة بكل مستلزمات الرحلة لعودتها . وسارت  
الحملة الى دميها حيث مكث اثنى عشر يوما . وذهب سعد رفعت لمقابلة يوحنا  
في دير تاهور ليعهل له مهمة عودته . وكان رفعت قد واجهته مصاعب شتى ففى  
طريق عودته . فتدخل يوحنا وذللها . وبعد اربعة اشهر عادت الحملة الى مصر  
حيث وصلت في مايو ١٨٨٥ (شعبان ١٣٠٢) <sup>٢٨</sup> . اما صالح شنقا فقد عاد مع  
الحملة الى الحبشة واصبح من ضمن رعية يوحنا واصبح احد رؤساء دولته على الحدود  
الغربية في دير شينه على مسافة خمسة اميال من القلايات . ومن تلك القاعدة اخذ صالح

---

٢٧ محمد ولد ارباب من تكرانة القلايات وكان قد سمع بالمهدي فخلق به . ثم بعثه  
المهدي اميرا على اهل القلايات . وذكر سلاطين في كتابه (Fire & Sword)  
(405) . ان ولد ارباب هو ابن عم صالح شنقا .

٢٨ سعد رفعت ، التقرير ، ص ١٤ وما بعدها .

شققا بهاجم دولة المهدية من وقت لآخر<sup>٢٩</sup> وبذا أصبحت دولة المهدية تواجه نفسى  
 جهة القلايات دولة الحبشة الذى ادى دخولها الى تصعيد الصراع فى تلك المنطقة ،  
 وتواجه كذلك القبائل المحلية التى انضمت الى الحبشة واهمها التكاير بقيادة صالح  
 شققا .

مثلا واجه الانتصار صعوبات فى القلايات ممثلة فى قوة تحصين الحامية وتدخل الحبش  
 واجهوا كذلك صعوبات مماثلة فى الجيرة . وقد بدأ حصار الجيرة فى مايو ١٨٨٤ ( رجب  
 ١٣٠١ ) بواسطة محمود عيسى زايد<sup>٣٠</sup> . فارسل ولد زايد خطاها الى الحامية يطلب فيه  
 تسليمها له واعتناق المهدية . ووضح من خطابه ان مقاومة الحامية لاطائل تحتها لانه  
 يقف على راس مائة الف مقاتل بخلاف افراد القبائل المحلية الاخرى<sup>٣١</sup> . ولكن الحامية  
 رفضت التسليم معتمدة على تحصين قلعة الجيرة وموافاة فى وصول امدادات لها ولذلك

٢٩ الكردفانى ، الطراز المنقوش ، ص ٤٦-٤٥

٣٠ كانت بين محمود عيسى زايد والحبش حروب منذ العهد التركى - العبرى ولعلها  
 كانت مجرد غارات قبيلة على الحدود . وقد خلد ولد مري ، شاعر ولد زايد ، بعض  
 تلك الحروب فى شعره . فيشير فى احدى قصائده قائلا :

محمود يا حصد الهجيد روكه صقر المتر القرع الحبش من دوكه

٣١ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٦-٧

لجأت الى التحايل لكسب الوقت فطلبت التفاوض مع ولد زايد وارسلوا له الموزياشى موسى افندي غت ، وهى نفس الخطة التى اتخذتها حامىة القلايات من قبل . فوضح غت لولد زايد ان التسليم امر صعب لان العساكر لم يفهموا دعوة المهدي وان ايمانهم بها لن يكون عن طريق القوة بل التريث والاقناع وهذان يحتاجان الى وقت . فوافق ولد زايد على اعطائهم مهلة ثلاثة اشهر ثم يسلموا بعدها . فاعتنمت الحامية بهذه الفرصة واخذت تعد نفسها للدفاع ضد الهجوم المتوقع . فقاموا بتخفيض خط دفاعهم وحصروا انفسهم فى نطاق ضيق يتناسب وعددهم المحدود . وبعد انقضاء الاشهر المحدودة رفضت الحامية ان تسلم فيها لاجمها الانصار . ومن ذلك الوقت وحتى خروج الحامية فيما بعد استمر الانصار يهاجمون الجيرة دون انقطاع ودون ان يتمكنوا من اختراق تحصيناتها المنيعه . وفى اكتوبر ١٨٨٤ ( محرم ١٣٠٢ ) قام الامير احمد ولد ضاوى بهجوم فاشل على الجيرة <sup>٣٢</sup> . وفى نوفمبر " محرم " حضر عبد الله احمد ابو سن ليقوم بهجوم فاشل اخر وفى نفس الشهر تبعه عوض الكريم زايد بهجوم فاشل ثالث ، وكان

---

٣٢ كان المهدي قد ارسل احمد ضاوى الجبرتي اميرا على " جهة الحبشة " ولكننا لانجد تحديدا لتلك الجهة ولم يظهر نشاطه الحربي حتى ظهر مع الانصار في حصار الجيرة .

الانصار قد فقدوا عددا كبيرا من اتباعهم اثناء تلك الهجمات المتكررة بينما لم تتعد خسائر الحامية عشرة قتلى وعدد قليل من الجرحى <sup>٣٣</sup> . وفي اواخر نوفمبر ( صفر ) حضر الحسين بجزء من جيشه وقرر ان يفرض حصارا على الجيرة حتى تستسلم . ويبدو ان الانصار قد قرروا حصار الجيرة بعد فشل هجماتهم عليها مقتفين اثر المهدى عندما قرر حصار الابهض بعد فشل هجومه الاول عليها .

اما حامية الجيرة فقد كانت تقوم من جانبها بالاتصال بالحكومة التركية موضحة حالها ومستعجلة بجدتها . فقد ارسل البكباشى فضل الله قائد الحامية خطابا الى حاكم مصوع بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٨٨٤ ( ٤ صفر ١٣٠٢ ) يصف الحصار الذى تواجهه الجيرة فيقول " . . . جاءنا الشقى الحسين هدد الواحد بثمانيه الف رجل ودعانا الى التسليم فرددنا بالحصنه وقد سبق سالتكم المدد وكنت ارجو ان يصلنى فى شهر فخاب رجائى والان ارسل المهدى كتابا يدعونى فيه الى التسليم لاحد امرائه القريبين وارسل عدة تحارير بهذا المعنى وانا لا ازال اخادعهم واطاولهم حتى ياتينى المدد . وفى ٧ نوفمبر عاد الحسين عبد الواحد ومعه الطاهر تاتاي وعبد الله الطريفي والسمانى احمد ومحمود ود زايد



واعادوا طلب التسليم منى فسالتهم فرصة شهر املا فى وصول المدد . وارسلت رسلا الى معسكرهم لاتجسس احوالهم . . . . . وقدنا انبه على الثبات الى ان تأتينا النجدة وهم الان يهاجمونا كل يوم وقد انقسموا فريقين فريق لقتالنا وفريق لحصرنا واصبح مركزنا من اخرج المراكز . نعم ان الطايه حصينه ولكن العساكر قليلون كما تعلمون لذلك ارجو ان تسرعوا بارسال المدد ولو اورطتين تأتيا عن طريق الحمران<sup>٣٤</sup> . يوضح هذا الخطاب تفاصيل الحصار وحالة الحامية وقد هورها بعد ان انهكت قواها فى صد هجمات الانتصار المتلاحقة وبعد ان اشتد عليها الحصار حتى اكل الجنود القش والجلود . ولكن الحامية ظلت تتعلق بالامل خصوصا وان صالح شفا كان يكاتبهم ويعدهم بقرب وصول النجدة كما استمر فى الاستنجاد بفردون<sup>٣٥</sup> .

وكما تقدم فان خلافا قد نشب بين الحسين وبقية القواد فرفع الامر الى المهدي الذي خطا الحسين وبعث فى طلبه وعين بدلا عنه محمد ولد ارباب فجا . ولد ارباب اميراطى القلايات فى ٢٥ ديسمبر ١٨٨٤ ( ٢ ربيع اول ١٣٠٢ ) وبقي عبد الله الطريفى على راس الجيش فى حصار الجيرة<sup>٣٦</sup> . واخذ المهدي يكاتب انتصاره ويناشدهم بالصمود

٣٤ نعم شفير ، ص ١٠١-١٠٢

٣٥ Holt, The Mahdist State, P.148

٣٦ نعم شفير ، ص ١٠٠

ويستحثهم على تشديد الحصار فكتب الى ولد زايد خطابا بتاريخ ١٧ فبراير ١٨٨٥ (٢ جماد لخر ١٣٠٢) يقول فيه " . . . ليكن التشهير في حصر اهالي الجيرة وقطع العمود عنهم بالكلمة حتى يهلكهم الله تعالى فيصيبهم بعذاب من غده . . . واوصيكم بتقوى الله ما استطعتم والتشهير فيما انتم بصدده وعدم الالتفات الى ماسوى الله <sup>٣٧</sup> " وكتب خطابا اخر الى عبد الله الطريفي والظاهر تاتاي وعبد الله احمد ابوسن بتاريخ ٢٧ ابريل (١٢ رجب) قائلا " . . . وما دام انكم الان محاصرين لاعداء الله بالجيرة فدموا على محاصرتهم والتضييق عليهم حتى يهلكهم الله على يدكم ويسلموا <sup>٣٨</sup> " ووضح من هذه الخطابات ان المهدي كان يحاول ان يعكس لانصاره تجربته في حصار الابيض التي ارغمها على التسليم بعد تجويعها . ولكن الابيض في وسط السودان معزولة عن بقية المراكز اما الجيرة وشلبها القلايات فهما على الحدود الحبشة والمهدي لم يعط اعتبارا كافيا لوجود الحبشة على الحدود والتي هي النعصر الحاسم في انقاذ تلك الحاميات . فاستمر الانصار يشدون حصارهم على الجيرة والحامية تقاوم معتمدة على وضعها

---

٣٧ المهدي الى محمود عيسى زايد ، ٢ جماد لخر ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر ١ ، ص ١٢

٣٨ المصدر السابق ، ص ١٥

الحصين • ويقول سعد رفعت ان حامية الجيرة كانت تعتمد على ولد زايد الذي كان  
يمدها سرا بالخبار الحصار واحوال الانصار<sup>٣٩</sup> • وليس هذا بامر مستبعد لان ولد زايد  
لم يكن منذ البدايه عميق الايمان بالمهدية ولعله ضاق بطول الحصار وتعدد الهجمات  
وما صاحبها من تضحيات فرأى ان امر المهدية يميل الى زوال فآثر ان يعيد ولاءه للحكومة  
التركية • وسرى كيف خرج ولد زايد على المهدية وناصبها العداء •

في تلك الفترة كان قد تم الاتفاق على ارسال سعد رفعت فكتب حاكم مصوع  
الى فصل الله قائد حامية الجيرة يبشره بالخبر : " ... ان الحبش اتون لانقاذكم قريبا  
فالخلوا لهم الطابيه وسلموهم الاسلحه والذخائر وهم اتون بكم الى مصوع ... " فقام فضال  
الله بارسال الملازم ابراهيم حزين الى النقص يوحنا في دبر تاير يستعجله الحضور<sup>٤٠</sup> •  
وكان صالح شفا قد ارسل ايضا رساله الى حامية الجيرة يبلغ جنودها بقدم سعد رفعت  
على رأس قوة من الحبش لانقاذهم • وفي نهاية نوبت تمكنت اثنان من الجنود الحبش من  
دخول الجيرة وسلما قائدها رساله من يوحنا يبشر الحامية بقرب قدوم الحملة لفسك  
٤١  
حصارهم وانقاذهم •

٣٩ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٧

٤٠ نعم شقير ، ص ٢٠٢

٤١ سعد رفعت ، التقرير ، ص ٧

فى ذلك الوقت لم يكن المهدي فى موقف يمكنه من تقديم اى مساعدة الى انصاره فى الجيرة والقلابات فقد كانت تلك الفترة هى الاشهر الاخيرة من حصار الخرطوم اذ كان المهدي قد حضر بنفسه فى اكتوبر (محرم/صفر ١٣٠٢) واقام معسكره فى ابي سعد، وكان يحتاج لكل قوته وعاد لتحقيق النصر الكبير بفتح الخرطوم التى تم احتلالها فى يناير ١٨٨٥ (ربيع ثانى ١٣٠٢) . وبعد فتح الخرطوم انشغل الانصار بانتصارهم وبوضع اسس الدولة الجديدة ثم بوفاة المهدي المبكره فى ٢٢ يونيه ١٨٨٥ (١ رمضان ١٣٠٢) وبالخطمى الاكبر من الشمال .

فى تلك الفترة الحرجة بالنسبة للسلطة المركزية فى ام درمان وهى عاجزه عن تقديم اى مساعدة ثم سحب حامدة الجيرة عن طريق الجيش الذين ارسلوا قوة قوامها خمسون الفا وعلى راسها عدد من القواد هم وجاج تسما وراس حقوص تكازى وراس اكسم قبرو حاكم دميا . وصلت الحملة الى نواحي الجيرة يوم ٢١ يونيه (١٦ رمضان) وكان وقتها امراء الانصار فى خلاف فيما بينهم ، فلما شاهدوا العدد الضخم من الجيش تفرق اغلبهم من امامه ودارت المعركة مع من ثبتت من الانصار فانتهت بهزيمتهم ودخول الجيش الى الجيرة يوم ٣ يوليو (٢١ رمضان) <sup>٤٢</sup> . واستلم الجيش كل ما بالحامدة من اسلحه وذخيرته وكانت

عبارة عن ثلاثمائة بندقية رامنتون وستمائة بندقية بالكبسول وثلاثة مدافع صاروخ • ففى ٧ يوليو ( ٢٤ رمضان ) خرجت حامية الجيرة الى غيبته حيث مكثت بها حوالى خمسة اشهر نسبة لطول الامطار ومضها واصلت سيرها الى مصوع فالقاهرة<sup>٤٣</sup> • وبعد انصحاب الحامية دخل الانصار واحتلوا نقطة الجيرة • وقد سجل قواد الانصار هذا الحدث فى خطاب بعثوه الى الخليفة - اذ كان المهدي قد توفى • وذكروا للخليفة انهم صدوا امام الجيش وان الحبش لم يتمكنوا من دخول المدينة الا من جهة بحر سيتيت • وقد رد عليهم الخليفة بخطاب قال فيه " ... ان خطابكم المشتمل على ايضاح مقصود ماصار من امر نقطة الجيرة وعلى وقايحكم مع اعداء الله الحبش وقتلكم لهم مرارا وتوليتهم الادبار واستلامهم لنقطة الجيرة ولخذهم لها بجهة بحرسيتيت وغير ذلك مما بالجواب واقتضاه علو هميتكم وتشجيعكم فى الله وتشجيتكم لجموع اعداء الله الحبش بتلك النقطة<sup>٤٤</sup> • من الواضح ان قادة الانصار لم يعطوا وصفا صادقا لما حدث ولكن الخليفة كتب رده هذا تحت تأثير النتيجة النهائية وهى احتلال نقطة الجيرة •

لم يقتصر الصراع بين الانصار والحبش على القلايات والجيرة فحسب ، بل امتد الى

---

٤٣ نعموم شقير ، ص ٩٠٢

٤٤ الخليفة الى قواد الانصار بالجيرة ، صادر ٢ ، ص ٢١

جبهة اخرى على الحدود مثل قديى وتبارك الله حيث اشعل الانتصار ثورة اخرى بقيادة النور ولد فقرا • وولد فقرا هذا من الجبرته وهم مسلمو الحبشة وكان فى القضايف عند اندلاع الثورة المهدية فهاجر الى المهدى فى كردفان حيث بايعه اميرا وبعث به لرفع راية المزدية وسط اهلهم • فعاد النور الى القضايف وجمع حوله عددا من الضبانية ونزل بهم على قديى وهى قرية على الحدود للحبشة يسكنها تكارير وحبش فاستنجد اهلها بصالح شنقا الذى اتصل بدوره بدهنشوم الذى كان قد وصل القلابات مع سعد رفعت • وطلب صالح من دهنشوم معاونته لصد هجوم الانتصار على قديى لان جزءا منها تابع للحبشة • فتجمع لدى صالح خمسة واربعون الف مقاتل سار بهم الى قديى وهاجم بهم الانتصار يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٨٤ ( ٢ صفر ١٣٠٢ ) ، وهزمهم وفقد الانتصار نفس المعركة حوالى سيمائة قتيل وجرح ولد فقرا نفسه • فاستنجد بالانتصار المحاصرين للجيرة ووصلته نجدتهم بعد ثلاثة ايام • فقام باعادة الهجوم على قديى ولكنه انوزم للمرة الثانية فراجع عن قديى وانضم الى الحسين فى حصار الجيرة <sup>٤٥</sup> •

يبدو ان النور ولد فقرا لم يجد تعاونا من امراء الانتصار فى الجيرة فكتب يشكوهم

الى المهدي • خصوصا وهم من القلائل الذين ثبتوا حول الجيرة عند حضور الحبش اليها • وقام ولد فقرا بمخاطبة اهله في الحبشة وفعلا انضم اليه عدد منهم • ثم انفصل عن بقية الامراء وسار باهله الى تبارك الله حيث اخذ في شن الغارات على الحبشة •<sup>٤٦</sup>

### ادارة منطقة القصارف - القلايات في عهد المهدي :

باحتلال القلايات والجيرة اصبحت منطقة القصارف - القلايات خاضعة للمهدية ، فكيف ادار الانتصار هذه المنطقة في عهد المهدي ؟ لم يعيش المهدي طويلا بعد فتح الخرطوم ولكنه استطاع بالرغم من قصر مدته في ام درمان ، ان يحدد الخطوط العريضة لدولة المهدية ونظام الحكم فيها<sup>٤٧</sup> • فقسم السودان الى اقاليم وعين على كل اقليم اميرا واحيانا يسمى عاملا • اما الامير فهو القائد على المنطقة التي بها جيوش والعامل على المناطق الاخرى • وكانت القصارف - القلايات احدى هذه الاقاليم او العمالات • واصبح محمد ولد ارباب عامل المهدية عليها • وقد حدد المهدي مسئولية ولد ارباب بوضوح • وكان اختيار ولد ارباب منفا على معرفته بالجهة ولوجسود اهله

٤٦ مهديّة ، ٢ / ٣٠ / ١ / ٧٩

٤٧ مكى شبيكه ، السودان عبر القرون ، (بيروت ١٩٦٥) ص ٣٤١

التكابر هناك <sup>٤٨</sup> . كما عين المهدي عمالا على كل مركز من المراكز الهامة وحرص  
 ان يكون عامل كل جهة من نفس المنطقة او من زعماء القبائل والبيوت الحاكمة فيها .  
 فعين عبد الله احمد ابوسن عمالا على القضاة <sup>٤٩</sup> ، ومحمود هوسى زايد على الضباط  
 والنور ولد فقرا على تبارك الله وبشير طه على الجيرة . وحرص المهدي على تنبيه  
 عماله بالتعاون والتشاور فيما بينهم <sup>٥٠</sup> . كما عين المهدي الحسين عبد الواحد وعبد الله  
 الطريفي والظاهر تاتاي والسعاني احمد امنا ، وجعل الحسين قدما عليهم وحدد  
 مهمة هو <sup>٥١</sup> لا في منشور بحث به اليهم بتاريخ ٢٢ يوليو ٨٤ ( ٢٦ شوال ١٣٠١ )  
 وحرص مهامهم في النظر في احوال الناس واجراء الاحكام بينهم على ان يترك التنفيذ  
 لروءساء الجهات <sup>٥١</sup> . وقد جرى المهدي في هذا التعيين على غرار الامناء الذين  
 كونهم في امد زمان من عملاء الناس واوكل اليهم مهمة النظر في الخلقات التي تنشأ بين  
 كبار الانصار واصدار احكام بصددها . ويبدو ان مهمة هو <sup>٥١</sup> لا الامناء كانت مهمة

٤٨ ابو سليم ، المرشد ، نمرة ٦٥٤

٤٩ المصدر السابق ، نمرة ٤٣٢

٥٠ مهدي ، فلم ، ١/١/١٠٠ ، ص ١٤

٥١ ابو سليم ، المرشد ، نمرة ٣٦٤



استشارية غير محددة المعالم مما ادى الى صراع بين الامناء انفسهم وبينهم وبين  
بقية العمال .

وكان صراع الامراء والعمال فيما بينهم من القضايا التي شغلت دولة المهدي  
من حد الى حد . وقد بدأت تلك الخلافات حول قضايا شخصية مثل تقسيم الخنائم  
او تضارب اختصاصات العمال ولكنها تطورت في السنوات اللاحقة الى صراع كبير  
بين اولاد البلد واولاد العرب فشغلت الدولة الفتية ، وقت من بعدها . ولعلنا  
نذكر الخلاف الذي نشب بين الطريفي والحسين والذي استمر لفترة من الزمن حاول  
خلالها المهدي ان يسوى الامر بالحسنى فلم يوفق . ويبدو ان الخلاف بينهما كان حول  
تفسير مشكلة من المشاكل واجتهد كل منهما في تفسيرها بطريقة مختلفة عن الآخر<sup>٥٢</sup> . ثم  
تطور الامر الى صراع حاد بينهما حتى انقسم الامناء الى فريقين : الحسين ومعه السعاني  
من جانب والطريفي وتناى في الجانب الاخر وخيرا اضطر المهدي لحسم الخلاف  
بعزل الحسين وجماعته وابقاء الطريفي<sup>٥٣</sup> . ولعلنا نذكر ايضا الشكوى التي تقدم بها

---

٥٢ المهدي الى الظاهر تناهى وعهد الله للطريفي ، ٢ ربيع اول ١٣٠٢ ، مهديّة ،  
صادر رقم ١ ، ص ١٣ .

٥٣ المهدي الى محمد ارباب ، ٢ رمضان ١٣٠٢ ، مهديّة ، صادر رقم ٢ ، ص ١٣ .

النور ولد فقرا ضد القواد الذين رفضوا التعاون معه مما اضطر ولد فقرا اخيرا الى ترك  
 القلابات والاقامة في تبارك الله . وفي اخر عهد المهدي نشب صراع اخر بين ولد  
 ارباب وعبد الله الطريفي . فرفع ولد ارباب الامر الى المهدي وطالب بنقل الطريفي  
 وتأكد امارته على المنطقة . فرد عليه المهدي منتقدا مسلكه وذكر له ان المسلمين  
 يجب ان يتعاونوا ويكونوا كالفنيان يشد بعضه بعضا . كما نصحه بان يستفيد من وجود  
 الطريفي وبقية الامراء لانهم ارسلوا اليه بغرض مساعدته وتقديم العون له . وختم المهدي  
 خطابه بتأكيد اماره ولد ارباب على المنطقة <sup>٥٤</sup> .

اهتم المهدي كذلك بموضوع الزكاة والغنمة لانهما يكونان الدخل الرئيسي للدولة  
 التي ينوي اقامتها ويكونان المحور الذي ارتكزت عليه الادارة في تلك الدولة وحصر  
 المهدي على تطبيق الشريعة الاسلامية في هذا الصدد . لذلك نجده يأمر بجمع الزكاة حسب  
 قوانين الشريعة الاسلامية ووضعها في بيت المال كما كتب منشورا الى محمد خليل عاظمه  
 على الحمدة <sup>٥٥</sup> ، حدد فيه الزكاة الواجبة على المواشي والحبوب والذهب والفضة ،

---

٥٤ المصدر السابق

٥٥ تنقسم قبيلة رفاع الى قسمين : قسم جنوبي وهم رعاة ، وقسم شمالي مستقرون .  
 وينقسم الجزء الجنوبي الى رفاع الشرق او ناس ابو جن والحمدة . ويقضى هؤلاء  
 الرعاة معظم وقتهم في زمن الخريف في البطانة .

كما طلب من عامله هذا ان يتصل ببقية العمال في الجيرة وغيرها من المراكز لتعميم هذه  
 الاراء<sup>٥٦</sup> . وبين المهدي ابراهيم عدلان مندوبا على بيت المال من ام درمان وارسله  
 الى عماله في منطقة القضارف - القلابات بغرض " خدمة الزكوات " وارسلها الى  
 العاصمة وطلب من عماله معاونة ذلك المندوب والانقياد لوامره<sup>٥٧</sup> .

كذلك انشغل المهدي بموضوع الغنمة وطريقة جمعها وصرفها . فقد كتب  
 خطابا الى ولد زايد اخبره فيه بان تترك الغنمة للمجاهدين الذين لاحرفة لهم  
 الا الجهاد وان يؤخذ الخمس من الذين لهم حرفة يعودون اليها بعد انتهاء الجهاد  
 وان يصرف للمجاهدين المنقطعين للجهاد من بيت المال<sup>٥٨</sup> . بهذا يكون المهدي  
 قد وضع الاساس لتكوين جيش نظامي يعتمد على الدولة في معاشه ويبقى دائما على  
 اهبة القيام للجهاد . وقد تطور هذا التنظيم بشكل اكبر في عهد الخليفة .

ولكن مشكلة الغنائم لم تكن بتلك السهولة فهي من القضايا التي شغلت دولة

- 
- ٥٦ مهدي ، فلم ، ١ / ١ / ١٠٠ ، ص ١٤  
 ٥٧ المهدي الى محمد عيسى زايد ، ٢ جماد اخر ١٣٠٢ ، مهدي ، صادر رقم ١ ، ص ١٢  
 ٥٨ المصدر السابق

المهدية وبرزت الى سطح الحياة فيها منذ الاشهر الاولى . فمند ايام المهدي الاولى  
 في قديره هو يحذر اصحابه من كثرة الاهتمام بالغنيمة لانها عرض زائل ومتاع الدنيا  
 الفانية . واستمر المهدي يرسل تحذيراته هذه باستمرار حتى وفاته . ولعله قد  
 راعه تكالب انصاره على الخنائم واهتمامهم الشديد بها وهو الذي بنى دعوته على اساس  
 روحى بحت وانطلقى بها من واقع الصوفية والزهد . حقا لقد جمعت الثورة المهدية  
 غنائم طائلة من انتصاراتها العديدة كانت مصدر لغراء للامراء بل ان بعض من انضم  
 الى المهدي لم يكن " بجذب من نوره الساطع " او لاقتناع يقينى بدعوته بقدر  
 ما كان جريا وراء الاسلاب التى عادة ماتانى بها الحروب ، وجريا وراء الفرس المعيشية  
 الجديدة التى قد يخلقها العهد الجديد . وكان المهدي يرى فى نمو هذا التنافس  
 الدنىوى البحت ما يهدد قلب الدعوة ويصرفها عن تحقيق اهدافها ومرامها التى خطها  
 لها . ولذلك نجده مافى . ينهى عن عرض الدنيا الزائل وقيمتها التى لا تساوى  
 " جناح بعوضة " فكتب الى ولد زايد ، كما كتب الى عماله فى الاقاليم المختلفة ،  
 خطابات فى هذا الصدد . كما امر المهدي بالتشديد على الانصار الذين يجرون  
 وراء الغنيمة وطلب ضبطهم وزجرهم واخذ غنيمتهم واحالتهم الى بيت المال <sup>٥٩</sup> . وهكذا

نجد ان مشكلة الخنائم قد برزت الى سطح الحياة في الدولة المهدية وهي لم يفضى  
على تثبيت اقدامها سوى بضع اشهر .

### علاقة المهدي بالحبشة :

مثلما سارت السياسة الداخلية لدولة المهدية في منطقة القضايف - القلايات  
وفق الخطوط العامة التي رسمها المهدي لدولة المهدية سارت كذلك سياسة  
المهدية تجاه الحبشة وفق الاطار العام الذي حدده المهدي للسياسة الخارجية وبما  
ان منطقة القضايف - القلايات كانت نقطة الاحتكاك الرئيسية بين المهدية والحبشة  
فلا بد من الحديث عن علاقة المهدي بامبراطورية الحبشة في هذه الفترة . لم تخرج  
علاقة المهدي بالحبشة عن حدود علاقته بالبلدان الاخرى فلم تكن دعوة المهدية  
قاصرة على السودان فحسب بل كانت تسعى الى نشر نفوذها خارج حدود السودان وفي  
العالم الاسلامي بالذات . فالمهدي لم يكن يرى العالم دار سلام ودار حرب  
فحسب كما هو معروف في الفكر الاسلامي السائد ، بل كان يراه على اساس مؤمنين  
بالمهدية وغير مؤمنين بها . ولذلك اعتبر كل من لا يؤمن بالمهدية فهو كافر . وطس  
راس هو لا الكفار كان يضع الاتراك ، فهم اعداء الدين الذين شوهوا وجهه

وخبروه • ولذلك كان هدف المهدي الاول في سياسته الخارجية هو مصر • لانها مقر  
 هام للاتراك وربما لاهميتها الاستراتيجية <sup>٦٠</sup> • وقد حدد المهدي الاتجاه العام لسياسته  
 الخارجية في نبوءة واضحة قال ان الرسول اخبره فيها قائلا " .. فكما صليت بمسجد  
 الابهى تصلى بمسجد الخرطوم ثم بمسجد بئر ثم بمسجد المدينة المنورة ثم بمسجد حصر ثم  
 بمسجد العراق ثم بمسجد الكوفة .. " <sup>٦١</sup> يوضح لنا اذا ان المهدي كان ينظر شمالا  
 الى مصر وما بعدها ، وان الحبشة لم تكن تحتل جزءا من اهتمامه مثل اهتمامه بمصر  
 والبلاد الاسلامية الاخرى • ولكن علاقة المهدي بالحبشة لاتخرج عن حدود الفكرة  
 العامة للمهدية التي ترى ان انتشارها يجب ان يعم العالم ، وبذلك تصبح الحبشة  
 دار حرب • ولم تغير مسيحية الحبشة في نظرة المهدي • ولكن الذي اثار في علاقته  
 بالحبشة هو دخول الحبشة الى جانب الحكومة المصرية ومساعدتها في اخلاء الحاميات  
 على الحدود • بهذا اصبحت الحبشة في موقف عدائي مباشر مع دولة المهدية • وقد  
 راي المهدي خطورة وجود دولة معادية له على حدوده الشرقية • فهي ان لم  
 تعرقل فكرة غزوه شمالا ستهدد سلامة الدولة في تلك المنطقة • ولذلك كتب المهدي

٦٠ شبكة ، عبر القرون ، ص ٣٣٧-٣٣٨

٦١ مهدية ، حيدر اباي ، ٥/٨ ، ورقة ٦

الى عماله في منطقة القزارف - القلابات بمراقبة الحبشة والتشديد عليها وتأمين الحدود .  
فكتب الى ولد زايد في ١٧ فبراير ١٨٨٥ ( ٢ جماد اخر ١٣٠٢ ) يقول له ( . . . ) اما  
الحبشة فعما قليل سيهلك الله باقتهم حيث انهم تعينت لحراستهم الانصار من هنا  
فليكن ابنكم محمد وما معه من الجيش راصدين لهم في الشفور التي تكون مرصدا لهم  
... ٦٢ . وكتب كذلك الى عبد الله ابراهيم من بقة العمال في نفس المعنى ٦٣ .

اذا لا تختلف نظرة المهدي الى الحبشة عن بقة البلاد المسلمة التي لانها من  
بالمهدية فلم يكن هناك مجال لاي التقاء بينهما دون الايمان بالمهدية . وقد كان  
المهدي واضحا في هذه الفكرة وهي تمثل الاساس الفكري لسياسته الخارجية . ولذلك  
عندما رد على طلب يوحنا لتوضيح امر المهدي ومرامها ، كتب اليه المهدي خطابا  
لا يختلف عن بقة الخطابات التي بعثها داخل وخارج السودان والتي يدور فيها  
لاعتناق المهدي . فكتب المهدي في ١٥ يونيو ١٨٨٥ ( ٢ رمضان ١٣٠٢ ) الى يوحنا  
مخاطبا اياه " بعظيم الحبشة " مشلما كان يخاطب الولاة والملوك بالقابهم الرسمية . ثم

٦٢ المهدي الى محمود عيسى زايد ، ٢ جماد اخر ١٣٠٢ ، مهدي صادر رقم ١ ،

ص ١٢

٦٣ المهدي الى عبد الله الطريفي والظاهر تاتاي ، ١٢ رجب ١٣٠٢ ، مهدي صادر

رقم ١ ، ص ١٥

لأخذ يشرح له فن أسلوب رقيق فكرة المهدي وأنه مرسل من عند الله ليدعو لفكرة  
 المهدي ثم ذكر له الملوك الذين قتلوا والدول التي انهارت لأنها فقدت نور الإيمان  
 ثم ذكره بانتصاراته على الأتراك والإنجليز • وهدده برفق من أن يصيره لن يختلف  
 عنهم إذا هو لم يؤمن بدعوة المهدي • ثم شكره على مبادرته بطلب المكاتب ودعاه  
 للإسلام والمهدي • وتبدو براعة المهدي عندما ذكر ليوحنا سلفه النجاشي ومعاونته  
 للمسلمين الأوائل وكيف أكرمه الله بأن حضر عهد الرسول • ثم طلب من يوحنا أن  
 يكون كسلفه وأنهى خطابه بتهديد قاطع عندما قال ( ٠٠٠ ) وأن أبيت إلا الاعراض فإنما  
 عليك انك ولثم من تبعك ولا بد من وقوعك تحت يدينا ٠٠ " ٦٤ ولعل خطاب المهدي  
 هذا كان أقل حدة من خطابه الذي أرسله إلى الخديوي توفيق ٦٥ •

وقد رد يوحنا على المهدي بخطاب آخر أرسله إلى ولد أرباب ووجيل القلايات  
 في ٢٤ سبتمبر ١٨٨٥ ( ١٤ الحجة ١٣٠٢ ) أي بعد وفاة المهدي بفترة طويلة • بدأ  
 يوحنا خطابه برفض الطريقة التي خاطبه بها المهدي كما رفض دعوة المهدي له لدخول

٦٤ المهدي إلى يوحنا ، ٢ رمضان ١٣٠٢ ، مهدي صادر رقم ٣ ، ص ١

٦٥ منشورات ، جزء ٢ ، ص ٢٧٧



الاسلام بل سخر واستهزأ من تلك الدعوة ، وتعرض لشخص المهدي بالاساءه • ثم دعى  
يوحنا المهدي وولد ارباب لدخول المسيحية لانها في نظره هي الدين الصواب والحق <sup>٦٦</sup> •  
وبهذا الخطاب يكون يوحنا قد وضع حاجزا فكريا بين الحبشة والمهدية واصبح هذا الحاجز  
واحدا في الاسس التي قام عليها الصراع بين البلدين فاذا انصفنا الى هذا تحريشات  
الحبشة الاولى ضد المهدية لانصح لنا الخط الذي سارت عليه العلاقة بين البلدين •  
لقد استطاعت الثورة المهدية في السنوات الاربعة الاولى من تاريخها ان تفرض  
سيطرتها على كل منطقة القضايف - القلايات وان تنصدي لبعض التنظيمات الادارية  
والمشاكل الداخلية في محاولة لحلها • وبقيت علاقتها بالحبشة بخفيها الكثير من عناصر  
العداء والتحريض • وتوفي المهدي ليأتي من بعده الخليفة وليتصدى لكل هذه القضايا  
خلال الثلاثة عشر عاما التي حكم فيها السودان •

---

٦٦ محمد ارباب الى الخليفة ، مهدي ١٣/٢/٥١ • ( بدون تاريخ )

## الفصل الثاني

### الفترة الاولى من حكم الخليفة

يونيه ١٨٨٥ - يناير ١٨٨٨ ( رمضان ١٣٠٢ - ربيع ثاني ١٣٠٥ هـ )

يمكن ان نقسم هذه الفترة من حكم الخليفة الى عهدين ، الاول يبدأ بوفاة المهدي ويقتد الى هجوم الحبشة على القلايات ومقتل محمد ارباب في ديسمبر ١٨٨٦ ( ربيع ثاني ١٣٠٤ ) والثاني يشمل الفترة التي كان فيها يونس الدكيم قائدا على جيوش المهدي في القلايات وينتهي بتعيين حمدان ابو عجة واستدعاء يونس الدكيم في يناير ١٨٨٨ ( ربيع ثاني ١٣٠٥ ) وسنتعرض في كل عهد منها للمشاكل والقضايا الداخلية والخارجية التي واجهت دولة المهدي في تلك المنطقة .

### امارة محمد ولد ارباب

#### ١ - الاوضاع الداخلية

كانت المشكلة الداخلية الاولى التي واجهتها دولة المهدي في هذه المنطقة هي مشكلة الحدود بين العمالات وتحديد سلطات العمال المختلفين . ولم تكن هذه المشكلة قاصرة على تلك المنطقة بل عرفتها بقية انحاء الدولة الفتية ، على ان عمالة القشارف عانت اكثر من غيرها من حيث الاضطراب المستمر في حدودها طوال عهد المهدي وذلك

لتغير الظروف السياسية والاحتياجات الحربية والاستراتيجية والاقتصادية<sup>١</sup> .

لم تبرز مشاكل الحدود والصراعات بين العمال في عهد المهدي بشكل واضح إذ طُغت ظروف الثورة على كل اعتبارات تنظيمية أخرى . وعندما جاء عهد الخليفة كان من الضروري معالجة هذه القضايا بما تتطلبه مهام الدولة الجديدة . فقام الخليفة بتقسيم دولته الى عمالات تتطابق حيناً وتختلف حيناً لخرم القسيمات التي وضعها الحكم التركي - المصري . فقسم مديرية كسلا الى عمالتين هما عمالة طوكر وصاله القصارف - القلابات . وتشمل الاخيرة ثلاثة مراكز هامة هي القلابات والقصارف والجيرة<sup>٢</sup> . ثم قسم هذه العمالة الى قسمين ويجعل محمد ولد ارباب عاملاً على منطقة القلابات وتولى عدد من العمال امر القصارف . ويبدو ان الخليفة قد لجأ الى ذلك الاجراء لتفادي الصراع الذي نشب بين عماله في تلك المنطقة إذ كتب الى ولد ارباب قائلاً : " . . . فقد حررنا لكم جواب وصورته يلصق هذا وذكر الجهات التي هي هي جهات القلابات لاغير فالان ورد لنا جواب من اسحبيب عبد الله الطرقي ومعه جواب محرر منكم للمذكور بانكم

Holt, The Mahdist State, P. 225

١

نجوم شغير ، ص ٨١-٨٢

٢

الناظرين لامور القضاير والقلايات وكافة الجهات الشرقية . . . والحال باحبينا . . .  
 يلفظ الجهات المذكورة بجوابنا هي جهة انقلابات خلصة لاغير لما جهة القضاير وراشد  
 فينده جهات مستقلة عن انقلابات لوحدها . . . <sup>٣</sup> ويبدو ان ولد ارباب لم يقتنع  
 بتحديد الخليفة لسلطانه فكذب اليه ثانية بطلب منه الاشراف على جهات القضاير  
 وراشد بحجة انه يتوقع هجوما من الحبش . ولكن الخليفة لصر على رايه الاول <sup>٤</sup> وبهذا  
 ظلت الانقلابات في هذه الفترة منفصلة على القضاير .

لما القضاير فقد تولى ادارتها عدد من العمال في هذه الفترة . ففي  
 بداية عهد الخليفة استمر عبد الله احمد ابن سن عاملا عليها ، ولكن بعد تمرد محمود  
 عيسى زايد واضعاه <sup>٥</sup> ، تشكك الخليفة في نوايا عبد الله فاتبع القضاير لمحمد عثمان  
 ابن قرجة في كسلا ولكن هذا النوضع لم يستمر سوى بسبعة اسابيع <sup>٦</sup> ثم اصبح عوض

- 
- ٣ الخليفة الى محمد ارباب ، ١ شوال ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر رقم ١١ ، ص ١٩-٢٠  
 وكتب الخليفة الى عبد الله الطريفي رسالة في نفس المعنى .  
 ٤ الخليفة ابن محمد ارباب ٢٧ شوال ١٣٠٢ ، مهدية ، صادر رقم ١١ ، ص ٣٤  
 ٥ انظر ص ٤٤ من هذا الفصل عن تمرد ولد زايد  
 ٦ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٨ ربيع لخر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ٦ ، ص ١٩٦  
 الخليفة الى محمد عثمان ابن قرجه ، ١٨ ربيع لخر ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ٩ ، ص ٢٠٧

الكريم كأموت عاملا على القضايف • وكان عثمان دقنه قد ارسله الى القضايف لاعتقال ولد  
 زايد ، ومراقبة عبد الله ابوسن <sup>٧</sup> • ويبدو ان كأموت لم يكن على وفاق مع قادة الانصار  
 في القضايف ولذلك امره الخليفة بالعودة سريعا الى كسلا هو ومن معه من الانصار •  
 وحلفه عبد الله الطريفي ، وقد كان حائزا على رضا الخليفة حتى ذلك الوقت ، ولكنه  
 لم يستمر طويلا اذ ارتكب بعض المخالفات المالية مما ادى الى عزله واغفاله فمضى  
 نوفمبر ١٨٨٦ ( صفر ١٣٠٤ ) <sup>٨</sup> • وجاء من بعده ادريس احمد وديدي • وفي عهده  
 قام الخليفة بتوسيع صالة القضايف بضم منطقة النور ولد فقرا اليها في يناير ١٨٨٧ (ربيع  
 ثاني ١٣٠٤) • على ان يكون ولد فقرا مندوبا عن ادريس وديدي على " ذمه الجوار " <sup>٩</sup>  
 اما المراكز الاخرى الصغيرة فكانت تتبع الى احد المراكز الكبيرين •

وحدث في بداية عهد الخليفة تحول مركزي في امانة بيت مال المسلمين • فقد  
 غلى احمد سليمان امين بيت المال بـ في ٢٦ ابريل ١٨٨٦ (٢٢ رجب ١٣٠٣) وخلفه

٧ الخليفة الى عوض الكريم كأموت ، ١ جماد اول ١٣٠٣ ، مهدية ، صادر ٩ ، ص

٨-٢٥٧

٨ انظر ص ٥٤ من هذا الفصل

٩ الخليفة الى ادريس وديدي ، ١٢ ربيع ثاني ١٣٠٤ ، مهدية ، صادر ١١ ، ص ١١٥

ابراهيم عدلان • وتبع هذا التغيير ان تغيرت امانة بيت المال في القضايف فاولكت الى محمد عثمان حاج خالد وذلك في يوليو ١٨٨٦ (شوال ١٣٠٣) • واستمر ولد حاج خالد في ذلك المنصب حتى خلفه العوض<sup>١٠</sup> المرضي في اواخر عام ١٨٨٦ (مطلع عام ١٣٠٤) • وقد شغل الخليفة ببيت المال والمشاكل المتعلقة به ، ولعل اهتمامه في هذا الصدد لم يكن باقل من اهتمام المهدي •

وكان اول اجراء اتخذه الخليفة في امر بيت المال ان طلب من ابراهيم عدلان ان يستمر في المهمة التي ارسله لها المهدي في القضايف • وكانت تلك المهمة تتعلق بتنظيم احوال بيت المال وطريقة الصرف منه وتاكيد السلطة المركزية لبيت المال في

١٠ العوض المرضي ، اسمه الحقيقي العوض المهدي • وعند قيام الثورة المهدية غير اسمه الى المرضي حتى لا يختلط مع محمد احمد المهدي • وقد ولد العوض المرضي عام ١٨٣٠ • وفي اثناء العهد التركي - المصري عمل باشكاتباً لمديرية التاكا • وهاجر الى امدرمان والفتح بالمهدي بعد سقوط الخرطوم • واوكل اليه الخليفة القيسام بالعديد من الاعمال المالية حتى عين فيما بعد امينا لبيت مال العموم • وفي اواخر عهد الخليفة سجن وثم وظل بالسجن حتى دخول الانجليز الى البلاد واطلست سراحه ، وبقي في عواضه ككند كسلا حتى تخرى عام ١٩١٠ م •

امدرمان<sup>١١</sup> . ويبدو ان ابراهيم عدلان قد انجز مهمته بدقة اذ انتقل من القضايف  
ليخلف احمد سليمان في امانة بيت مال العموم .

ولمدر الخليفة في بداية حكمه منشورا الى اهالي القضايف بخصوص الغنائم والاعمال  
الزراعية قال فيه " . . . . . ولما كان اوان نزول الغيث المبارك فقد راينا من باب الرقي  
بكم والشفقة عليكم والرائفة بحالكم ان نرفع عنكم الخدمات المتصلة بالغنائم وحقوق الله غير  
زكاة الفطر والمواسي ( وذلك في شهرى شوال والقعدة لكي تنقبهوا في زراعة اطيانكم  
واصلاح شأنها وقد نهينا على كافة الانصار والمندوبين لذلك لرفع ايديهم عنكم وتخليصه  
سبيلكم في هذين الشهرين . . . . .<sup>١٢</sup> ويظهر من هذا المنشور اتجاه الخليفة الواقعي  
حيال المشاكل المالية . ولعل الخليفة كان يرى من وراء تلك السياسة المرنة الا تنأثر  
منطقة القضايف اقتصاديا وهي من الشرايين الهامة التي يعتمد عليها اقتصاد دولة المهديّة  
ولذلك اتر ان يعطى الاهالي الفرصة لاستغلال موسم الامطار حتى على حساب " الغنائم  
وحقوق الله " .

١١ احمد سليمان الى الخليفة ، اهدون تاريخ ، مبدية ٢ / ٣٠ / ١ / ٦

١٢ الخليفة الى اهالي القضايف ، ٢ شوال ١٣٠٢ ، مبدية ، صاوير ، رقم ٢ ، ص ٢٥

وكانت اكبر مشكلة واجهت الخليفة في تلك المنطقة في بداية عهده هي مشكلة

محمود عيسى زايد وقبيلة الضبانية عموما . وهي تعزل فصلا من الحروب القليلة التي

واجهها الخليفة في تلك الفترة . فبعد ان اعلى الخليفة كرسى السلطة طلب من كل

القواد والعمال وزعماء القبائل ان يحضروا شخصا الى امدرمان لتقديم فروض الولاء والطاعة

وذلك باعطاء البيعة له ليطمئن على سلامة موقفه في الاقاليم ضد عواصف المعارضة التي

لحقت سحبها تتجمع في الانق البعيد . وكان الخليفة يوصي من وراء تلك المقابلة ،

او المعايمة ، عدة اشياء . منها انه يستطيع بالمقابلة والحديث المباشر ان يسبر غور

الاشخاص اكثر من المراسلات . ولعل نظرة الخليفة الثاقبة وقدرته على معرفة الاشخاص

كانت احدي ميزاته . ثانيا ، بحضور اولئك القواد والزعماء الى امدرمان يستطيع الخليفة

ان يقيهم معه اطول مدة ممكنة اذا ما احس بعدم ولا احد منهم ، ويصبحوا بذلك

في حالة ضعف وهم على بعد من مراكز قوتهم واهلهم وعشيرتهم ، ويسهل بالتالي

القضاء عليهم . وقد كانت تلك المقابلات التي تمت في بداية عهد الخليفة ، والتي

اصبحت طابعا عاما لحكمه ، من العوامل التي استخدمها في معرفة انصاره والقضاة

على معارضيه وكان الخليفة قد طلب فيمن طلب حضورهم الى امدرمان محمود عيسى

زايد وعبد الله احمد ابوسن والظاهر تاتاي وعبد الله الطريفي ومحمد ارباب . وقد حضر



جميعهم الا ولد زايد فانه لم يستجب لدعوة الخليفة<sup>١٣</sup> . وعندما احس الخليفة بابطائه كتب اليه **ولم يخط** رسالة في اواخر عام ١٨٨٥ (مطلع عام ١٣٠٣) يستحثه للحضور قائلا " . . . وكان سابقا قد تحررت لك الاوامر بالحضور ولم يقدر الله ذلك فقد سامحناك ظاهرا وباطنا فيما مضى . . . (فيبادر الآن) بالحضور لمقابلتنا ولا تخشى من شيء فعليك امان الله ورسوله ومهديه . . . " <sup>١٤</sup> من الواضح ان الخليفة كان رقيقا في أسلوبه وتسامحا في روحه وقد ملا رسالته هذه بالوعظ والتذكير بطة الله ان لم يكن نسي مقدوره ان يفعل اكثر من ذلك وولد زايد بعيد عن قبضته مستقر بين اهله وعشيرته . ولكن ولد زايد ظل في نياطه مقاوي الشك في نفس الخليفة ولذلك رأى ان يستعمل معه الحيلة ويستدرجه قبل الدخول معه في مواجهة حاسمة يكتب اليه رسالة اخرى يطلب منه ان ينضم الى عثمان دفقة اذا كان ذلك اهن عليه من الحضور الى امدرمان<sup>١٥</sup> . ولكن ولد زايد لم يستجب حتى لهذه الدعوة . على ان الخليفة ظل يرسله بنفسه

- 
- ١٣ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ١٤ القعدة ، ١٣ ، مهديّة ، صادر ، رقم ٥٥ ص ١٣  
 ١٤ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٢٨ محرم ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر ، رقم ٩ ، ص ٥٢  
 ١٥ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٣ صفر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر ، رقم ٦ ، ص ٦٢

الاسلوب الرقيق والروح المتسامحة فكتب له قائلا " . . . . والحال يا حبيبنا انك من الاصحاب  
 السابقين الذين بادروا باجابه داعي الله والانقياد للمهدية رغبة فيما عند الله تعالى وبذلك  
<sup>هندنا</sup>  
 لازال سعيك مشكورا ومحبتك ثابتة في قلوبنا . . . . وكان ايها الحبيب اكثرنا لك التحريص  
 بالحضور والمشاركة معنا واخذ البيعة وكذلك حررنا لك بالتوجه لعثمان دقنة وما قدر الله  
 لك حضور وطننا انكم اذا لم تكونوا مشغولون هناك بصلحة دينية لكنتم حضرتم وقد سامحناكم  
 في التأخير ولا حرج عليكم فيه . . . . فينبغي بوصول جوابنا هذا عندك . . . . تحضر لطرفنا  
 . . . . " ١٦ .

ومما زاد من موقف ولد زايد تعقيدا حادثتان . الاولى انه تكاسل في احدي المرات  
 في امر المهدية . فقد ترك حلة ابو سحنون وبها كميات كبيرة من الذرة دون حماية حتى  
 هجم عليها الحبش واخذوا اغلب ما بها من مؤن . وكان محمد ابراهيم ضاوي - احد  
 العمال في تلك المنطقة - قد نبه ولد زايد الى ضعف موقف الحلة ولكن ولد زايد لم  
 يعر كلامه انتباهه <sup>١٧</sup> . وبالرغم من ان الخليفة لم يهتم لتلك الحادثة في وقتها ، الا

١٦ الخليفة الي محمد عيسى زايد ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهديّة ، صادر رقم ٩ ، د ١٦

١٧ محمد ابراهيم ضاوي الى الخليفة ، ٨ القعدة ١٣٠٢ ، مهديّة ، ٣٢/٢/١٣

انها ظلت عالقة بذهنه انه ذكرها لولد زايد في احدى خطابات منهوالة من عدم  
التعاون في امر المهدي<sup>١٨</sup> . ثانيا ، ان ولد زايد قد دخل في صراع مع عمال  
المهدي في تلك المنطقة واهمهم عبد الله الطريفي والنور ولد فقرا<sup>١٩</sup> . وعلى الرغم من  
ان ولد زايد قد كتب الى الخليفة متضررا من سلوكهما نحوه ، وان الخليفة قد نهى  
على عامله بعدم التعرض لولد زايد ، الا ان الخليفة اعتبر ذلك الصراع نوعا من عدم  
تعاون ولد زايد ومظهر من مظاهر تضجره من المهدي . فكتب الى عبد الله الطريفي  
في نفس الوقت ان يلاحظ ولد زايد ويراقبه ان قال " . . . وطيب نفسك معه ولا  
تظهر له الا مايسره ومع ذلك كن ملاحظا عليه ومتى ماصدر منه شيء مخالف فيدنا به  
فورا . . . " <sup>٢٠</sup> .

لقد حاول الخليفة ان يضم ولد زايد الى صفه وان يكسبه بكل الاساليب ، ولكن يبدو  
ان ولد زايد لم يكن على يقين من امر المهدي ، اولعله كان يشك في نوايا الخليفة ،

١٨ الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٣ صفر ١٣٠٣ ، مهدي صادر ، رقم ٢ ، ص ٢٢

١٩ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهدي ، صادر رقم ٩ ، ص ١٥

الخليفة الى محمود عيسى زايد ، ٢٢ صفر ١٣٠٣ ، مهدي ، صادر رقم ٩ ، ص ١٦

٢٠ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٧ ربيع اول ١٣٠٣ ، مهدي ، صادر رقم ٢٥ ، ص ١٢٠

لو ربما كان مفتونا بقوة قبيلته ولذلك أكثر ان يظل محتفظا باستقلاله ، غير مدرك  
 للتطورات التي أحدثتها المهدي في علاقتها بالقبائل ولصرار النظام الجديد بضرورة  
 الولاة لسلطة مركزية واحدة ، كانت في بادئ الامر في يد المهدي ثم الخليفة من  
 بعده . فكان لابد للخليفة اذا ، من القضاء عليه .

فقام الخليفة بتكليف عبد الله الطريفي — وليس عوض التكريم كانوا كما تقول رواية  
 الضيائية السماعية — باعتقال ولد زايد . فسار الطريفي ومعه النور فقرا على رأس قوة من  
 الانصار الى منطقة كعب شرق نهر عطبرة حيث كان ولد زايد يحسك على الضفة الغربية  
 مستعدا للحرب . واستطاع الطريفي ان يعتقل ولد زايد مستعملا اخذة . فاشير  
 ولد زايد بانه مرسل من قبل الخليفة لمساعدته للمحافظة على الحدود الشرقية من غارات  
 الحبشة ، واقسم لولد زايد على المصطفى بحسن نواياه . فصدقه ولد زايد وقام بإرجاع  
 قبيلته الى مراعيها بعد ان كان قد جمعها للحرب . وفي اليوم التالي ذهب ولد زايد  
 الى معسكر الانصار بدعوة من الطريفي وهناك تمت مبايعته واعتقاله وهو في قلة من انصاره  
 بعد مقاومة ضعيفة استشهد فيها ستة من الانصار . وقد صور الشاعر الحارثي كيف  
 خدع ولد زايد ان قال في قصيدة له :

٢١ اكتب لى جواب يا صبحى لاتنماني ود زايد يقول ظاهرا الامان غشاني

وتذهب رواية الضيامة الى ان ولد زايد وانصاره على قتلهم قد حاربوا ببطولية

وقاموا بعنف ٢٢ . ولكننا لانثق كثيرا في صحة هذه الرواية لان احفاد ولد زايد ربما

حاولوا ان يظهروا اسلامهم على جانب من الشجاعة . ولعل ولد زايد وابنه محمد قد

اهديا نوعا من المقاومة التي اخمدت في حينها ٢٣ .

وكتب الخليفة الى الطريفي مديا ارتياعه لاعتقال ولد زايد قائله : " نعرف

الحبيب ان جوابكم الحارى اخباركم لنا بضبط محمود عيسى زايد . . . . ومن معه على

يدكم انتم والاحباب انصار الدين جماعتكم والنور فقرا وجماعته قد وصلنا " ٢٤ وطلب

الخليفة في الطريفي في نفس الرسالة ان يسلم ولد زايد الى عوض الكريم كانت ليقوم

هذا بدوره بتسليمه لعثمان دقنة بدلا من ارساله الى امدران . ويبدو ان الخليفة -

راى من الافضل حفظ ولد زايد في الشرق حتى ينتهي من صراعه الذي بدأ مع الاشراف

٢١ الظاهر عبد الكريم ، ود زايد ، ص ٧٥ - ٧٩

٢٢ المصدر السابق

٢٣ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٦ ربيع اخر ١٣٠٣ ، مديده ، صادره ، رقم ٩ ص ٢٤٨

٢٤ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١٩ ربيع اخر ١٣٠٣ ، مديده ، صادره ، رقم ٩ ، ص ٢٤٣

فى ذلك الوقت خوفا من ان يستفيد الاشراف من وجود ولد زايد فى امدرمان او يفتنم  
 شو ظروف ذلك الصراع فيهرب عائدا الى اهلهم • وكان للدور الذى قام به ولد كافوت  
 فى ارسال ولد زايد الى دقنة ما جعل رواية الضهانية تعتقد خطأ فى ان كافوت هو  
 الذى قام باعتقال ولد زايد •

اما تاريخ اعتقال ولد زايد فغير محدد تماما • ولكن يبدو من الخطابات المتبادلة  
 بين الخليفة وواله انه اعتقل فى منتصف يناير ١٨٨٦ ( اوائل ربيع اخر ١٣٠٣ ) ثم  
 ارسل ولد زايد الى دقنة حيث احتفظ به اسيرا حتى سبتمبر ١٨٨٦ ( اوائل عام ١٣٠٤ )  
 ثم ارسل الى امدرمان وسجن فى " السباير " •

وحتى بعد سجن ولد زايد فان الخليفة لم يياس تماما من كسبه الى جانبه •  
 فكتب له رسالة ضد حضوره الى سجن امدرمان ذكر له فيها ان ماحل به انما هو امر  
 اراده الله وقدره ، ونمى ان يكون ذلك من اسباب رشاده واصلاحه • ثم اخبره انه  
 مازال من المظنونين بالخير ، وان حضوره الى البقعة لم يكن الا لصالحه • واخيرا اقترح  
 عليه ان يحضر عائلته الى امدرمان ليقوموا معه لانه قد لخير لمكون بجانب الخليفة •  
 ٢٥

عذا بلاشك خطاب رقيق استعمل فيه الدهاء وكان بعيد النظر . ولعله عندما طلب من ولد زايد ان يحضر عائلته اراد ان يكسب جانبه ، او ربما كان يرمى من وراء ذلك الا الا ان يكون ولد زايد تحت سيطرته التامة هو واهله . وقد اورد الاستاذ الطاهر عبد الكريم رواية للضبانة تقول ان ولد زايد هو الذى طلب من الخليفة ان يسمح له باحضار عائلته الى امدرمان لتقوم بخدمته فى المعتقل <sup>٢٦</sup> . وهذا الراى ضعيف ان يستبعد ان يضع ولد زايد نفسه واهله تحت السيطرة المباشرة للخليفة وان يعيش على احسانات الخليفة . ثم نجد ان خطاب الخليفة الدالى الذكر يكذب هذا الراى ايضا . وطيه فقد قام ولد زايد بارسال ابنه محمدا لاحضار عائلته وحمله الخليفة رسالة الى عمال المنطقة لمساعدته والاخذ بيده والاسراع فى انجاز مهمته وهى " احضار كافة اهالى منازل الحبيب محمود عيسى زايد ونساؤه وعشيرته " <sup>٢٧</sup> . وفعلنا تم جمع عائلة ولد زايد وارسالهم الى امدرمان .

اما قبيلة الضبانة فقد بقيت بعد اعتقال زعيمها بلارئيس خصوصا وان محمد ولد

٢٦ ولد زايد ، ص ٨٠

٢٧ الخليفة الى ادريس احمد ومحمد عثمان حاج خالد ، ٣٠ صفر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٩٥

زايد كان محتقلا مع والده . عند ذلك برز عوض الكريم عيسى زاید ، اح محمود ولد زاید وتقلد زعامة القبيلة ليجمع شملها حتى يحفظها من التفتت والضياح . فجمع مابقى من افراد القبيلة وكتب للخليفة يطلب منه الانضمام الى الراية الزرقاء ، كما طلب ان ترفع عن القبيلة " المعارضة " ووعده بالوقوف بجانب المهدي والجهاد في سبيل الله . فقبل الخليفة طلبه وعينه عاملا على قبيلته . وكتب الخليفة الى عبد الله الطريفي يخبره بتعيين عوض الكريم زاید وطلب منه ان يرفع عن الضمان بقية العملاء وان يترك جمع الزكاة الى عوض الكريم كما اوصاه بمعاملتهم بمقتضى العدل والانصاف ان " المقصود راحة العباد وهو ايتهم الى الطريق الرشاد بالحكمة وطريق الرفق " .<sup>٢٨</sup> كما يمسك بخطاب اخر الى كافة عربان الضمان يحثهم فيه على نبذ الدنيا والعمل من اجل الفوز بالآخرة ثم اوصاهم قائلا " . . . وطيكم امان الله ورسوله ومهديه عليهما السلام وتم اماننا فاطمئنوا وابقوا في محكم الذي انتم فيه الان واشتغلوا بمزارعكم وقضاة حوائجكم وكونوا قايمين بامور دينكم على الوجه المطلوب في محلاتكم ولا تخشوا حصول

---

٢٨ الخليفة الى عوض الكريم عيسى زاید ، ١٩ جماد الاولى ١٣٠٣ ، مديّة صادر



شيء ، عليكم لانى انفسكم ولا فى اولادكم .....<sup>٢٩</sup> لقد كان الامان الذى يحته الخليفة الى الضمانه ضروريا لهم بعد سنوات الشدة التى مرت بهم وهم هائمون بعيدا عن ارضهم ، وكان ضروريا كذلك لان الخليفة كان يود ان يعيد لقبيلة الضمانه استقرارها لتساهم فى الانتاج الزراعى خصوصا بعد ان انكسرت شوكتها وعادت طائفة الى حظيرة المهديّة . ويبدو ان الخليفة كان يعول على اهمية الضمانه الاقتصادية وقد اوضح رايه هذا فى رسالة بعث<sup>بها</sup> الى ادريس احمد ومحمد عثمان خالد يقول فيها ان للضمانه منفعة كبيرة لبنت المال ، ولذلك اوصاهما خيرا بها<sup>٣٠</sup> . اذا ، فقد استطاع الخليفة ان يعيد قبيلة الضمانه الى حظيرة المهديّة ، مستشعرا اهميتها الاقتصادية ، ولكن يبدو ان اعادة الضمانه هذه كانت لها تكاليف باهظة فى الارواح والاموال . ويمكننا ان نقول ان سلك الخليفة تجاه الضمانه كان مسلكا مرنا متسامحا . وهذا يعطينا صورة لسياسة الخليفة تجاه القبائل المعارضة . ويمكننا ان نقول ايضا ، ان الخليفة لم يكن يقضى

٢٩ الخليفة الى كاتبة عريان الضمانه ، ٢٥ جمادى الاخر ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٢٩

ص ٣٥٦

٣٠ الخليفة الى ادريس احمد ومحمد عثمان حاج خالد ، ٤ ربيع الاخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر

رقم ١١ ، ص ١٠٩

على متارضيه الا بعد ان يضطر الى ذلك اضطرارا .

اما عبد الله احمد ابوسن فقد اختلف مصيره عن هير ولد زايد . فقد حدث عند اعتقال ولد زايد ان اعتقل عبد الله ونجح به في السجن اعتقادا بأنه كان مشاركا له في التسيان . ولكن تبين للخليفة ان عبد الله لا دور له في احداث ولد زايد ولذلك كتب الى كافوت باخلا<sup>٣١</sup> سبيله وعدم التعرض له وطلب ارساله الى امدرمان كما كتب الى عبد الله مبينا له ان هناك خلطا قد حدث مما ادى الى اعتقاله ، وطلب منه ان يبرز خطابه هذا الى عمال المهدية في المنطقة لاختلا<sup>٣٢</sup> سبيله نورا .

وانتقلت الخليفة بعد ذلك للقضا<sup>٣٣</sup> على عبد الله الطريفي عامله في القصارف . وبدأ الخليفة يشك في سلوك الطريفي بعد اعتقال ولد زايد والاستيلاء على ثروته . ولحل ثروة ولد زايد كانت من اسباب القضا<sup>٣٤</sup> طيه . فطلب الخليفة الى الطريفي ان يقسم اموال ولد زايد الى اخماس وان يرسل اربعة منها الى عثمان دقنة والباقي الى امدرمان . ويبدو ان الطريفي لم يكن دقيقا في تصريف تلك المهمة المالية . فطلب منه الخليفة

٣١ الخليفة الى عوض الكريم طغوت ، ٢٨ ربيع اخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ص ٢٥١

٣٢ الخليفة الى عبد الله احمد ابوسن ، ٨ جماد اولى ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ص ٢٦٧

الا يقوم باى اعمال مالية اخرى خلصة اموال ولد زايد وارسل محمد عثمان حاج خالد ليتولى كل الاعمال المالية المتعلقة ببيت المال والغنائم وطلب من الطريفي ان يطيعه وان يقدم له اى مساعدة ممكنة <sup>٣٣</sup> .

ويبدو ان منحة ولد حاج خالد هي ان يقوم بجرد عام لبيت المال ثم يبعد عنه الطريفي كلها . ولكن الطريفي لم يقبل ان تسلب منه سلطات بيت المال وهي مصدر نفوذ كبير له ، ولذلك لم يتعاون مع محمد عثمان حاج خالد ولم يقدم له المساعدة المطلوبة . فنشب بينهما خلاف من نوع تلك الخلافات التي يزرع بها تاريخ المهدية <sup>٣٤</sup> . وحسبنا لذلك النزاع قام الخليفة بارسال العوض المرضى بغرض استلام اموال ولد زايد من الطريفي ، وان يكون المسوؤل عن بيت المال على ان يعاونه محمد عثمان خالد في تلك المهمة . ويبدو ان الطريفي قد تردد في قبول الوضع الاخير كذلك . فبعث له الخليفة بخطاب حاد اللهجة قال فيه " ..... سبق التحرير لكم بتعليم كافة ما هو بطرفكم من حقوق

٣٣ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١ شوال ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٠

٣٤ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٩ شوال ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٣٦

بيت المال الى الحبيب العوض العرضى واكدنا عليكم بابر\* ذمتكم وتنظيف طرفكم .. فينبغي  
لكم ان تسعوا في ذلك وتعلموا انفسكم من الحساب في يوم الماب .....<sup>٣٥</sup>

وعلم الخليفة ببعض التصرفات غير المقبولة من جانب عبد الله الطريفي والتي ادت  
في نهاية الامر الى اعتقاله . فقد كتب محمد عثمان حاج خالد الى الخليفة يخبره ان  
عبد الله الطريفي واخيه محمد بقومان \* بامور مغايرة \* للدين ومخالفات مالية . ويبدو  
ان الطريفي كان قد استبقى لديه بعض اموال بيت المال ولم يسلمها لمحمد عثمان خالد .  
كذلك قام الطريفي بالتعدي على محمد عثمان خالد الذي قام بابلغ الامر للخليفة ، الذي  
اعتبرها مخالفة دينية . كما تاخر الطريفي في ارسال سرية الطاهر تاتاي عندما طلب  
منه الخليفة ذلك ، فاضطر الخليفة الى مخاطبته بعنف في هذا الشأن<sup>٣٦</sup> . ونتيجة  
لمخالفات الطريفي المتكررة قرر الخليفة ان يحسم الامر ، فارسل ادريس احمد وديدي  
الى القصارف ليقوم باعتقال الطريفي وتجرده من امواله وجهاديته . وفعلا ذهب

٣٥ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٢٢ القعدة ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٥٦

٣٦ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ٣ محرم ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ٦٠٨

ادريس الى القصارف واعتقل عبد الله الصريفي مع اخيه محمد ومعهما امين بيت المال  
يوسف ظاهر ، وقام بوضعهم في الحديد واودعهم السجن . وتبين لادريس ان عبد  
الله الطريفي قد استولى على كميات من الذهب وأنه قام بارسالها مع اخيه احمد الطريفي  
الى " السافل " . ثم قام ادريس بالاستيلاء على كل جيادية الطريفي فالتجس  
بلا قوة حربية وبلا مال <sup>٣٧</sup> . ورأى الخليفة انه من الصواب ارسال الطريفي وجماعته  
الى امدردمان حتى يتفرغ ادريس لتنظيم الجهادية فارسل الطريفي مع جماعته الى البقعة  
في  
يصحبه النقيب حمزه صدير يعقوب ، فوصلوا اخر فبراير عام ١٣٠٧ ( اوتسل جماد  
اخر ١٣٠٤ ) <sup>٣٨</sup> . وبهذا يكون الخليفة قد تمكن من القضاء على عامله في القصارف  
بعد سراع استمر قرابة العام . ثم اصبح ادريس وديدي عاملا على القصارف خلفا  
للطريفي .

تبرز لنا من الحادثة الماضية بعض الحقائق عن الاوضاع الداخلية في دولة الممديتة  
نشر منها الى حقيقتين : الاولى ان الغنائم واموال بيت المال عموما كانت في شبر ممن

٣٧ الخليفة الى ادريس احمد ، ١٤ صفر ١٣٠٤ ، مديتة صادر رقم ١١ ، ص ٨٤

٣٨ الخليفة الى ادريس احمد ، ٢ جماد اخر ١٣٠٤ ، مديتة صادر رقم ١١ ، ص ١٣٨

الاحيان مصدر اغراء للعمال في الاماكن النائية ، وان بعض اولئك العمال قد كون لنفسه منها ثروة شخصية . فهل يرجع تصرف اولئك العمال الى بعدهم عن مراقبة السلطة المركزية ، ام يرجع لعدم تعمق روح المهدية فيهم ، ونظرتهم لها على انها سلطة سرعان ماتزول ، ولذلك قاموا باثراء انفسهم لمواجهة اى تحولات قد تطرأ في المستقبل ؟ لعل ذلك راجع الى كلا السببين . وقد شهدت منطقة القضايف عدة امثلة من تلك المخالفات المالية لانها كانت من افضى مناطق الدولة المهدية . والحقيقة الثانية هي ان الخليفة كان يجد صعوبة في القضاء على العمال الخارجيين عن سلطته في المناطق البعيدة خاصة اذا كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي وهم وسط جهاديتهم وحاشيتهم واقاربهم الذين يحيطون بهم . ففي مثل هذه الاحوال كان الخليفة يلجأ اما الى الحيلة بان يستدرج العامل الى امدريمان او يرسل له من يباغته ويحتقله ويجرده من مصادر قوته .

### (ب) الصراع مع الحبشة

فهل التعرف لتفاصيل هذا الصراع واحداثه لنقف قليلا عند الاسس النظرية التي

ارتكزت عليها سياسة الخليفة الخارجية .

اعتنق الخليفة فكرة الجهاد كما حددها المهدي ونادى بها • والجهاد ، سواء كان على النطاق المحلى او الخارجى ، كلاً من الافكار الاساسية فى دعوة المهدية • وقد رأى الخليفة فى استمرار فكرة الجهاد استمراراً لدعوة المهدية وقوة دافعة لها • لذلك تميزت سياسة الخليفة الخارجية باستمرار فكرة الجهاد والفتح ونشر الدعوة المهدية •<sup>٣٩</sup> فكانت حروب الخليفة مع الحبشة تعتمد على هذا الاساس الفلسفى الهام • ولكن كانت لتلك الحروب دوافع اخرى • اولها ان الخليفة كان يريد ان يشغل جيوشه ، التى تكونت خلال الصراع ضد الحكم التركى - المصرى ، بالغزوات والحروب والاعمال الحربية الاخرى • فالخليفة لم يكن يريد ان تبقى تلك الجيوش فى حالة هدوء مما قد يدفع بها للتعدى على الاهالى فى المناطق المختلفة خصوصاً المناطق الزراعية ، او ربما تدفع حالة الاستقرار والتعطل بعض قواد تلك الجيوش للانفراد بالسلطة لانفسهم • ثانياً ، كانت الغنائم من الاسباب التى دفعت بعدد من القبائل للانضمام تحت راية المهدية ، ولذلك فان استمرار الحروب من اجل الغنيمة سيجعل تلك القبائل تحتفظ بولائها المهدية

٣٩ مكى شبكة ، عبر القرون ، ص ٣٧٥

مستعدة للجهد في البعثات الدائمة • فلم يكن في مقدور الخليفة ان يحتفظ بجيش كبير مثل جيش بوغاز القلابات ، وان يقوم بمدّه بالغذاء والكساء فكان لابد لذلك الجيش من الغزو حتى يعيش نفسه • ثالثا ، فان منطقة القلابات لها اهميتها الخاصة • لها اهمية تجارية فالاستيلاء عليها والدفاع عنها كان امرا ضروريا لئلا يعود بفوائد تجارية كما يضمن السيطرة على سيرة التجارة نفسها • ولها اهمية استراتيجية كذلك • فتغر القلابات تغمر حصين على حدود الحبشة وحفظ السودان يفضى بحفظه مسدودا <sup>٤٠</sup> • لذلك كانت حروب الخليفة مع الحبشة لها اسبابها ودوافعها ولم تكن حروب بلا هدف ولا مبرر يقول ثيوبولد ويكره محمد فو• اد شكرى <sup>٤١</sup> • وسنحاول في هذا الفصل وفي الفصول القادمة ان نثبت صحة تلك الاهداف ونرى مدى قوتها كمحرك لسياسة الخليفة تجاه الحبشة <sup>٤٢</sup> •

٤٠ نعم شقير ، ص ١٠٦٠

٤١ A.B. Theobald, *The Mahdism, A History of the Anglo-Egyptian Sudan 1881-1899* (London 1951), P. 151.

محمد فو• اد شكرى ، مصر والسودان ، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣) ، ص ٣٨٩ •

٤٢ حدد هولت ثلاثة مراحل لسياسة الخليفة الخارجية هي ،

(١) ١٨٨٥-١٨٨٩ - وهي المرحلة التي حدثت فيها اهم حروب الخليفة مع الحبشة  
(٢) ١٨٨٩-١٨٩٦ - فترة ركود في السياسة الحربية على اثر هزيمة عبد الرحمن النجومي

في توشكى •



بقيت قضية أخيرة في علاقة الخليفة بالحبشة وهي الخلافة بحديث الرسول (ص) عن الحبش الذي يقول فيه " اتركوا الحبش ما تركوكم " . فإذا كان الرسول قد دعى إلى ترك الحبش فكيف توفي دولة المهديّة بين الحديث الشريف وحروبها مع الحبشة ؟ يبدو أن هذا التناقض قد شغل ذهن الخليفة ومن حوله من المفكرين . لذلك نجد أن إسماعيل عبد القادر الكردفاني قد تصدى لهذه القضية في شيء من التفصيل في كتابه " الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبش " <sup>٤٣</sup> . يبدأ الكردفاني مناقشته بالحديث عن دولة الحبشة فيقول أنها من الأمم القديمة ذات البأس والقوة في الحرب . وعندما ظهر الرسول كان مهتماً بنشر الدعوة في الجزيرة العربية وكان هذا هو هدفه الأول . ولذلك لم يشأ أن يشغل انصرافه بحرب مع دولة قوية مثل الحبشة قد تشغلهم عن تحقيق الأهداف الأساسية . لذلك أمر المسلمين بترك الحبش والاشتغال بمقاتلة غيرهم ، ويسرى

---

== (٣) ١٨٩٦-١٨٩٨ - بداية تدهور الخليفة وتغول الدول الأوروبية على دولة المهديّة ثم نهاية الخليفة .

P. V. Holt, The Sudanese Mahdists and the outside world, Bulletin of S.C.A.S., Vol. XVI, 1958.

الكرديفاني انه قد جاز ترك مقاتلة الحبش في ذلك الزمان والاشتغال بغيرهم • وبما ان ترك قتال الحبش امر جائز فيصحب قتالهم جائزا كذلك اذا لم يتقوا غد حدودهم مثل ماكانوا من قبل • ويستمر الكرديفاني ليقول ان الاتراك قد انشغلوا بالشهوات وتركوا القيام بشعائر الاسلام واهملوا امر الجهاد واهملوا الثغور حتى تمكن الكفار - اي الحبش - من دخول ارض الاسلام وملكوا ضواحيها ووضعوا النواقيس على الكنائس وامتدت يدهم حتى القلايات وغيرها من بلاد المسلمين وجعلوا طيها عمالا من عندهم والزمو اهلها بدفع الجزية ( القبر ) كل راس سنة <sup>٤٤</sup> • ثم ان ملكهم يوحنا قد اتخذ سياسة معادية للاسلام ، فقد بث جنوده على سواحل البحر الاحمر واخذ من الاتراك عدة مدن • ويصفه الكرديفاني بانّه من اشد ملوك الحبشة بغضا للاسلام حتى انه كان يتشائم من مقابلة المسلم فسيب الصباح ، كما قام بارسال جنوده الى القلايات حيث قاموا بقتل المسلمين ولذلك يرى الكرديفاني ان محاربة الحبش ليست امرا جائزا فحصب ، بل هي واجب ، وان الحديث الشريف " اتركوا الحبش ماتركوكم " لم يعد قائما بعد <sup>٤٥</sup> • وعليه فان حرب المهديّة

٤٤ الطراز المنقوش ، ص ٢٩-٣٢

٤٥ المصدر السابق ، ص ٣٣-٣٦

مع الحبشة لها اسباب سياسية واقتصادية ودينية • فكيف بدأ ذلك الصراع في عهد

ال خليفة وكيف تطور ؟

بعد وفاة المهدي وصل رد يوحنا على الخطاب الذي ارسله له المهدي والسدي

تحدثت عنه في الفصل السابق ( دس ) • وقد بحث يوحنا مع ذلك السيد

بخطاب الى الخليفة ، ويبدو انه لم يختلف في محتواه عن الخطاب الذي بعثه الي

المهدي • فإلغرابه اذا احدث رد فعل عنيف عند الخليفة ان نجدد يشير الى خطاب

يوحنا بقوله " ... ورد الجوابين من الكافر النفس .. ونقول الله اكبر على كل من كفر

وتعرد وفجر ( و ) الله ولي الذين امنوا ... والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت .. " <sup>٤٦</sup>

وكتب الى عبد الله الصريفي معلقا على نفس الخطاب قائلا " ... اما في خصوص عدو

الله ريس الحبشة فان خطابه وصل وعلم ما هو منظوبا عليه خذله الله واذله ولا تخشوا

من جهته فانه مطرود مخذول ... " <sup>٤٧</sup> هكذا كانت بداية العلاقة بين الخليفة

---

٤٦ الخليفة الى محمد ارباب ، ١٢ محرم ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ص ١٧

٤٧ الخليفة الى عبد الله الطريفي ، ١٢ محرم ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ص —

والحبشة ، علاقة يكتنفها العداوة ويحفها العنف • وقد انعكس هذا الاتجاه في الحروب المتكررة التي شغلت حيزا كبيرا من عهد الخليفة •

في نوفمبر من عام ١٨٨٥ ( صفر ١٣٠٣ ) طلب محمد ارباب اذنا من الخليفة بالهجوم على كنيسة الحبش تقع على مسافة يوم من القلايات وقد كان الحبش اتخذوها نقطة لشن الغارات على حدود دولة المهدية • فرد عليه الخليفة مويدا ، وناشده الا يدع الحبش " يفسدوا ديار الاسلام وينهبوا المسلمين " ، وسمح له بتخريب الكنيسة اذا كان ذلك ممكنا • ثم حذره من التسرع في الهجوم على الحبش لانهم متحصنين فسي امانهم ، واكد عليه ان يكون دائما في حالة تاهب واستعداد <sup>٤٨</sup> • ولعل الخليفة لم يكن متاكدا من قوة ولد ارباب ومن قدرته على مصادمة الجيش ، ولعله قد خشى كذلك من وقوع هزيمة حربية على جيشه وهو مازال في بداية حكمه قد تعود بنتائج وخيمة ولذلك كانت بلا رسالته الى ولد ارباب مزيجا من الحماس والترهيب •

---

٤٨ الخليفة الى محمد ارباب ، ٢١ صفر ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٩ ، ص ٦٢ - لعل هذا هي كنيسة غبته التي قام الحاج على ولد سالم من قبيلة الكواهلة بالهجوم عليها • واتخذ راس عدار ذلك الهجوم سببا في هجومه على القلايات • راجع

وفي يناير من العام الجديد (ربيع ثاني ١٣٠٣) قام صالح شنقا ومعه أحد قواد الحبشة ويدعى دهناشوم ، بالهجوم على القلابات . ويبدو ان الهجوم كان ضعيفا اذ تمكن الانصار من صدّه . وقتلوا خمسة من اتباع دهناشوم ، وتمكن صالح شنقا من الفرار مع عدد من اتباعه . وقام الانصار باقتفاء اثرهم وقضوا على فلولهم الهاربة ، اما صالح شنقا فقد استنحى ان ينجو بنفسه <sup>٤٩</sup> . وقام الحبش كذلك بهجوم مماثل على جهة تبارك الله استطاع النور فقرا من صدّه ونظم عددا وانفرا من نساء الحبش <sup>٥٠</sup> . ثم سار النور فقرا على راس الف مقاتل لتعزيز جهة القلابات لانها اكثر تعرضا لهجمات الحبش ، خصوصا وان الاخبار قد بدأت تتواتر عن استعداد الراس عدار للهجوم عليها . كما انضم احمد البصيري على محمد ارباب كذلك . وفي يونيو ١٨٨٦ ( رمضان ١٣٠٣ ) قام ولد ارباب بالهجوم على جبل غورة بالحبشة ، وقد لاقى هذه الحملة مصاعب شتى مثل وعورة الطريق ، وانضمام بعض من الجبيرة في تلك المنطقة السي

---

٤٩ الخليفة ابي عبد الله الطريفي ، ١ جماد اول ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ٩ ، ٢٥٦  
 ٥٠ الخليفة ابي النور فقرا ، ١ جماد اول ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٥

جانب الحبش على عكس ما كان يتوقع الانصار . ولكن بالرغم من تلك الصعوبات

استطاع محمد ارباب ان يهزم الحبش وان يحتل جبل غرة ، وعين احمد البصيري

وكيلا عليه <sup>٥١</sup> . وكان ذلك اول امتداد لدولة المهدية داخل حدود الحبشة .

وكان منتصف عام ١٨٨٦ ( اواخر ١٣٠٣ ) هو فصل الامطار الذي لا يستطيع فيه

الحبش القيام باى اعمال حربية . فلغتنم الخليفة هذه الفرصة ، اذ كان عليا

بصبغة الاحوال الجغرافية ، وطلب من قواده في المنطقة ان يحضروا الى امدرمان <sup>٥٢</sup> .

— ولعله كان يرمى من تلك الزيارة ان يقف بدقة على تحركات الحبش وامكانية صعود

جيوشه ضد هجومهم الذي كان يتوقع ان يشنه الحبش بعد نهاية موسم الامطار .

فكتب الى محمد ارباب والنور فقرا يطلب منولهما اليه <sup>٥٣</sup> . وفعلوا تم ذلك اللقاء

وعادا الى مكانهما في نوفمبر ١٨٨٦ ( صفر ١٣٠٤ ) . وقد استطاع الخليفة خلال

تلك الزيارة ان يقف على ضعف الحاميات على الحدود الحبشية ، لانه ما ان عاد ولسد

٥١ الخليفة الى محمد ارباب، ٢٧ شوال ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٥

٥٢ الخليفة الى محمد ارباب، ٢٧ شوال ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٤

٥٣ الخليفة الى النور فقرا ، ٨ القعدة ١٣٠٣ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٣٨

أرباب والنور فقرا حتى اتبعهما بخطاب إلى أدریس احمد ویدی عامل القصارف بطلب منه ان يمد يد العون لهما لانهما مكلفان بسد البوغازات وحراستها<sup>٥٤</sup> . وكان الخليفة يتوقع ان يقوم الحبش بهجوم على بوغازات المهديّة بعد نهاية فصل الخريف فعلا كان توقعه صحيحا .

بدأ الحبش هجومهم على المناطق الاكثر قربا اليهم ، فهاجموا أولا على جهة القدمات . فخفى أدریس احمد لملاقاتهم ، ولكن تحركات الحبش في تلك المنطقة لم تكن الا مجرد مناوشات فلم تحدث معارك رئيسية<sup>٥٥</sup> . ثم قام الحبش بالهجوم على جبل غورة وقتلوا احمد البصري عامل المهديّة هناك واعادوا سيطرتهم على الجبل<sup>٥٦</sup> . وفي يناير ١٨٨٢ (ربيع آخر ١٣٠٤) شن الحبش هجومهم الرئيسي على جبهتي تمارك الله والقلايات . وكان السبب المباشر الذي برر به الحبش ذلك الهجوم

٥٤ الخليفة إلى أدریس احمد ، ١٠ صفر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٨٢

٥٥ الخليفة إلى محمد عثمان حاج خالد ، ٢٣ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ص ١١٢

٥٦ الخليفة إلى محمد أرباب ، ٢٥ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١١٩

نشر ان احد امراء ولد ارباب ويدعى الحاج على ولد سالم قد قام بالهجوم على كنيسة  
 غيبة وخرّبها<sup>٥٧</sup> . فارسل الراس عدار ، حاكم مقاطعة امهرة ، خطابا الى ولد  
 ارباب يطلب فيه تسليم الحاج على وكان ذلك الخطاب قد ارسل بايعاز من صالح  
 شنقا والفكي المصوى عبد الرحمن<sup>٥٨</sup> . وعندما رفض ولد ارباب تسليمه قام عدار  
 بالهجوم عليه . وكان هجوم الحبش من اتجاهين : الاول بقيادة عجيل الحرانسي  
 على النور فقرا ، والثاني بقيادة الراس عدار على القلابات<sup>٥٩</sup> .

كان هجوم الحبش على جبهة النور فقرا هجوما مفاجئا وسبب ذلك ان الطلائع  
 التي كان يرسلها الانتصار لاكتشاف اخبار الاعداء كانت تاتيهم بمعلومات خاطئة  
 " خيانة منهم لانهم من قبائل الحران والضبانة " والتي لم تكن لها مصلحة كبيرة

op.cit,  
 31atin/pp. 404-405

٥٧ نعم شقير ، ص ١٠٥٩ ،

٥٨ الفكي مصوى عبد الرحمن من خريجي الازهر . عاد الى السودان في العهد التركي - المصري  
 حيث انشأ حلقة للدراس في كركوج . وعندما سمع بالمهدي هاجر اليه في جبل قدير فعينه المهدي  
 على ملا على سنار . ولكنه لم يكن عميق الايمان بالمهدي فذهب الى الخرطوم وبعد سقوط الخرطوم  
 التحق بالمهدي للمرة الثانية ثم هرب الى الحبشة واصبح من ضمن العناصر التي تهاجم دولته  
 المهدية على الحدود . وتزوج الشيخ المصوى من الحبشة . وفي عام ١٨٩٠ ذهب الى مصر . وبعد  
 الغزو الانجليزي - المصري رجع الى السودان وذهب الى حلة العيلفون وحاول ان يجمع حوله بعض  
 الاتباع ويخلق اضطرابا للحكومة فاعتقلته السلطات البريطانية . راجع نعم شقير ، ص ١٢٤  
 وما بعدها  
 p.cit,  
 Ten Years Captivity / pp. 217-8

٥٩ يقول نعم شقير (ص ١٠٥٩) ان راس عدار هو الذي قام بالهجوم على النور فقرا



فى المهديّة • فى اواخر يناير ١٨٨٢ ( اواخر ربيع آخر ١٣٠٤ ) قام عجيل بمباغتة النورفقا بجيش يتكون من حمران وضبانة وشكرية وهندوة وتكاير ، وقتلوا نحوًا من خمسمائة من الانصار واستولوا على الديم وغنموا ما به من نماء واموال<sup>٦٠</sup> • ولكن ولد فقا استطاع ان ينجو بنفسه • وبعد ايام وصلته نجدة بقيادة ادريس احمد وحامد على وشايب احمد ولكنها وصلت بعد ان تمكن الجيش من العودة الى بلادهم ليستعدوا لهجوم آخر<sup>٦١</sup> • وعاد ادريس بجيشه لانه لا يستطيع ان يدافع عن البوشار ويترك القضايف دون حماية ، خصوصا وان هجوم الجيش الاخير قد احدث نوعا من الفوضى فى المنطقة • ولذلك اثر ادريس ان يتحصن فى التومات • ثم قام عجيل بالزحف نحو التومات ، وفى طريقه هاجم قافلة كانت محملة بالذرة فى طريقها لكسلا

---

ولكن الوثائق لم تثبت هذا الرأى • ولعل شقيرا وقع فى هذا الخطا لان الهجوم على القلايات كان بعد الهجوم على النورفقا ولذلك استنتج ان الهجومان قام بهما شخص واحد •

٦٠ الخليفة الى حمدان ابى عنجة ، ٣٠ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهديّة ، ٢٩٢ / ٤ / ٢٥ / ١

٦١ الخليفة الى ادريس احمد ، ٣٠ ربيع آخر ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٢١

رسار عجيل حتى صار على مسافة يوم من النومات • فقام بتقسيم جماعته الى مجموعتين ،  
 جزء يهجم على النومات والجزء الاخر على محمد عثمان خالد الذي كان متحصنا فسي  
 دوكه • وكان الخليفة قد امر ادريس احمد بعدم الهجوم على الحصن وطلب منه ان  
 يتحصن في مكانه حتى تعلمه النجدات • ولعل الخليفة كان يخشى من ان اى  
 هجوم غير مركز من جانب الانتصار قد يؤدى الى نتائج ضارة • وقد عبر الخليفة  
 عن قلقه للموقف الحرجى في تلك المنطقة في خطاب الى حمدان ابي عنبه • اما  
 عجيل فلم يغم بى هجوم اخر على الانتصار ، ولعله خشى من تحصينات الانتصار ، فآثر  
 ان يعمش في الارض نهبا وسلبا دون الحاجة الى الدخول في معركة حربية <sup>٦٢</sup> •

وفي اليوم التالي لهزيمة النور فقرا قام الراس عدار ، على راس ستين الف مقاتل ،  
 بالهجوم على محمد ارباب الذي كان كل جيشه لا يتعدى ستة الف مقاتل ولعل هذه

---

٦٢ الخليفة الى ادريس احمد ، ٢١ جماد اول ١٣٠٤ هـ مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٩١  
 الخليفة الى ادريس احمد ، ٦ جماد لخر ١٣٠٤ هـ مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٤٦

الأرقام التي ذكرها سلاطين مهالغ فيها ولكنها تعكس التفوق العددي لجيش السراس  
 عدار على انتصار محمد ارباب <sup>٦٣</sup> . وتمكن راس عدار من هزيمة الانتصار ، بل اوشك  
 ان يبديد الحامية عن آخرها لولا ان عددا قليلا بقيادة محمد ارباب تمكنوا من  
 الانسحاب الى مكان يبعد يوم ونصف من القلايات . واحتل الجيش القلايات  
 واحرقوها وغنموا كل ما بها من مال وعقاد . ثم قاموا بمطاردة فلول الانتصار وقتلوا  
 محمد ارباب وذلك في اواخر يناير ١٨٨٢ ( اواخر ربيع اخر ١٣٠٤ ) <sup>٦٤</sup> .

ونتيجة لتلك الحروب فقد اصبحت كل المنطقة من " حد القلايات الى القصارف  
 في اضطراب شديد " ، بل ان بعض القبائل هناك تطلعت للانضمام للجيش <sup>٦٥</sup> .  
 اما الجيش فقد عادوا الى بلادهم بعد تلك الانتصارات ولم يوالوا زحفهم . وربما  
 فعلوا ذلك ليستعدوا لهجوم اخر ولعلهم اكتفوا بما حققوه من نصر . اما فلول

٦٤ : الخليفة الى ادريس احمد ، ١٥ جماد اول ، ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٥٠

٦٥ : الخليفة الى حمدان ابي عنجه ، ٣٠ ربيع اخر ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٥ / ٤ / ٢٩٢

الانصار في القلايات فقد التفوا حول محمد ارباب سكر الذي كان وكيلاً لمحمد ولد  
ارباب .

احدثت تلك الهزائم رد فعل عنيف ضد الخليفة ، وربما خشي من ان يواصل  
الحبس زحفهم على كل منطقة القضايف - القلايات . فقام باتخاذ اجراءات حاسمة  
وسريعة تمثلت اولاً في ارسال يونس الدكهم فوراً الى المنطقة ، وثانياً استدعاء  
حمدان لبي غنجه من جبال النوبة على وجه السرعة . وهكذا انتهت فترة محمد  
ارباب في القلايات والحركة المهدية تمر بايام من لصعب ايامها هناك فمسيرها معلق  
وقوادها بعضهم قتل وبعضهم منحصر في مكانه في انتظار النجدة . وتحرك يونس  
الدكهم الى القلايات ليبدأ عهده في تلك المنطقة .

٦٦

### عهد يونس الدكهم

تمتد فترة يونس الدكهم في منطقة القضايف - القلايات الى عام وبعض عام برزت

---

٦٦ يونس الدكهم من قبيلة التعايشة وهو ابن عم الخليفة . وقد لمع اسمه عندما عين  
عاملاً على الجزيرة والقلايات . ثم نقل عاملاً على دنقلا لفترة وجيزة .

خلالها ثلاثة جوانب جديدة بالدراسة • أولا مسألة تعيين يونس على القلايات ومسيره  
من امدردمان الى القلايات ، ثانيا معالجته للقضايا الداخلية التي واجهته ، ثالثا  
حرواته مع الحبشة •

#### (١) الاوضاع الداخلية

ترجع صلة يونس الدكيم بمنطقة القصارف - القلايات الى مطلع عام ١٨٨٦ وذلك  
عندما عينه الخليفة عاملا عموما على الجزيرة والقصارف - القلايات • وقد وقع اختيار  
الخليفة على يونس الدكيم لصلة القرابة التي تربطه به ولثقتهم فيه فهو مفضى سره •  
٦٧  
وكان تعيين يونس للجزيرة تعيينا سياسيا لان الجزيرة من المناطق الهامة التي يريد

وعيد ثانيا اليها عام ١٨٩٥ بدلا من محمد خالد زقل • واشترك مع  
الخليفة في واقعة ام دوسكرات حيث وجد مختبئا بين القتلى فاسر • ونقل  
الى مصر حيث توفي هناك •

٦٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٨ جماد اول ١٣٠٣ ، مهدية صادر رقم ٥ ،

ال خليفة ان يوطد نفوذه فيها • وامضى يونس العام الاول الذى امتد حتى يناير ١٨٨٧ ( جماد اول ١٣٠٤ ) وهو مقيم بالجزيرة دون ان يمارس سلطانه على المناطق الاخرى من عمالته مع احتفاظه بالنفوذ الاسى فقط • ولم تكن الفترة الستى قضاها يونس الدكيم فى الجزيرة ناجحة تماما وذلك لانه اطلق العنان لجيشه لسلب ونهب الاهالى مما ادى الى ارتفاع اسعار الذرة • فاضطر الخليفة الى استدعائه بكامل جيشه الى امدرمان حيث بقى بها الى ان ذهب الى القلايات<sup>٦٨</sup> • ولعل الخليفة رأى فى القلايات مكانا مناسباً يبعد فيه يونس الدكيم بجيشه ريثما يصل حمدان ابى غنجة الذى كان قد استدعى من كردفان على عجل •

اخذ يونس الدكيم يستعد للذهاب للقلايات وذلك بعد ان وصلت اخبار هزيمة الانصار فى تلك المنطقة • وفى اواخر ديسمبر ١٨٨٦ ( اواخر ربيع اخر ١٣٠٤ ) خرجت راياته للعرضة خارج امدرمان استعدادا للسفر • وكتب الخليفة الى عدد

من عماله لهنضموا الى يونس الدكيم في الطريق ومن هو\* لا\* احمد المكاشفي  
والمرضى ابوروف ومحمد حامد جفون ومحمد على ابو ضلع ، كما كتب بذلك الى  
" كافة الانصار على طريق جيش يونس الدكيم " <sup>٦٩</sup> . وفي يوم ٣١ يناير / ١٨٨٢  
( ٦ جماد اول ١٣٠٤ ) تحرك يونس بجيشه من الشاطئ\* الشرقى للنيل الازرق متجها  
الى القلايات <sup>٧٠</sup> . واكد الخليفة على يونس ان يسير بجيشه بطريق الشرق ، كما  
كتب الى اهالي الجزيرة بذلك قائلا " . . . وقد تأكد على عموم الانصار السير  
بالطريق المذكور وحذرناهم عن القطوع الى الهوى لانه ليس بطريق لهم ولما انكم  
من جملة الانصار فليزمن كل من تجدونه قطع الى الهوى من الجيش المذكور تضبطوه  
وتشعبوه وتوصلوه اليها لاجل مجازاته لاسيما اذا كان معه عائلته . . . " <sup>٧١</sup> . كما  
أكد على يونس الدكيم عدم التعدي على اهالي الجزيرة والتزام طريق الشرق في

٦٩ هناك مجموعة من الخطابات من الخليفة الى عماله وكافة انصار الدين :

مهديّة ، صادر رقم ١١ ، من ص ١ ١٢٤ الى ص ١٢٨

٧٠ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، جماد اول ١٣٠٤ ، مهديّة ، ٢٩٧/٤ / ٢٥ / ١

٧١ الخليفة الى اهالي الجزيرة ، ٥ جماد اول ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٢٧

٧٢ مسيره • والسبب في اختيار طريق الشرق هو ان الخليفة كان يخشى من ان يحدث عبور ذلك الجيش في قلب الجزيرة نوعا من الفوضى من جراء النهب والسلب • والسبب الثاني انه كان يخشى من ان يستقر عدد من المجاهدين في الجزيرة اثنا عبورهم بها ويتركوا امر الجهاد اثارا لحياة الاستقرار والاخذ بالزراعة ولذلك فقد شدد على ضبط الانصار الذين لهم عوائل لانهم اكثر ميلا من غيرهم لحياة الاستقرار • وهذا يكشف لنا بعض الجوانب المتعلقة بالمهدية • اولها ان حماس الجهاد اخذ يفتر عند بعض الانصار وانهم اثروا حياة الاستقرار في المناطق الزراعية خصوصا وان اغلب جيش يونس الدكهم من اهالي غرب السودان الذين ربما خرجوا من اماكن جريا وراء الحياة المستقرة • ولم تقتصر ظاهرة الهروب من الجهاد على اولاد المغرب فحسب بل امتدت لتشمل الجهادية • فقد لاحظ الخليفة ان عددا من الجهادية قد تسلل من جيش يونس وعادوا الى امدرمان لاختذ عوائلهم • وقد انزعج الخليفة



لوجود تلك الظاهرة بين الجهادية وهم عصب الجيش المقاتل • فكتب الى يونس  
ليزجر مقادير الجهادية على اعمالهم وان يندبرهم في ان " من يتهاون في ضياع  
نفر واحد او يفتدق لابد ارساله لطرفنا بالشعبه لاجل مجازاته " • كما اكد على  
يونس ليجمع الجهادية صباح مساء للتنام عليهم <sup>٧٣</sup> •

تحرك يونس الى القلايات وكان معه من القواد عربى دفع الله وابراهيم الرفيعة  
وادم ابوش وهنون النمل ومحمد النور مدرع وعبد الباقي خليفة الذى كان سوا لا عن  
الجهنانية • وفي يوم ٨ فبراير ٨٧ ( ١٤ جماد اول ١٣٠٤ ) وصلت السرية الى ابي  
حراز حيث عبرت النمل الى الضفة الغربية بعد ان تجاوزت جزءا كبيرا من الجزيرة •  
ومن هناك ارسل يونس رجلا يدعى يوسف ابوتفه عاملا على الحمدة لاستنفارهم  
للجهاد <sup>٧٤</sup> • وفي يوم ١٤ مارس ( ١٨ جماد اخر ) وصلت الحملة الى ود البتول

٧٣ الخليفة الى يونس الدكهم ، ٢٧ جماد اول ١٣٠٤ ، مبدية صادر رقم ١١ ، دس ١٣٦

٧٤ الخليفة الى يونس الدكهم ، ٢٤ جماد اخر ١٣٠٤ ، مبدية صادر رقم ١١ ، دس ١٦٣

حيث مكثت بها الى ٢٩ فبراير ( ٤ رجب ) • وفي ود البتول تقابل يونس مع محمد عثمان خالد حيث استفهم منه يونس عن احوال المنطقة وتحركات الجيش ثم ارجعه يونس قبل الحطة ليعمل على جمع الغلال لمؤنتها • وكان يونس قد رفض اقتراحا لمحمد عثمان خالد بارسال جزء من السرية وذلك لتنظيم الاهالي وتمهيداتهم • فقد فضل يونس عدم تفريق الجيش وراى ان يسير كله دفعة واحدة ولكنه وعد محمد عثمان خالد بان يسرع في مسيرته • وبما ان ود البتول كانت لخر نقطة هامة قبل الوصول الى القلايات فقد قام يونس بالكشف على كل الاسلحة حيث اكتشف ان بعض الصواريخ التي كان يحملها غير صالحة للاستعمال فارسل له الخليفة مهندسا قام باصلاحها • ومن ود البتول قامت الحطة تجد في المسير دون توقف حتى وصلت القلايات يوم ١ ابريل ١٨٨٢ ( ١٥ رجب ١٣٠٤ ) •

من الواضح ان الحطة كانت تسير ببطء • وذلك لكثرة عددها وعدد العوائل التي تصطحبها • فقد كانت الحطة تقاى من تسعة عشر الف مجاهد منهم حوالي

الفين من الجهادية وسبعة عشر الفا من اولاد العرب ، بعضهم من العوائل اثنا

عشر الفا <sup>٧٦</sup> . وفي اسرى النظم الخليفة بستة الاف آخرين بقيادة ام بدر

سعدون ومحمد احمد ابو لم فضال . وفي القلايات انضم على الحملة بعض جماعة

ادريس احمد ومحمد ارباب حتى بلغ مجموع الحملة عند اول تعداد لها في يونيو

( رمضان ) واحدا وثمانين الفا <sup>٧٧</sup> . وكان الجهادية وبعض اولاد العرب مسلحين

باجنادق ولتلباسا من الرافضين وبعضها من " ابو روجين " . وكان مع الحملة

بعض الاسلحة الاخرى مثل المدافع الجبلية وغيرها ، وكذلك كميات من الجبخانه

بلغت نحو مائتين صندوقا وعشرة صناديق جبخانه خاصة بالصواريخ <sup>٧٨</sup> .

وكان الجهادية يمثلون اهم عنصر في جيش يونس اندكهم يل وبالنسبة لكل

كشفي ، ا. شعبان ١٣٠٤ ، مهدي ١٠٠/٢/٢٠/١

٧٧ الخليفة ابو يونس ، الدليم ، ٧ رمضان ١٣٠٤ ، مهدي صادر رقم ١١ ، ١٠٠

٧٨ كشف ، ٢١ رمضان ١٣٠٤ ، مهدي ١٠٠/٢/٢٢/١ - ١٠٦

جيش المهدي • فقد كانوا جنوداً نظاميين يجيدون فن القتال واستعمال الاسلحة النارية • ولذلك اصحابهم الخليفة اهتماما خاصا • فقد طلب من يونس ان يضع الجهادية في مستوى واحد مع اولاد العرب من حملة الاسلحة النارية<sup>٧٨</sup> • ولكن الجهادية احتجوا على دمجهم مع اولاد العرب فوافق الخليفة فصلهم منهم وارضى يونس بحسن معاملتهم واعتبارهم من " حملة الانصار " كما غير الخليفة قراره الاول انقضى بعدم اصطحاب الجهادية لنسائهم ، فسمح لهم باخذ عوائلهم بغية ارضائهم<sup>٨٠</sup> • وبالرغم من اهتمام الخليفة الخاص بالجهادية الا انه لم يكن كبير الثقة فيهم ولعل هذا راجع لتعدد حوادث الفرار من بينهم ولعدم تأكده من تغلغل روح المهدي في نفوسهم • ولذلك نجده يوصي يونس بان يقسم الجهادية الى مجموعات من خمسين شخصا وان يضع على رأس كل مجموعة قائدا من اولاد العرب وذلك " لكي يسهل ضبطهم لهذه الكيفية والتتبع عليهم " بل طلب من يونس الا يسلم الاسلحة النارية

٧٩ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٧ جماد اول ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٣٦

٨٠ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٨ جماد اخر ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، ص ١٦٣

الا للجهادية الذين يشق فيهم • فنجدد يوصيه قائلا " • • • • • والجهادية • • • • •  
 ليس مدروكة حقيقتهم عندنا لان بعضهم من اهل تلودي والبعض من خلافه فتفحص  
 في احوالهم فالذي ترى فيه الصداقه لامانع من ان تسلموه سلاح رامتون والسدى  
 لاتنقوا به فلاتسلم اليه شئى • • • • •<sup>٨١</sup> ولذلك مفتى\* الخليفة يكرر للجهادية  
 نصائحه بالامثال والطاعة فيقول لهم مثلا " فنبغى ان تعلموا همكم زيادة في امور  
 الدين وتقيموا بامثال امر ونهى حبيبنا المكرم يونس الدكيم ولاتخرجوا من اشارته<sup>٨٢</sup>  
 فدا امر كل العمال بمنطقة القصارف - القلايات بتسلم كل الجهادية الذين معهم  
 الى يونس الدكيم • وكان يرى من وراء ذلك التجمع الى وضع الجهادية تحت قيادة  
 يشق فيها • ويرى كذلك الى تقوية جبهة القلايات وجعلها تجمعا لجيوشه •

وكانت مشاكل الحدود بين العمالات والصراعات بين العمال المختلفين مسن  
 المشاكل الاولى التى تصدى الخليفة لحلها • وقد جاء الصراع بين يونس الدكيم

---

٨١ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٦ شعبان ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٦٠

٨٢ الخليفة الى يونس الدكيم ، ١٤ رجب ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ١٢٠

وإبي قرجة حول الحدود بين عالتيهما على رأس تلك المشاكل • فكتب الخليفة إلى يونس قائلا " ... وصار على مقتضى هذا جميع من بغرب بحر ابره فهو تبعاً لجهتكم من أي الاجناس كان ومن جهة شرق البحر المذكور تبعاً للحبيب محمد عثمان إبي قرجه ... ( وهذا ) كلاً يحصل استحوار على الحدود المذكورة وينشأ من ذلك تشويش ...<sup>٨٣</sup> ولكن بالرغم من هذا التحديد القاطع فإن علاقة القائدين لم تخل من " تشويش " وتعدى على حدود بعضهما البعض مما اضطر الخليفة لتكرار قراره في عدة خطابات •

ونشب خلاف مشابه بين ادريس احمد عامل التومات ومحمد ولد على عامل القوارف • فقام يونس بتحديد حدود لكل عماله فاصبحت القوارف تشمل راشد وصار، وتبعت التومات بقية المنطقة المحيطة بها حتى حدود الحبشة<sup>٨٤</sup> • وقد وافق ذلك

٨٣: الخليفة إلى يونس الدكيم ، ١٩ جماد آخر ١٣٠٤ ، مهديتصادر رقم ١١ ، ص ١٥٧

٨٤: يونس الدكيم إلى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٣ / ٦٢

الوضع هو في نفس الخليفة لانه يرى ان بوغار القوات هام ويحتاج الى شخص يوثق به مثل ادريس احمد .

واهتم الخليفة اهتماما كبيرا باعادة الاستقرار للمنطقة بعد الفوضى التي لحقت بها من جراء غارات الحبش . فرأى ان اول عوامل الاستقرار هو تركيز كل المملطات في يد يونس الدكهم وتاكيد رئاسته<sup>علي</sup> المنطقة . فكتب الى " كافة عباد الله المؤمنين بجهة القضايف " والى جميع العمال " بطلب منهم طاعة يونس الدكهم والامتثال لاوامره<sup>٨٥</sup> . وعندما حدثت بعض الاحتكاكات بين يونس وبقية العمال لم يتردد الخليفة من استدعائهم الى امدرمان . فقد شكوا يونس من محمد ارباب سكر واتهمه بالخيانة وعدم الصدق . فطلبه الخليفة اليه ، ولكن يونس راى بقاءه في القلايات خوفا من ان يؤدى استدعاه الى ثورة اهله والتكابر فينضموا الى صالح شنقا . ورأى يونس ان يرسل سكر بعد هطول الامطار وامتلاء الانهر والوديان ان يععب حينئذ

---

٨٥ : الخليفة الى المؤمنين بالقضايف ، ٢٩ ريسان ١٣٠١ ، مهدية صادر رقم

تحرك القبائل <sup>٨٦</sup> • وتضرر محمد عثمان خالد من معاملة يونس له وتعدى جماعته طيم • فكتب الخليفة الى يونس بان يحسن معاملة محمد عثمان • ولكن عندما تازمت الامور بينهما لم يتردد الخليفة من استدعاء محمد عثمان خالد الى ادمرمان <sup>٨٧</sup> • ولم تخل علاقة يونس وادريس احمد من شوائب • فقد ظل ادريس يتقفل بين التومات والقلابات حسب رغبة يونس ، ودائما ما يوافق الخليفة على رغبات يونس دون اعتبار الى تظلمات العمال • وقد حدث ان اخذ ادريس يهتم بجمع اموال بيت المال حسب الاوامر التي وصلت من ابراهيم عدلان • ولكن يونس الدكيم لم يقبل ذلك التدخل من امين بيت المال في شئون عمالته • فكتب الخليفة متهما ادريس احمد بانه أصبح يهتم بامور الدنيا دون الالتفات الى احوال جهته العسكرية • ولكن الخليفة ادرك مايرمي اليه يونس فكتب الى ادريس قائلا " ان يونس الدكيم هو

---

١. يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٣ / ٧٥  
 ٢. الخليفة الى يونس الدكيم ، ٨ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، د ٢٠٨



عامل الجهة ... وانتم تبعه وجهاتكم الى الآن في اضطراب فامركم متسلسلي  
بالحبيب يونس لا يولد عدلان وما يفعله معكم المذكور اقبلوه واصرفوا النظر  
عن محررات ولد عدلان فان امر الدين مقدم على امر الدنيا ...<sup>٨٨</sup> هكذا  
اهتم الخليفة بتأكيد رئاسة يونس الدكوم على المنطقة وتركيز كل السلطات في يده  
وابعاد اي عامل لا ينسجم معه .

واهتم الخليفة كذلك بتطمين الاهالي ليعودوا الى قراهم واعمالهم وذلك رغبة  
منه في اعادة الاستقرار الى المنطقة . فكتب الى يونس شارحا له هذه اسيسة  
قائلا " ... حينما انك متوجه الى جنات القلابات وماوالاها كالقصارف وراشد  
غيرها من الاماكن الموالية لتلك الجهات ومعلوم عندك ان سكان الجهة المذكورين  
اغلبهم تشتتوا وتحوشوا نظرا للخراب الحاصل من جهة اعداء الله الحبيشة لابلدهم  
من التامين والتنظيم ليستقروا باماكنهم وينتبهوا في دينهم ويرجعوا بما كانوا فيه

---

٨٨ الخليفة الى ادريس احمد ، ١٩ رمضان ١٣٠٤ هـ ، مهدية صادر رقم ١١ ،

من الهروب وترك الديار خالية فيلزم باحبينا بمصولك الى تلك الجهات ان تجسرى  
 تأمين كل من ترى منه تحوش وتحرر لهم المكاتبات اللازمة بالامان والرجوع الى الاوطان  
 كما كانوا سابقا . . . . .<sup>٨٩</sup> . كما طلب منه بمجرد وصوله ان يحرر الامانات الكافية للاهلالي  
 وان يوجههم الى الرجوع الى مساكنهم والعمل بالزراعة في الوقت التي تتوقف فيه  
 العمليات الحربية كما رأى الخليفة ان توضع كل قبيلة مع بعضها لعل هذا يساعد  
 على استقرار القبائل وبثائها<sup>٩٠</sup> . وبالرغم من هذه السياسة المتسامحة فقد واجهت  
 المهديّة ضعفا في ولا بعض القبائل وبالذات التكاير والضبانة واشكرية حتى ان  
 يونس الدكيم وصفهم بانهم " خائنين من غير استثناء " . . . . . ولا محبة لهم ولا معاملة  
 لهم ولا مع الله بل مع اعداءه<sup>٩١</sup> . فما هو موقف المهديّة في تلك القبائل

- 
- ٨٩ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢١ جمادى الاخر ١٣٠٤ مئدية صادر رقم ٩١ ، ص ٢٥٩  
 ٩٠ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مئدية ، ٢٢/٣/٧١  
 ٩١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢١ رجب ١٣٠٤ ، مئدية ، ٢٢/٣/٣١

فى عهد يونس الدكيم ؟

اما التكاير فقد كانوا موزعين فى ولائهم ينظرون حيناً عبر الحدود الى صالح شتقا والى ايام انتعاش التجارة مع الحبشة وحيناً لخرالى سطوة المهدية وقوتها • وقد كان وجود محمد ارباب بلاد سببا فى بقاء بعضهم على ولائه للمهدية لانه منجم • ولذلك عين الخليفة بعد محمد ارباب سكر خلفا لمحمد ارباب حتى لا يتسرد التكاير ويتسربوا عبر الحدود الى الحبشة •<sup>٩٢</sup>

اما قبيلة الضبانية فقد تبينا شأنها فى بداية عهد الخليفة عندما سجن زعيمها محمود عيسى زايد مما ادى الى تشتتها حتى سمح لها الخليفة بالاستقرار تحت زعامة عوض الكريم عيسى زايد • وفى عهد يونس الدكيم اتهم عوض الكريم بظلم الاهالى فقرر الخليفة عزله وولى بدلا منه حامد مروس ، وارسل الى الضبانية لرفع ضلالتهم ضد عوض الكريم الى يونس • فقام يونس الدكيم باستدعاء عوض الكريم والقى به فى السجن ووضعه فى الحديد وشد عليه حتى يعترف بما ارتكب من

---

٦ . يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٢٥ / ٧٥

مزالم • وبقي عوض الكريم في السجن مدة ثلاثة اشهر دون ان ترد الي يونس  
اي شكوى ضده • فاطلق صراحه ووجده مازال على استعداد لخدمة المهديسة •  
كما قام بمد يونس بكميات من الذرة كان يختزنها لجيشه • وقام يونس من جانبه  
بمخالفة اوامر الخليفة فعزل حامد مروس واعاد تعيين عوض الكريم وذلك لانه راي ان  
وجود حامد قد زاد القبيلة " زعزعة واضطرابا " <sup>٩٣</sup> وكان الخليفة قد قرر اعادة  
الضمانية المحتجزين في امدران الي اوطانهم بعد ان عاهدوه على الوقوف  
بجانب المهديسة واعدوا بان يقوموا بان يترصد لخبار الحبش على الحدود •  
ولكننا نجد ان الخليفة لم يأخذ بوعدهم كاملا فارسل الي يونس ليكون على حذر  
منهم وان يتأكد من انهم مهتمين بالتجسس على الحبش ، كما طلب من يونس  
ان يرسل دائما معهم اشخاصا موثوق بهم ليرافقوهم عبر الحدود حتى لا ينقلبوا عن  
وعدهم وينضموا الي الحبش على الجانب الاخر من الحدود <sup>٩٤</sup> • ولعل هذا الوضع  
يعكس منتهى عدم الثقة بين الخليفة والضمانية • ولكن رغبة الخليفة في خلق جو

٣ ، يونس الدكيم الي الخليفة ، ٢٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مخدية ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٩١

٤ ؛ الخليفة الي يونس الدكيم ، ٢١ الحجة ١٣٠٤ ، مخدية ، ١ / ٢٢ / ١ / ٤١

من الاستقرار في المنطقة ، وأملا في الاستفادة من الضمانات في عمليات التجسس وفي

الزراعة فقد أطلق صراح زعمائهم وبعث لهم بالامان الكافي .

لما قبيلة الشكرية فقد اهتم بها الخليفة اهتماما خاصا ، ادراكا منه باهميتها

في تلك المنطقة . وحتى قبل ان يصل يونس الدكيم الى القلايات كان الخليفة قد

كتب اليه يوصيه خيرا بعبد الله ابو سن وبأخيه " عبد الله " وقبيلة الشكرية عامة ،

كما طلب منه ان يحسن مخاطبتهم بما يشرح صدورهم . وحرصا من الخليفة للتأكد

من ولاء الشكرية فقد طلب حضور كل القبيلة الى امدرمان ، وكتب لهم بذلك

في يوليو ١٨٨٧ (شوال ١٣٠٤)<sup>٩٥</sup> ويبدو ان طلب الخليفة هذا قد جاء نتيجة لان

الشكرية قد اعملوا مسألة القيام للجهاد كلية واهتموا بامور الدنيا من زراعة ورعي وتجارة .

وكانت هذه نقطة الافتراق بين الشكرية والمهدية . فكان لابد من استدعاء الشكرية

الى امدرمان لازالة ذلك التناقض . وعلى الرغم من مجيء الشكرية الى البقعة ومعاهدة

الخليفة للقيام بامر الجهاد ، الا ان الخليفة رأى ان يعيدهم الى اماكنهم وان يوزعهم

---

٩٥ الخليفة الى قبيلة الشكرية ، ٢٥ شوال ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، د ٢٢٠

الى ثلاثة مناطق متفرقة ليضعف من شأنهم • فطلب من شكريّة " العاديّك " الحضور الى امدرمان " بكليّاتهم " • اما الشكرية على نهر عطبرة فامرهم ان ينضموا طلى كسلا • واما شكريّة " الاعداد " فقد خيرهم بين كسلا والبقعة • وامهلهم حتى لشر اكتوبر ١٨٨٢ ( صفر ١٣٠٥ ) لتنفيذ هذا الاتفاق ، ومن يوجد منهم بعد ذلك مخال به فسيق عليه الجزاء الشديد " بالتغنيم او ما هو اشد " • وعبر الخليفة عن عدم ثقته بالشكرية بوصفه لهم " انهم لصحاب حيل " ، ولذلك طلب من يونس ان " يرفع ضلهم كل العملاء ليلا ينهجبوا ... في ما بعد بان جماعتكم ( تعدوا عليهم ) " .

وقد اتخذ الخليفة قراره هذا بشأن الشكرية لاعتقاده بانهم ليسوا اهل تربية وراسهم خالي من جهة الدين وحيلمهم كثيرة ... " <sup>٩٦</sup> على ان قبيلة الشكرية لم تستجيب كلها لدعوة الخليفة فقد هرب جزء منها الى الحبشة وناصبوا دولة المهديّة العدا •

نقام الخليفة باعتقال بعض زعمائهم الذين كانوا في امدرمان واودعهم السجن ولمسح عددهم حوالي مائتين وطلّى راسهم عوض الكريم احمد ابوسن الذي توفي في نفس

---

١٦ . الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٥ الحجة ١٣٠٤ ، مؤدية صادر رقم ١١ ، ص ٢٦٢

العام وهو بالسجن ولحق به عدد من زعماء قبيلته<sup>٩٨</sup> . وبهذا ينتهي فصل هام من  
علاقة دولة المهدية بقبيلة الشكرية .

ولا تختلف قبيلة الشكرية عن قبيلة الضبانية فموقفها من المهدية . فكلا القبيلتين  
قد قاستا كثيرا من الفشتت والمرارة . فاذا كان موقف المهدية من اكبر قبيلتين فسي  
المنطقة هو ما سلف ذكره فلا بد لنا ان نستنتج ان المهدية لم تضرب جذورا اجتماعية  
وفكرية عميقة في المنطقة بل ظل وجودها يعتمد الى حد كبير على وضعها العسكري  
وقوتها . ولكن لابد لنا ان نشير كذلك الى ان تلك القبائل قد وقفت من المهدية  
موقفا جعل علاقتها مع المهدية لا تقوم الا على القوة والعنف . ولعل هذا راجع الى  
ان تلك القبائل لم تكن تريد التغيير الذي كانت تدعو له الحركة المهدية . فقد كانت  
تلك القبائل تتمتع بوضع اجتماعي وسياسي واقتصادي معازت تحت ظل الحكم التركي-  
النصري مما جعلها تثبت به . ولذلك لم تكن معارضة للتركية مجرد نزوة من زعمائها  
بل لارتباط مصالحها مع النظام الماضي .

## النزاع مع الحبشة

لم يشأ الخليفة أن يدخل في حرب مع الحبشة منذ بداية الأمر خصوصاً وأن المنطقة مضطربة والقبائل مزعزعة الولاء ، وجيش يونس الدكيم لا يوثق به كثيراً فسي مجابهة جيوش الحبشة وحمدان لم يصل بعد من الغرب • فقام الخليفة في فبراير ١٨٨٢ (جماد أول ١٣٠٤) بإرسال خطاب إلى يوحنا • ويختلف هذا الخطاب في نغمته وروحه عن الخطابات التي أرسلها الخليفة فيما بعد • ويمكننا أن نقول أن الخليفة كان يرى من ذلك الخطاب إلى كسب الوقت حتى يقوى موقعه • يبدأ الخليفة خطابه بالديباجة المعهودة ويتحدث عن قدرة الله ويستشهد بآيات من القرآن • ثم ينتقل للحديث عن دعوة المهدية وأهدافها ويخاطب يوحنا قائلاً " فإن شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله نطقاً بلسانك واعتقاداً في جنانك واجبت دعوتي والقيت زمام أمرك طوعاً أو كراهة فقد دخلت في حرم الإسلام " • ثم يذكر له الحديث الشريف عن الحبش " ونحن كنا ملاحظين إشارة قول سيد المرسلين تركوا الجيش ما تركوكم ومن ثم لم نصرح لجيوش المسلمين بغزو جيئكم حتى حصل منك التعدي " • ويستمر الخليفة في الحديث عن أهداف الحش المتكسرة



وسلبهم ونهبهم وابوائهم المرتدين من المسلمين امثال صالح شنقا وعجيل وابي جسن الشكري والمضوي عبد الرحمن . ثم وضع الخليفة ليوحنا ثلاثة شروط لينفذها حتى يسلم من الحرب وهي ان يرجع جميع الاسرى الذين بطرفه ، ثانيا ان يعيد المرتدين اذا كانت لهم رغبة او يحصل منهم على تنازلات كتابية يعلنون فيها تنازلهم عن دينهم حتى يعتبروا من غير المسلمين ، واخيرا ان يكف يده عن التعدي على بلاد الاسلام وان يلزم حدوده . فان اوفى بهذه الشروط فان الخليفة يعده بان يكف عنه الحرب ولا يدع " جيش المسلمين " يدخل بلاده ، وان ابى فسيلا سبيل الى الحرب بينهما .<sup>٩٨</sup>

يشير هذا الخطاب الى عدة قضايا هامة . اولها انه يضع شروطا للسلم بين دولة المهدية والحبشة بغض النظر عن مسحية الحبشة ، وهذه فكرة غريبة على المهدية في ذلك الطور المبكر من تاريخها . ففكرة التعايش السلمي بين الدولتين فرضتها ظروف التدخل الاجنبي فيما بعد . وثانيها ان الحبشة هي الدولة المعتدية

وليس المهدية • يمكننا ان نلاحظ كذلك ان اسلوب الخطاب يتصف بالهدوء وهذا  
 يختلف عن اسلوب التهديد والعنف الذي ظهر في خطابات حمدان فيما بعد <sup>٩٩</sup> •  
 ولعل الخليفة كان يهدف من ذلك الخطاب ان يتجنب الدخول في حرب مع الحبشة  
 قبل ان يتأكد من قوته العسكرية وموقفه الداخلي • ولذلك يمكننا ان نصف خطابهم  
 الي يوحنا بالذكاء وحسن التصرف • فقد كان خطابه ، على حد تعبير سلاطين ، خطابا  
 سلميا • ولكن الخليفة لم يستلم اى رد على خطابه وبهذا يكون باب التفاهم السلمى  
 قد اُغلق تماما <sup>١٠٠</sup> • وظل الخليفة ينتظر وصول حمدان ابي غنجة في الوقت  
 الذي اتبع فيه يونس سياسة تجنب حينا نحو السلم وحينا نحو الحرب ولكن دون ان  
 يدخل في معارك رئيسية مع الحبش • ويمكننا ان نلخص سياسة يونس في ثلاثة  
 مظاهر : اولا السماح باستمرار التجارة بين البلدين ، ثانيا ارسال حملات للقيام  
 باعمال حربية محدودة على الحدود الحبشية ، واخيرا استطلاع اخبار الحبش  
 وتحركاتهم وارسال المعلومات عنها الى الخليفة اولا بأول •

٩٩ . انظر الفصل الرابع الجزء الخاص بعلاقة حمدان ابي غنجة مع الحبش في

لم تتأثر تحركات القبائل عبر الحدود الحبشية السودانية بالاضاع السياسية والعسكرية التي تطورت في المنطقة . فقد كان التكاير ينتقلون بين القلايات ومنطقة صالح شنقا وينقلون اخبار المندية او يتجسسون على الحبش . على ان يونس الدكيم كان يرى بانهم جواسيس للجيش لا للمهدية ولذلك قام باعتقال<sup>عدد</sup> منهم ووضعهم في الحديد بل واتهم محمد ارباب سكر بالاشتراك معهم<sup>١٠١</sup> ولكن يونس لم يفقد الامل في استمالة صالح شنقا وعلى اقل تقدير ان يخلق جوا من التفاهم معه . لذلك بادره بالكتابة طالبا منه ان يسلم الاسرى الذين معه<sup>١٠٢</sup> . ولعل يونس الدكيم كان يرمى من تلك المحاولات عدم عرقلة الحركة التجارية . واستمرت عملية التبادل التجاري كذلك على يد النقادية<sup>١٠٣</sup> . وقد سمح لهم يونس بدخول دولة المهدية لانهم في رايه " من مساكين المكاده . . . اهل بيع وشراء فقط لا اهل محاربة " ولذلك لم ير مانعا من السماح لهم بالتنقل بين الحبشه ودولة المهدية على الرغم من علمه بضعف ايمانهم وتظاهرهم بالاسلام في القلايات ودولهم عنهم

١٠١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٩ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ، ٢٤/٣/٢٢/١

١٠٢ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٢ رجب ١٣٠٤ ، مهدية ، ٣٥/٣/٢٤/١

١٠٣ نقادية كلمة حبشية معناها تجاري وهي جمع لكلمة نقادي . واستعملها الانصار لتعني التجار الحبش . اما المكاده فتعني الحبش عموما ولكنها تستعمل عند الانصار كثيرا لتعني الحبش المتأخمين لمنطقة القلايات .

إذا عادوا لبلادهم • وكتب الى الخليفة يستشير في امرهم فرد عليه بان النقادية  
 " مساكين وضعاف وليس متراكم منهم ضرر وحاصلة الثمرة في حضورهم للمجاهدين  
 فلا مانع من تركهم والتصريح لهم بالحضور اذا كان لم تتروا ضرر في ذلك ولكن يؤخذ  
 منهم الثمن من جملة الاشياء التي يحضروا بها " ١٠٤ • ووضح ان الخليفة قد غلب  
 المنفعة التجارية والمصلحة التي سيجنيها المحاربون من ذلك • وطلب اكثم قبرو ،  
 احد زعماء المكادة ، من يونس ان يسمح باستمرار التجارة بين البلدين على ان يظل كل  
 على دينه ، وان ينسى الانتصار مقتل محمد ارباب وينسى المكادة بالتالي مقتل دهناشوم •  
 فلم ير يونس مانعا من ذلك • وكتب الى اكثم قبرو بان قصد الانتصار هو تسليم صالح  
 شتفا فقط • وعندما كتب يونس الى الخليفة وافقه على فعله تماما ١٠٥ •

ولكن هذه الروح التسامحة وذلك النشاط التجارى وتلك الحركة الدائبة على  
 حدود البلدين لم تدم طويلا • ففي مايو ٨٧ (منتصف شعبان ١٣٠٤) حضرت

---

١٠٤ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٦ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية صادر رقم ١١ ، د ١٨٠

١٠٥ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٨ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ، ٤٧/٣/٢٢/١

الى القلايات قافلة تجارية كبيرة مكونة من ٤٠٢ من المكادة والجبرنة فقام يونس  
 باعتقالها وصادرة بضائعها وارسلها الى امدرمان . فارتفعت اسهم يونس لدى  
 الخليفة حتى اطلق عليه عدة القاب مثل " غريت المشركين " و " مسمار الدين " <sup>١٠٦</sup> .  
 وقد كانت حجة يونس في اعتقالهم انهم من الحبش الذين يتبعون ~~هم~~ لامارة بره  
 الحبشى ودجاج نسما وكلاهما من اتباع الراس عدار ، وانهم من المخلين الذين لا يتبعون  
 الصلاة ويدفعون " القبر " للحبشه <sup>١٠٧</sup> . ووافق الخليفة على كل الخطوات التى  
 اتخذها يونس بينما كان الخليفة نفسه قد وافق من قبل على استمرار الحركة التجارية  
 على الرغم من علمه بان المكادة غير مخلصين فى امور دينهم <sup>١٠٨</sup> . فما الذى ادى  
 الى ذلك التحول فى اتجاهات الخليفة وعامله يونس الدكيم ؟ يعتقد سلاطين ان امتناع  
 يوحنا من الرد على خطاب الخليفة هو الذى جعل الخليفة يوافق على خطوات يونس  
 الاخيرة ، وبـل وموافقه على القيام بعطيات حربية محدودة <sup>١٠٩</sup> . وفى رأى سلاطين

---

Slatin, op.cit, P. 416 ١٠٦

١٠٧ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٧ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٠١

١٠٨ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٧ رمضان ١٣٠٤ مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٠٥

Slatin, op.cit, P. 415 ١٠٩

هذا ربما تكمن بعض الحقيقة ، ولكنه لا يعطى تفسيراً كافياً للتحول الذى طرأ على سياسة يونس . من المرجح ان يونس الدكيم قام بمهاجمة تلك القافلة لكثرة عددها وكثرة الثروة التى كانت تحملها ، وراى يونس ان تقديم تلك الثروة سيرفع من شأنه امام الخليفة . وبما شجعه على القيام بتلك الخطوة تأكده من ان الجيش لن يتمكنوا من القيام بعملیات حربية ان كانت تلك الفترة بداية فصل الامطار مما يجعل تحركات الجيوش امرا صعبا بل ربما مستحيلا . ووافق الخليفة كذلك لمعرفته بتلك الحقيقة ، بل ووافق يونس على القيام ببعض الاعمال الحربية . وفعلنا لارسل يونس بعض الحملات الحربية الى حدود الحبشة وذلك فى شهرى مايو ويونيه ( شعبان ، رمضان ) بلغت جملة اربع حملات .

كانت الحملة الاولى الى قديى <sup>١١٠</sup> فى مايو ( شعبان ) ، وكانت بقيادة الياس على كونه . فبعد وفاة محمد ارباب تحول عامل قديى يحيى ولد الوكيل نحو

---

١١٠ تقع قديى على الحدود الحبشية للشمال من القلايات . وهى سوق تجارى . وكان محمد ارباب قد عين يحيى ولد الوكيل عاملا عليها .

الحبش ، بل واحضر بعض قادتهم الى منزله واحسن وفادتهم واعطاهم عددا من  
 الفادق " الرامتون " . وعلم يونس انه هناهم بمقتل محمد ارياب . كما سمح لهم  
 بقتل الاهالى الذين يعتقدون انهم ضد الحبشة . وجعل سوق قديى مفتوحا  
 للحبش حتى بيع فيه التماك . وكان يحيى ياخذ العشور على البضائع وسمح  
 للحبش ياخذ ثلثين منها . كما قام بارسال كل امواله ومناعه للحبشة استعدادا  
 للهرب <sup>١١١</sup> . يبدو ان هذه الرواية التى بعثها يونس الى الخليفة فيها بعض  
 المبالغة . فلعل يحيى ولد الوكيل قد سمح للحبش ببعض الحرية التجارية حفاظا على  
 انتعاش التجارة . او لعله آثر ان يعالِم الحبش لعدم قدرته على صد هم . لانه  
 اذا كان ولد الوكيل قد وصل ذلك الحد من الخيانة لقضية المهدية ، لما قبل دعوة  
 يونس وذهب الى القلايات . فقد كان يونس قد دعاه الى القلايات ، وعند قدومه  
 اليها قام يونس باعتقاله وسجنه . وفى السجن اعترف ببعض تلك التصرفات ، وربما  
 اعترف باتعماله التجارى بالحبش . فما كان من يونس الا ان قام بعلمه فى سوق

الغلايات وكتب الى الخليفة بذلك فوافقه على تصرفه <sup>١١٢</sup> . ثم بعث بهد بحملة الياس كنونه واحتلت قدي .

وارسلت الحملة الثانية في ١٥ مايو ( ٢١ شعبان ) بقيادة علي جبر الى جبل غرة محل إقامة سيوم الحبشي . وكان يونس قد سمع بتجمعات الحبش في تلك المنطقة . سارت الحملة الى الجبل وتمكنت من صعوده بعد يوم كامل وهناك وجدوا ان الحبش قد فروا منه بعد ان علموا بكثرة عدد الانصار . وقام الانصار عند ذلك بهدم ثلاثة كنائس هناك واضلخوا سراح بعض الاسرى الذين كانوا قد اعتقلوا في الواقعة الستة استشهد فيها محمد ارباب . ثم قام الانصار بعد ذلك باقتناء اثر الحبش حتى لحقوا بهم في مكان يقال له قلقوا على بعد ثلاثة ايام من الغلايات . وتمكنوا من هزيمة الحبش واسروا منهم ثلاثمائة وواحدا وعشرين رجلا ومائة وثمانية وثمانين امرأة وطفل وستة من القواد . وكان من بين الاسرى بعض من الضبانية والحمدة والشكرية . وعادت الحملة الى الغلايات سالمة على الرغم من صعوبة الطريق ووعورته <sup>١١٣</sup> .

١٢ : الطراز المنقوش ، ص ٥٠-٥٣

١٣ : المصدر السابق ، ص ٤٠-٤٤



وارسلت الحملة الثالثة ضد عجيل عوض الحمرائى فى غبته وكانت بقيادة هنون النهل . وكان عجيل مانتى يقوم بخاراته على حدود دولة المهديّة بفرض السلب والنهب . ففى ٢١ مايو (٢٧ شعبان) قام جماعة من اتباعه بالهجوم على حلة ابو حامد بجهة التوامت ونهبوها . وفى طريق عودتهم قابلتهم جماعة من الانصار عند نهر عطبرة بقيادة محمد ولد عامر فقتلت منهم عددا كبيرا . وفى اواخر مايو (نهاية شعبان) قامت جماعة اخرى من انصار عجيل بالهجوم على حلة قديى ولكن الانصار بقيادة عبد الوهاب ولد داود تمكنوا من صدّهم <sup>١١٤</sup> . وتماذى عجيل الحمرائى فى اعماله العدوانية " فشرع فى الفساد فى الارض وشن الغارات على ارض الاسلام وسلب ونهب وقطع الطريق وانضم اليه المفسدون وقطاع الطرق ... " ووصلت اسماع يونس انه ينوى القيام بهجوم كبير على تبارك الله <sup>١١٥</sup> . فكتب يونس الى الخليفة بانه قرر القيام لمحاربة عجيل وان يقتفى اثره \* محل ما يكون ولو كان مع

---

١١٤ الخليفة الى يونس الدكّم ٢٠ رمضان ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٣ / ٧٤

١١٥ الطراز المنقوش : ص ٥٣ - ٥٤

النفس " ، ولكن اهل الراى من الانتصار منعوه من ذلك خوفا من ان يحدث قيامه " ومن وخفه لضعفه " العقول بالنظر لقيام اكثر اهل السرية " معه ، وخوفا من ان يقوم الحبش بالهجوم على القلايات اذا علموا بخروج الجيش مع يونس . اما اذا بقى يونس بالقلايات فسيعتقد الحبش ان اكثر القوة باقية مع يونس بالقلايات . ولذلك اشار الانتصار من " اهل العزم والتدبير " على يونس بارسال هنون النهل على راس " الغزوة " . وتحركت الحملة من القلايات يوم ٢٢ مايو ( ٤ رمضان ) وكانت تتكون من اربعة عشر الف بندقية وثمانمائة وثمان واربعين من حملة الحراب ومائة من الخيالة بجانب رايات النور فقرا التى كانت تصاحب الحملة <sup>١١٦</sup> .

سارت الحملة حتى بحر باسلام حيث قابلت جماعة من اعوان عجيل بقيادة الشيخ اذ ان عجيلا كان قد ذهب لمقابلة يوحنا ليستنفره للقيام لمحاربة الانتصار . واستطاع هنون ان يهزم جماعة عجيل وان يقتل منهم نحو من مائة وخمسين واسر اعدادا كبيرة اخرى كما قتل احمد النوم احد قادة عجيل وكان " طلحة عجيل

وعنيفة وقوته " • ثم توجهت الحملة الى مقر " حكومة " وهو احد عبيد الضيائية وكان قد هرب عند قيام المهدية وانضم الى عجيل واخذ في شن الغارات من تلك المنطقة • واستطاع الانتصار ان يحققوا نصرهم الثاني وكان ضد " حكومة " واجبروه على الفرار • ثم انتقلت الحملة الى حلال نقارة وهاجموها وقتلوا احد قادة عجيل ويدعى عبد الرحمن ولد الطاهر • ثم قابلت الحملة جماعة من الشكرية المعارضين للمهدية فقتلت منهم نحو من ثلاثين شخصا • وعندما وصلت الحملة الى مقر عجيل وجدته شبه خالي ، فقتل الانتصار البقية الباقية منهم واسروا عددا منهم • ثم عادت الحملة ادراجها الى القلايات بعد تلك الانتصارات المتعددة ومعها من الغنائم ستة " خروز ذهب " ، واثنان وثلاثون " شولق ذهب " ، وستة " مئمن ذهب " ، وثلاثة وثلاثون رقيق ، واثنان وعشرون جمال ، واربعة حمير •

١١٢

• وكانت اخر حملة ارسلها يونس ضد صالح شفا وهي ايضا بقيادة هنون النيل • وبعث الى الخليفة برسالة يوضح فيها الاسباب التي ادت الى ارسال تلك الحملة فقال

"... ان الباعث لتعيين انصار الدين لجهاد ضد الله صالح شتقا من هذا الان عدة اوجه منها ان المذكور كلما اطلقت الحبشة نار الحرب اوقدها وكلما نامت الفتنة اثارها... وكلما انهزم احد من المنافقين كان له ناصرا... وتمكين بنات عمه واقاربهم الى المكاداة... ودواما متهربا بنا وغارف باحوالنا بواسطة جواسيسه الذين ياتونه باخبارنا واكثرهم من التفكير فغيره على الاسلام وسدا لباب افساده اخترنا جهاده... كما اوضح يونس للخليفة ان الحطة مرسله لاسباب عسكرية استراتيجية وهي ان الجيش اذا هجموا بعد انتهاء فصل الامطار فان هجومهم سيكون شاقا على الانصار خصوصا وان الجيش اكثر استعدادا من الانصار... لذلك راي ارسال حملة مهاجمتهم على غلة " ليقع الله الرعب في قلوبهم " واذا تمكن الجيش من الهروب واغلبوا من الهجوم المفاجيء فان في " حرق حلالهم وتدمير ديارهم رهبة لاعداء الله " وقطع دابرهم بحيث لا " تتعلق امانهم مرة اخرى بصالح " ١١٨ . وكانت قد وصلت الى يونس بعض الاخبار مفادها ان صالح

شنتا على علم باحوال الانتصار ، وقد وصلت تلك الاخبار عن طريق جواسيسه . وعلم  
يونس كذلك ان بعض رؤساء التكاير في القلايات كانوا يرسلون جزية سنوية الى  
صالح ومقدارها الف ريال ، وانهم طلبوا من صالح ان يدركهم لانهم لن يستطيعوا  
دفعها بعد ذلك لان الجهة قد خرجت عن ايديهم . وعلم يونس ان صالحا قام  
باستدعاء زعماء المكادة فاجتمع لديه عدد كبير منهم في مكان يدعى دهر سونسا  
بمقاطعة شلقة ، فالتزم صالح يستعد للهجوم على القلايات <sup>١١٩</sup> . لكل هذه الاسباب  
مجموعة قرر يونس ارسال حملة حربية ضد صالح ادريس ، وقد وافقه زعماء الانتصار  
على رايه . وقرر يونس ان يخرج على رأس الحملة ولكن صلا الانتصار قرروا للمرة  
الثانية عدم خروجه ، م يونس بدلا عنه هنون النيل " لما فيه من الهذالة  
واهمة والشجاعة " ولم يكن قائد تلك الحملة عربي دفع الله كما ذهب الى ذلك  
الكردياني . ولعل شهرة عربي دفع الله هي التي جعلت الكردياني يقع في ذلك  
الخط <sup>١٢٠</sup> . وخرجت الحملة من القلايات يوم ١٣ يونيو ( ٢١ رمضان ) . واختارت

١١٩ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١٠ شعبان ١٣٠٤ ، مهدية ، ٣٨/٣/٢٢/١

١٢٠ الطراز النقوش ، ص ٥٠-٥١

الحملة ان تسير باقرب الطرق على الرغم من وهوته وممراته الضيقة لانه خالى من السكان ويمكن قطعه فى ثلاثة ايام . وكانت الحملة تتكون من الفين ومائتين وخمسين وعشرين بندقية و الف وثلاثمائة وسبعة عشر من حملة الحراب ومائة وثلاثة عشر خيالة ، وكان عدد الجهادية فى الحملة الفا واربعمائة وخمسة وثلاثين بقيادة عربى دفع الله وابراهيم الرفيعه ١٢١ .

بعد مسيرة ثلاثة ايام وصلت الحملة على مقربة من حلة صالح شنقا ( ١٥ يونية ، ٢٣ رمضان ) وقرر الانصار مهاجمته فى الحال حتى لايفلت منهم . فدارت معركة قصيرة بين الطرفين انتصر فيها الانصار ، اما صالح ادريس فقد تمكن من الفرار مستعيناً بالوديان والجبال التى تنتشر فى تلك المنطقة ١٢٢ . ونجم الانصار كل ماله واهله ، وفقدوا شهددين . ويبدو ان الهجوم كان فعلا مفاجئا حتى حقق تلك النتائج الباهرة . ولكن صالح شنقا يرى ان سبب هزيمته راجع الى ان القائد الحبشى اكشم قبرو لم يخف لنجدته . فعزله يوحنا وولى دجاج برهى بدلا عنه . ثم قام الانصار

١٢١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٣ / ١١٥

١٢٢ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٣ / ١٨٤

باحراق كل منازل الحطة وغادروها يوم ١٦ يونية ( ٢٤ رمضان ) في طريق هودتهم .  
 وفي الطريق كان الانصار يقومون باحراق القرى وقتل اهاليها حتى وصلوا في منتصف  
 ذلك اليوم الى " المناثق " وهي الطرق الضيقة التي تنتشر في شعاب الجبال -  
 حيث وجدوا ان فلول جماعة صالح قد احتلوها . فقام بعض الجهادية بقيادة  
 سرير سليمان بالتصدي لهم وهزمهم . وفي اليوم التالي اعاد الاعداء الكرة ولكن  
 دون جدوى ، فقد كان الانصار متيقظين تماما . واستأنفت الحملة مسيرها حتى  
 وصلت القلايات يوم ٢١ / يونيو ( ٢٩ رمضان ) . وبلغت جملة خسائر الانصار واحدا  
 وعشرين شهيدا واربعة عشر جريحا <sup>١٢٣</sup> . وبلغت غنائم الانصار كميات كبيرة من  
 الذهب الشناوى وحوالى خمسين قطعة من الحلوى الذهبية ، وتسعة وتسعين من الرقيق ،  
 ومائتين وثمانين ريالاً ، وكل امتعة صالح شنقا واهله وعائلته . كما عادت الحملة  
 باعداد كبيرة من الكسب اسرى الانصار الذين اخذوا بعد مقتل محمد ارباب <sup>١٢٤</sup> .

١٢٣ يؤنس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ رمضان ١٣٠٤ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٣ / ١٨٨

١٢٤ امين بيت مال المرية للشرقية الى الخليفة ، شوال ١٣٠٤ ، مهدية ، ٢ / ١ / ١٢

واعتبر الخليفة ذلك الانتصار حدثا هاما فقام بقلادة تفاصيله على الانتصار في مسجد  
امدرمان .

يبدو واضحا ان تلك الحملات التي ارسلها يونس تباعا لم تعد عن كونها  
غزوات او حملات تاديبية بقصد الغنيمه وتهديم المنطقة . وكانت تلك الحملات  
موجهة في جملتها ضد اولئك الذين هربوا من المهدية وانضموا الى جانب الحبش ،  
ولم تكن موجهة الى الحبش انفسهم ، ولذلك اقتصر نشاطها على الحدود الحبشية . وفي  
تلك الحدود لم يضع الحبش اى جيوش من عندهم بل اعتمدوا على اعدائهم من  
القبائل المحلية مثل التكاير والحرمان وبعض الشكرية . والضيانية . فلا الانتصار  
ولا الحبش كانوا على استعداد في ذلك الوقت لحرب كبيرة . فقد كان يوحنا  
في دبر تابور يحاول تجميع جيوشه ، وكان الخليفة في امدرمان في انتظار وصول حمدان  
ابوعنجة ، لذلك طلب من يونس ان يكون مدافعا اكثر منه مهاجما . كما وجهه  
ليهتم بمسقط اخبار الحبش وتحركاتهم ، واكد عليه الاهتمام بتلك المهمة .

قضى يونس الدكهم بقية فترته في القلايات ( يوليو ٨٢ ~ يناير ١٨٨٨ ،

القعده ١٣٠٤ - ربيع اخر ١٣٠٥ ) وهو يحاول التمسك على الحبش ومعرفته



اخبارهم لارسالها الى الخليفة • فارسل له في ٣٠ يوليو (١ القعدة) يخبره ان  
 عجيل الحمراي قد عاد من عند يوحنا وبصحبه تسما الحبش بعد ان اصرح انفس  
 بينهما ، وان عجيل قد استقر في غبقة وهو " متعصب للقتال " • اما يوحنا  
 فهو مقيم في زبول بجهات القالة " • اما بقية اخبار الحبش فان يونس ليس على  
 علم بها وتفاصيلها غير واضحة لديه <sup>١٢٥</sup> • لاشك ان تلك الاخبار لم تزج الخليفة  
 لان عجيلا في رايه لا يمثل خطرا كبيرا ولا يمكن ان يعهد اليه الحبش بالقسام  
 بحرب واسعة النطاق • ثم ان وجود يوحنا بجهات القالة يبعد فكرة الحرب في  
 ذلك الوقت • وقد كان الخليفة على يقين من ان الحبش لا يمكن ان يشنوا حربا  
 في فصل الامطار • وفي ١٢ سبتمبر (٢٣ الحجة) ارسل يونس خطابا اخر الى  
 اخليفة يكرر فيه انقطاع اخبار الحبش ويرد ذلك الى مراكة محمد ارياب سكر لهم ،  
 ولذلك فقد قرر اعتقاله وسجنه وارساله الى الخليفة <sup>١٢٦</sup> •

١٢٥ يونس الدكيم الى الخليفة ، في القعدة ١٣٠٤ ، مهديّة ، ١ / ٢٢ / ٣ / ١٣٩

١٢٦ الخليفة الى يونس الدكيم ، ٢٣ الحجة ١٣٠٤ ، مهديّة صادر رقم ١١ ، ص ٢٦٠

وفي نفس شهر سبتمبر ( آخر الحجة ) وصلت الى يونس بعض الاخبار فاذها  
 ان يوحنا قد دعى كل رؤساء دولته للاجتماع به بجيوشهم في دير تاهور ، وانه  
 قد اجتمع اليه عدد كبير منهم وعلى راسهم منليك وراس عدار . وقد حدد لذلك  
 الاجتماع يوم ١٤ سبتمبر ( ٢٥ الحجة ) لانه يوافق عيد " شرب المزغل " احد  
 اعياد الحبش حيث يجمعوا الاخشاب والحطب ويضرموا النيران ابتهاجا بانتهاء  
 العريف وحلول الشتاء<sup>١٦٧</sup> . وعلم يونس كذلك ان يوحنا نفسه كان قد عاد من  
 ارض النقرى محل عشيرته الى دير تاهور وانه اخذ يستعد للهجوم على القلايات  
 كما تواترت الاخبار الى يونس بوصول سيوم الحبشى الى جهة غورة وبصحبته ادريسى  
 على وشو من قبيلة الحمدة ، وكان يونس قد بعثه للتجسس على الحبش فانحاز اليهم .  
 وعلم يونس كذلك ان راس عدار قد وصل الى شلقه وانضم له صالح شنقا ودجاج  
 تسمى وعجل . وانهم " ناوين " الهجوم على القلايات من ثلاثة جهات وانهم ارسلوا  
 طلائعهم الى جهة التومات وانهم مداومين على ذلك يوما<sup>١٦٨</sup> .

١٦٧ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٨ الحجة ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ١٥٩

١٦٨ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ الحجة ١٣٠٤ ، مهدية ، ١/ ٢٢/ ٣/ ١٧٤

ووصلت لخبار اخرى الى يونس تنيد ان شخصا يدعى محمد ولد الفحل الصليحي ،  
 من قبيلة صليح المقيمة بجهات القلايات ، كان قد ذهب الى قديى ومنها عبر نهـسـر  
 مضبرة الى مكان يسمى خور الدوم على الحدود الحبشية ، وهناك وجد اعدادا كبيرة  
 من الحبش منجمعين تحت قيادة دجاج بوهى . كما علم طم ان يوحنا مصم على  
 غزو القلايات وانه قد اجتمع له جيش كبير قام بتقسيمه كل اربعة اقسام : قسم فى  
 دبرتاهور ، واخر فى شلقه ، وثالث فى دهر سينا ، والاخير فى جركن مع دجاج  
 برهى ، وذلك لان يوحنا قرر الهجوم على القلايات من اربعة جهات <sup>١٦٩</sup> . وفى  
 منتصف اكتوبر ( اواخر محرم ١٣٠٥ ) اكده يونس للخليفة خبر استعداد الجيش للهجوم .  
 فقام يونس من جانبه باجراء تحركات احتياطية لمواجهة الهجوم المرتقب . فوضـع  
 المديرية بقيادة النصرى محمد العالم فى مواجهة صالح شنقا ، والجوامعة بقيادة عبد  
 الله جاموس على جهة شلقه ، والحمري بقيادة محمد احمد ابو ام فضالى على جهة غورة ،  
 ومبد الله البرقاوى على جهة قديى . فقام كل امير بارسال دوريات لتستطلع اخبار

الحبش ، وكانت تلك الدوريات تدخل في اشتباكات مع الحبش احيانا . ١٣٠

لعله من الواضح من تلك الخطابات التي كان يبعتها بهذا يونس الى الخليفة ان الحبش كانوا يقومون ببعض الاستعدادات الحربية . ولكن بعض الروايات التي كان يردها يونس عن خطورة تلك الاستعدادات ربما كان مبالغ فيها . ولعل يونس كان يرجو من ذلك وصول تجددات من الخليفة او لعله اراد ان يظهر لعمام الخليفة بظهر المدافع عن المهدية وشيوخها .

ظلت اخبار الحبش بعد ذلك منقطعة لمدة قصيرة وذلك حتى اوائل نوفمبر (منتصف صفر ١٣٠٥) حتى اخذت تصل اخبار تحركاتهم بشكل منتظم . . . ففي يوم ٢٣ نوفمبر (١٦ صفر) وصل رسول من عبد القادر البشير عامل التوهمات لخبير يونس الدكيم بحصول الحبش الى جهة سركنة وانهم متجمعين على ثلاثة فرق : سركنة ، البادوبه ، والما . الاخضر بشرق جبل نقاره على مسافة يوم ونصف من ديم النور ١٣١ . وفي يوم ٨ نوفمبر ( ٢١ صفر) وصلت اخبار من النور فقرا تفيد ان

١٣٠ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مديية ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٤٤

١٣١ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مديية ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٤٠

عجیلاً ومعه جمع كبير من المكادة قد توجهوا الى بحر سقيت وليس معلوم وجهتهم •  
وبعد اسبوع علم ولد فقرا ان الحبش قرروا الهجوم عليه يوم ٢٠ نوفمبر ( ٤ ربيع  
اول ) فاستنجد بيونس الدكيم • وبالرغم من ان يونس كان يعتقد ان هجوم الجيش  
الرئيسي لن يكون على تبارك الله ، انما اظهروا ذلك للخديعة ، الا انه قام  
بارسال نجدة الى ولد فقرا تتكون من خمسة رايات <sup>١٣٢</sup> • وبقي مع يونس  
بالقلايات اثنان وعشرون الف وثمانمائة واربع وتسعين مجاهدا منهم تسعة الاف  
ومائتان وتسعة عشر بأسلحة نارية ، وبقي معه كذلك خمسمائة وواحد وتسعون  
خيالة •

وبينما كان يونس يستعد لمواجهة الحبش نشب صراع داخلي في الحبشة  
بين يوحنا واحد قواده • فقام دجاج تسما بجيشه وانضم على يوحنا وتبعته بقية  
الجيش على الحدود وتفرقت بذلك جموع الحبش التي كانت في مواجهة الانصار <sup>١٣٣</sup> •

---

١٣٢ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٥٢  
١٣٣ يونس الدكيم الى الخليفة ، ١١ ربيع لخر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٨٦

وقيل ان يتجمع الحش للمرة الثانية كان حمدان ابي عنجة قد وصل الى القلايات  
 وبخضوره حدث تحول في القيادة ادى الى نقل يونس من القلايات فغادرها  
 في منتصف يناير ١٨٨٨ ( اواخر ربيع اخر ) الى امدريان <sup>١٣٤</sup> . وبذلك انتهت فترة  
 يونس الدكم في القلايات والحش يقومون باستعداداتهم الحربية من جانب والانتصار  
 بمنعدون من الجانب الاخر . وبقي حمدان ليقود الجهاد على جبهة القضايف -  
 القلايات .

### الفصل الثالث

١  
حمدان ابو عنجة في انصارف - القلايات

١٨٨٧-١٨٨٩ (١٣٠٥-١٣٠٦هـ)

تحدد فترة حمدان ابو عنجة من اهم الفترات في تاريخ العلاقة بين المهدية والحشة . ويمكن معالجة هذه الفترة من جانبين : من جانب القضايا الداخلية والمشاكل التي تعرض لها ابو عنجة في تلك المنطقة مثل الصراع بينه وبين يونس الدكيم ، والقضاء على حركة محمد ادم الذي ادعى النبوة ومجاعة سنة ١٣٠٦ . والجانب الثاني علاقة دولة المهدية بالحشة وحروبها حمدان في تلك المنطقة .

---

١ ولد حمدان ابو عنجة حوالي عام ١٨٣٧ . وقد بنيت هذا التاريخ تقديرا على وفاته عام ١٨٨٩ وكان عمره حوالي ٥٢ عاما .

وينتمي الى قبيلة المناضلة والتي كانت تتبع قبيلة التعايشة في التركية . وقد نشأ حمدان عبدا في بيت الخليفة عبدالله . ولكنه عمل معاملة حسنة من قبل عبدا الله وعائلته واعتبر كره في تلك العائلة . وكان من عادة البقارة ان يحسنوا معاملتهم رقيقهم بل كانوا احيانا يزوجهنهم من بناتهم (Ten Years Captivity, P.221) وتعلم حمدان من التعايشة فنون الفروسية واشترك مع القبيلة في حروبها ضد الزبير باشا حيث وقع في الاسر . وبعد ان اطلق سراحه عاد الى قبيلته ولم يحدث في حياته شيئا يذكر حتى قيام المهدية .

## انتقال حمدان ابو عنجه الى القلايات

في منتصف عام ١٨٨٦ (مطلع عام ١٣٠٤) — قبل هجوم الحبش على

القلايات — استدعى الخليفة حمدان من جبال النوبة وطلب منه ان يكتم خبر مجيئه وان يكون تحركه باقصى ما يمكن من سرعة<sup>١</sup> . فما هي الاسباب التي ادت الى ذلك الاستدعاء المبكر ؟ هل كان الخليفة يريد ان يكون حمدان

== وعند قيام المهدي كان من اوائل من انضموا اليها ، ولمع اسمه عندما اوكل اليه قيادة الجهادية التي كونها المهدي بعد سقوط الابهض . ولعل ذلك التعيين قد كان بايعاز من الخليفة الذي لم يشأ ان تكون قيادة الجهادية في يد شخص لا يثق فيه شخصيا . وقد كان وجود حمدان ابو عنجه في قيادة الجهادية من العوامل التي ادت الى تقوية موقف الخليفة . واشترك ابو عنجه بجهاديته اشتراكا فعالا في انتصار المهدي على حملة هكس<sup>كما</sup> / احتل حامية امدرمان . وقام فيها بعد باسقاط محمد خالد زقل ، كما اسفل مادو على وقتله . وقام بعمليات ناجحة ضد صالح فضل الله شيخ الكهابيش . وفي اثناء تلك العمليات استدعاه الخليفة للتوجه للقلايات .

كان حمدان ضوئل القائمة غليظ الحية قوى البنية خفيف اللحية اشبهها ، اسود اللون مهيب الطلعة ووصف بانه كان حسن الخلق شديد الرأي وكان من اشد قواد المهدي بآسا واكثرهم جرأة . وكان مطيعا للخليفة الى درجة بعيدة . ولعل اهم ميزاته سيطرته التامة على الجهادية . وبلغت عدد الخطابات التي تبادلها مع الخليفة ٨٦٣ خطابا .



بجانبه لتقوية موقفه الداخلي ؟ لاشك ان ذلك لم يكن سببا قويا لان الخليفة نفسه  
 ابريل ١٨٨٦ ( رجب ١٣٠٣ ) كان قد لخص المعارضة التي تجمعت ضده واصبح  
 موقفه قويا نسبيا . وفي غالب الامر كان استدعاء حمدان مرتبطا بالوضع العسكري  
 على الحدود الحشية . ويرى سلاطين ان استدعاء حمدان كان سببه صمت يوحنا  
 وعدم رده على خطاب الخليفة<sup>٣</sup> . ولعله من المستبعد ان يحرك الخليفة ذلك  
 الجيش الكبير من صحارى كردفان لمجرد امتناع يوحنا عن الرد . ويذهب كثير  
 من المؤرخين الى الربط بين مجيى حمدان وهجوم الحبش على القلابات وقتل محمد  
 ارباب<sup>٤</sup> . ولكن استدعاء الخليفة لحمدان كان قبل هذه الحادثة . اذ ان استدعاء  
 كان عملا احتياطيا فويادى الامر ثم ادت الاحداث لارساله بكل جيشه الى  
 القلابات . ولذلك عندما بدأ ابو عنجة يستعد لمغادرة الابيض طلب منه  
 الخليفة الا يتعجل فى الحضور اذ ان الخليفة كان قد اطمأن حينئذ من موقف

---

 Slatin, op.cit, P. 416

٣

٤ قال بهذا الراى كل من شقير والكردفاني وهولت .

الحبيشة ، وتأكد له ان الحبش لن يوصلوا انتصارهم في القلايات بالزحف غربا .  
فكتب الى ابي عنجة قائلا : " حيثما ان الجهات ساكنة وليست بتحركة واعداء الله  
الحبش الذين اسبقوا لكم القول فيهم هربوا ولم يفضل منهم باقى فينبغى ان تكونوا  
في حالة حشوركم ثابتين . . . . ولا تنزعجوا في الحضور لعدم الموجب لذلك " <sup>٥</sup> .

اغذ حمدان ، اذا ، يستعد للتوجه الى امدرمان في فبراير (جماد اول)  
فوصل الى ضواحيها في ٢١ مارس (٢٧ رجب) . وفي اليوم التالي دخل بجيشه  
مدينة امدرمان <sup>٦</sup> . وكان دخوله في غاية الانتظام لان الخليفة كان مهتما بمظهر

٥ الخليفة الى حمدان ابي عنجه ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٤ ، مصرية ، ١٥ / ٤ / ٣٠٣

٦ الخليفة الى حمدان ابي عنجه ، ٢٧ رجب ١٣٠٤ ، مصرية ١٥ / ٤ / ٣٨٠

حمدان ابوضجه الى الخليفة ، ٢٧ رجب ١٣٠٤ ، مصرية ، ٢٠٢ / ٧ / ٥٢

تعرض هولت <sup>151</sup> (Holt, The Mahdist State, P) الى اخطاء المؤرخين

في تحديد التاريخ الذي وصل فيه حمدان الى امدرمان . فسلاطين يحدده بنهاية  
يونيه الذي يعادى عيد الفطر . واهرولدر يحدده بنهاية يوليو ويجعل ذلك الشهر  
يعادى عيد الاضحى . ولعل الذي ادى الى هذا الخلط ان حمدانا وصل البقعة في  
٢٧ رجب وكان الخليفة يحتفل بهذه المناسبة الدينية احتفالا كبيرا ( الرجبية ) ولذلك اعتقد  
سلاطين واهرولدر ان ذلك الاحتفال اما عيد الفطر او الاضحى ان كلا الكائنان كان  
يكتب من الذاكرة .

الجيش وترتيبه قبل وصوله بمدة طويلة • فكتب الى ابي غنجة في ١٨ فبراير  
 ( ٢٤ جماد اول ) ليلتفت الى مظهر الجيش فقال له " وبعد ان تنزلوا البحر  
 مكانة الجيش لازم ان تامرهم بغسل جيوبهم بالصابون ونزع ملابس الجبال الوسخة  
 وتامرهم ان يتنظفوا والعارى منهم تكسيه وتراعيهم حتى تقابلهم على حاله حبيبة  
 ترمب العدو وتسرا الصديق •<sup>٧</sup> • ولعل هذا راجع الى ان القبائل النيلية كانت  
 تحتقر قبائل الغرب لعدم توديب مظهرها ، فرأى الخليفة ان يتفادى هذه  
 الظاهرة ، اوربما ادرك بنفسه هذا الفارق الحضارى فعمل على التقليل منه •  
 وكان الجيش الذى صحبه حمدان من الغرب يتكون من ثمانية وعشرين الفا ومائتين  
 وواحد وخمسين جنديا ، معهم واحد وثلاثون وتسعمائة وخمسة وخمسون من العوائل •  
 وبلغ عدد حملة الاسلحة ~~للطليعة~~ النارية تسعة الاف وثمانمائة وسبعة واربعين ، منهم  
 ثمانية الاف واربعائة وسبعة وثمانون ببنادق راضقون والى وثلاثمائة وستون بابي  
 لفة وايى روحين • وعدد الخيول الف واحد عشر ، والدروع مائة وواحد وثلاثين ،

---

٧ الخليفة الى حمدان ابي غنجة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٤ ، مودية ١٢ / ٢٥ / ٤ / ٣٣

"واللهوس" واحد وسبعون • وكان مع الجيش مئتان وواحد وثمانون من مناديين.

الجيشانة ، خمسة مدافع ، خمسة صواريخ ، وثلاثة وستون نحاسا ، وواحد

وسبعون "بوربا" ستة وعشرون "ترنبيطة" • وزع ابو عنجة جيشه على واحد

وثمانين راية • وبلغ مجموع الجهادية ثمانية آلاف ومائة وست وتسعين<sup>٨</sup> •

وفي امدردمان مكث ابو عنجة حتى منتصف اكتوبر (منتصف محرم ١٣٠٥) •

فما هي الاسباب التي ادت الى ابقاء حمدان بجيشه الكبير في امدردمان -

معطل قرابة نصف عام ؟ لعل اهم سببين هما بداية فصل الامطار وانحصار خطر

الهجوم الحبشي مؤقتا • ولذلك لم يشأ الخليفة ان يرمى بجيش كبير ومعه الآف العوائل

للزحف لثنا • فصل الامطار • وتصادف في ذلك الوقت ان حدث عصيان قبيلة

٨ حمدان ابو عنجه الى الخليفة ، ٢٦ رجب ١٣٠٤ ، مديدة ، ١/٢٨/٨/٢٥

ذكر ملاطين ( ص ٤١٦ ) ان الجيش الذي كان مع لبي عنجة هو اكبر

جيش تجمع في تاريخ المهديدة وان تعدادہ يبلغ خمسة عشر الفا باسلحة نارية وخمسة

واربعون الف باسلحة بيضاء وثمانية الاف من الخيالة • ولكن هذه الارقام مبالغ فيها

لان التعداد الذي اجراه ابو عنجه كان دقيقا اذ قام بحصر الجيش " راية راية مقدم

مقدم نفر نفر بالاسماء " •

رفاعة الهوى بقيادة شيخها صالح ابوروف • فقام الخليفة بإرسال جزء من جيش حمدان بقيادة عبد الله ابراهيم واسماعيل الامين والزككى طعل لقاديب قبيلة رفاعة واخضاعها<sup>٩</sup> • ولعل الخليفة قد ارسل ذلك الجزء من الجيش الى الجزيرة لانه لا يستطيع اعاشة كل الجيش في امدرمان فرأى ان في ارسال جزء منه الى الجزيرة ما يخدم له غرضين هامين •

وعندما شارف فضل الخريف على نهايته رأى الخليفة ان يبحث باي عنجه الى القنات لمواجهة تحركات الجيش العسكرية التي اعتدت تزداد في ذلك الوقت<sup>١٠</sup> • فخادر الجيش امدرمان يوم ٦ اكتوبر (١٨ محرم ١٣٠٥)<sup>١١</sup> سائرا بالنشاط في الشرقى

٩ يقول انكردفانى ان حمدانا ارسل عبد الله ابراهيم والزككى طعل الى الجزيرة • ولكن اسم الزككى طعل لا يرد في منشورات الخليفة في هذه الفترة فكأنه هام بسل يرد اسم اسماعيل الامين • اما الزككى فكان في هذه الفترة تابعاً لربيع عبد الله ابراهيم حتى ان حمدانا وضعه محل عبد الله عند مرضه •

١٠ الطراز المنقونى ، ص ٥٦-٥٥

١١ يذكر هولت (The Mahdist State, P. 252) ان حمدانا غادر امدرمان يوم ٧ اكتوبر (١٩ محرم) • ولكنى حددت التاريخ على اساس خطاب ==

للنيل بينما كان ابو عنجة يتابع مسير الحملة من الوابر . وفي ابي حراز انضم اليه  
 احمد علي ومحمد الطيب ، كما ارسل يستدعي عبد الله ابراهيم واسماعيل الامين  
 والزكي طمل من الجزيرة <sup>١٢</sup> . وفي ابي حراز بدأ في تعبئة الجيش الى الجانب  
 الغربي وارساله على دفعات صوب القلايات لانه جيز كبير فاذا سار في دفعة  
 واحدة فقد تنشأ مشكلة حول موارد المياه <sup>١٣</sup> . وفي يوم ٢٣ أكتوبر ( ٥ صفر ) ،  
 وحمدان مازال بابي حراز ، وصلت اخبار من يونس ان العدو قد  
 تاهب للمجوم على القلايات فقام حمدان فوراً بتجهيز جيش بقيادة عبد الله ابراهيم  
 " مجرد من كل العوائق " ليتوجه راساً الى القلايات ، وجيز اخر بقيادة اسماعيل  
 الامين ليلاحق به بعد يوم ، وبعدهما تقوم الجيخانة توا . وتحرك الفوج الاول يوم

---

== مرسل من ابي عنجة الى الخليفة يخبره بوصوله الى الكاملين يوم ٦ أكتوبر  
 مهديه ، ١٢٩/١ ، ١ / ٨ ، ٨ حرم ١٣٠٥ .  
 وبما ان الكاملين تقع على مقربة من امدران فالارجح ان ابا عنجه غادر امدران  
 في نفس اليوم او ربما قبل يوم على اكثر تقدير .

١٢ الطراز المنقوش ، من ٦٩-٧٠

١٣ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٥ صفر ١٣٠٥ ، مهديه ١٠٧/٧/٣٥/٢

٢٥ أكتوبر (٢ صفر) بقيادة الزاكي طعل الذي حل محل عبد الله ابراهيم لعرضه .  
 و يوم ٢ نوفمبر (١٥ صفر) تحرك اسماعيل الامين من بعده . وسار الزاكي واسماعيل  
 الامين بطريق القلعة - رانج ، ولتبعهما بالنور عنقرة على ان يملك طريق " البحر "  
 حتى لاتحدث مشكلة في الماء ، على ان يلتقيا في راشد . وفي هذا الانتاء ارسل  
 يومئذ رسالة اخرى يستعجل قدوم الحملة نظرا لقرب هجوم الحبش . كما وصلت  
 رسالة اخرى من عبد القادر البشير عامل التوابع تفيد بقدوم عجيل<sup>علي</sup> / رأس قوة كبيرة<sup>١٤</sup> .  
 فقام حمدان بمداخلة استعداداته فارسل الجيخانة امامه يوم ٥ نوفمبر ( ١٨ صفر ) ،  
 وتحرك هو من بعدها بعد ان مكث شهرا في ابي حراز . وكان سبب ذلك التأخير  
 كثرة عدد الجيخ وبطى حركته في عبور النيل . وسلك حمدان طريق " البحر "  
 متجها الى القضايف . وفي يوم ٩ فبراير ( ٢٢ صفر ) وصل مشرع ليوقفة وهناك لحق به  
 عبد الله ابراهيم مع الجيخانة . ويبدو ان رسائل يونس المستمرة قد اثارت حمدان  
 وجعلته يجد في مسيره . وقد وضع استنجاله من خطاب بعث به الى الخليفة

١٤ : النور عنقرة الى حمدان ابي عجه ، ١٢ صفر ١٣٠٥ ، مذبذبة ٤٦/٦/٤١/٢

من مشرع لويقة يقول فيه " . . . ولذلك سيدي بسند ان قصدنا سابقا تدريس الذين هم معنا الى ان يتم الوصول بالمركز نقضنا كافة المجاهدين اهل السلاح وخصمنا للجبهة الجمال القوية جدا وقمنا ظهيرة يومنا هذا جادين السير على بركة الله . . . ونشرنا لكافة الاخوان قدامنا على ان يتصلوا من كافة العوايل والمشقات وينشطوا للخاية . . . " <sup>١٥</sup> وفي يوم ٢ نوفمبر ( ٢٠ صفر ) وصل الجزء الاول من الجيش بقيادة الزاكي والنور غقرة الى سرف سعيد وانتظروا بها وصول بقية الجيش لودخلوا معا الى القلايات <sup>١٦</sup> . وفي يوم ١٣ نوفمبر ( ٢٦ صفر ) وصل ابو غنجة الى جيسل بيلة . وفي يوم ١٨ نوفمبر ( ٤ ربيع اول ) دخل حمدان القصارف . وفي يوم ٢٠ نوفمبر ( ٤ ربيع اول ) وصل الى سرف سعيد بعد رحلة شاقة اسرع فيها حمدان المسير وذلك لان يونس الدكهم كان قد اخبره بان الحش ينهون الهجوم يوم ٢٠ نوفمبر ( ٤ ربيع اول ) وهو يوافق نفس اليوم الذي هجموا فيه على القلايات في العام الماضي

١٥ حمدان ابو غنجه الى الخليفة ، ٢٢ صفر ١٣٠٥ ، مديدة ٢١ / ٢٩ / ٢١

١٦ يونس الدكهم الى الخليفة ، ٢٦ صفر ١٣٠٥ ، مديدة ٢٤١ / ٤ / ٢٢ / ١



وقتلوا محمد ارباب • ولعل يونس الدكيم قد ضمن هذا التاريخ وليس نتيجته  
معلومات مؤكدة • ثم اخذ ابو عنجة في ترحيل الجيخانة حيث تم وضعها في  
خور أطرب طي بعد ساعة ونصف من القلايات • وفي ٢٥ نوفمبر (٩ ربيع اول) تم  
اكتمال جميع رايات الجيش ماعدا احمد على الذي وصل براياته البالغ تعدادها  
تسعة الاف جندي بعد شهر من وصول حمدان ( ٣ يناير ٨٨ - ١٨ ربيع ثانى  
١٣٠٥ ) • وراى ابو عنجة ان يكون دخول الجيش الى القلايات على دفعات " بحيث  
ان في كل يوم او يومين تاتى سرية لما في ذلك من الرهبة والرعب للكافرين ولكونه  
اخرج في قلوبهم واشد عليهم من دخول الجيش بأكمله " • وفي يوم ٢٨ نوفمبر  
( ١١ ربيع اول ) بدأ حمدان في ارسال الجيش الى القلايات وفي ٢ ديسمبر ( ١٦ ربيع  
اول ) دخل ابو عنجة مع ماتبقى من الجيش ، فكانت جملة راياته تسعة وسبعين  
راية <sup>١٧</sup> • وكان ابو عنجة قد امر ببناء حائط مربع محل نزول الجيش ان " كانت  
القلايات من قبله بدون ترتيب ولا تمييز لاحوال النازلين " • فرتب كل قبيلة

---

١٧ حمدان ابو عنجه الى الخيفة ، ١٨ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدي ٢٤١ / ٤ / ٢٢ / ١

مكان منفصل ، وكذلك فصل الرايات عن بعضها ، كما امر ببناء اماكن من الطوب لحفظ الجبخانه<sup>١٨</sup> . وهكذا تم وصول حمدان بجيشه الى القلايات بعد رحلة دامت مايقرب من شهرين .

### الصراع بين حمدان ابي غنجة ويونس الدكيم :

يرجع هذا الصراع الى بداية تعيين حمدان على راس الجيش المتوجه للقلايات . ولعل الخليفة قد ادرك ان مثل ذلك التعيين قد يشير يونس الدكيم . ولذلك كتب الى يونس الدكيم ، قبل تعيين حمدان على القلايات ، يطلب منه ان يرسل الى حمدان اخبار الجبهة . ولعل الخليفة قصد بذلك ان يمهّد لتعيين حمدان على القلايات . وعندما قرر ارسال حمدان كتب خطابا مطولا الى يونس شرح له فيه العوامل والظروف التي ادت الى ارسال حمدان الى القلايات . فذكر ليونس ان منطقتيه بها لعدد كبير من الاعداء من حبش وغيرهم ، ونظرا لاهتمام الخليفة بتلك المنطقة ولاجل نصرته الدين فقد رأى ان يبعث بابي غنجة على راس جيش كبير

للمحافظة عليها . ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن لبي عنجة وعن مكانته وأنه من  
 " الأقارب الاحباب الباذلين انفسهم معنا في السراء والضراء ومن خاصة الرجال  
 الذين يجب العناية لهم وحرمتهم على جميع المؤمنين " فضلا عن ان يونس بالنسبة  
 للخليفة هو " النفس والحالة الواحدة " . ثم ذكر له ان حمدانا موضع رضائه ورضاء  
 يعقوب . وحدثه كيف كانت علاقة حمدان بعثمان ادم عندما كان في كردفان ،  
 وكيف ان عثمان ادم كان يحترم حمدانا ويحبه ويتأدب معه ويحسن معاملته ومعاملة  
 كافة من معه من الانتصار ، وان عثمان ادم كان يفعل ذلك عملا بوصية الخليفة وانــه  
 بذلك قد شرح صدر الخليفة اذ ان تصرفه مع حمدان كان " كأمنا وزيادة حتى  
 نال الرضا " . وبعد هذه المقدمة طلب الخليفة من يونس ان يفيدته ان كان يرغب  
 في قدوم حمدان اليه ، وهل هو على استعداد لاحترامه وكرامه وتقديره مثل ما فعل  
 عثمان ادم ؟ فان كان على استعداد فعليه ان يكتب الى الخليفة حتى " ينشرح  
 صدرى وينوجه لك الحبيب المذكور واذا كان لا مقدرة لك على اكرام الحبيب . . . .  
 فنفيدنا لنحرر اليه بعدم الوصول اليك " <sup>١٩</sup> لاشك ان هذا الخطاب قد وضع يونس

الدكيم فى موضع دقيق ، فهو لا يستطيع رفض حمدان قائدا عليه بعد كل ما ذكره  
 الخليفة ، وفى نفس الوقت سيجد صعوبة كبيرة فى قبوله . ولكن خطاب الخليفة  
 كان بارعا فلم يجد يونس مخرجا الا ان يكتب الى الخليفة موافقا على قبول حمدان ،  
 وكان رده مقتضا لل غاية <sup>٢٠</sup> . فى نفس الوقت بعث الخليفة الى حمدان نسخة  
 من خطابه الذى بعثه الى يونس .

ورأى الخليفة ان ينفصل مكان اقامة جيش حمدان عن جيش يونس ، حتى  
 يتفادى اى احتكاك قد ينشب بين القائدين . فكتب الى ابي حنيفة فى شيبى  
 من التلمح قائلا " وعند رسولكم لجهة الغلابات ومداولتكم انت والحيب يونس فى  
 محل الغزول فالمحل الذى تروا منه اللبقة لغزول الجيش اذا كان خارج مركز  
 ناس يونس او خلاف ذلك تجربوه " <sup>٢١</sup> . كما طلب من حمدان بان لا يدع مجالا  
 للشكاية بينه وبين يونس ، وذكره بان هو الاخ الاكبر " المأمول فيه جمع الشمل "

٢٠ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٧ محرم ١٣٠٥ ، مهدية ١٩٩/٤/٢٢/١

٢١ الخليفة الى حمدان ابي حنيفة ، ٣ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ٥٦/٥.٥.

ولعل هذه اشارة الى ان حمدانا هو القائد الاول • حقا لقد كان الخليفة نسي  
بدلية الامر في حرج من امر هذين القائدين ، احدهما قريبه ويشق فيه كثيرا ، والثاني  
قائد مقتدر له مكانة وله نفوذ وموضع ثقة الخليفة ايضا ، فأيهما يؤيد في مركز القيادة ؟  
لعل الخليفة كان اميل الى ابي عنجة ولكنه لم يشأ ان يحرج قريبه بل وابن عمه •  
وكان الوضع الاصل بالنسبة للخليفة ان يظل يونس الدكيم بجانب حمدان • ولكنه شعر  
بعدم رغبة يونس في ان يكون في المرتبة الثانية • فبدلا من عزله اثر ان يبقيه نسي  
انقلابات مع الاحتياط لقادى اى احتكاك بينهما وبين حمدان • ولذلك لجأ الى فصل  
جيشه عن جيش حمدان ، ولم تكن فكرة الفصل هذه من عند يونس كما قال بذلك  
نعم شقير<sup>٢٢</sup> • ولعل الخليفة قد اقترح انفصال القائدين في عدة امور اخرى وهذا  
ما اشار اليه حمدان بقوله " وطمنا من منطوق الاوامر الكريمة اننا على جماعتنا  
واحبيب يونس على جماعته وتكن الموافقة بين الفريقين في نصرة الدين<sup>٢٣</sup> " ولكن

٢٢ نعم شقير ، ر. ١٠٦٤

٢٣ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع اول ١٣٠٥ هـ ، مهدية ١ / ٢٦ / ١ / ٤٣

ال خليفة رأى ان يشير الى اولوية حمدان بالقيادة دون ان يلجأ الى اصدار اوامر  
 مشددة فكتب الى يونس طالبا منه اتباع " اشارة ... حمدان وامثال امره  
 ولا يخالفه .... فى شئ ما ولا تكون له مشاركة فى ذلك ... ولأنه لم  
 خبرة وتجربة فى الحروب " <sup>٢٤</sup> . لقد اتخذ الخليفة كل هذه الاجراءات والاحتياطات  
 قبل وصول حمدان الى الانقلابات . وهذا دليل على ان الخليفة كان يشعر بمسألة  
 سيكون عليه مصلك يونس مع ابى عجة .

وعندما وصل حمدان الى الانقلابات وجد ان موضوع بيت المال لم يحسم بعد ،  
 وهل هو تابع لهونى ام تحت امرته سر . ويبدو ان يونس الدكيم قد اثار صراعا  
 فى هذا الامر . ان ما ان وصل حمدان الى الانقلابات حتى طلب من الخليفة  
 ان يعزل محمد حمزة العمرانى امين بيت مال الانقلابات والذي كان قد عينه يونس ،  
 واقترح استبداله بمحمد ابى القاسم صالح . كما طلب من الخليفة ان يحدد الوضع  
 بالنسبة لبيت المال فكتب اليه قائلا بان " بيت المال ماوفقنا فيه من جناب

السيادة على اشارة بتصریح ولا تلویح . . . نرجو الارشاد <sup>٢٥</sup> .

واقترح حمدان عند وصوله الى القلايات ان ينتقل بجيشه الى التومات ليهتد  
 عن يونس . فكتب الى الخليفة يطلب الاذن بذلك ، وذكر له ان سبب انتقاله الى  
 التومات لانها معتدلة الارض وهما "ها صحرى وفيها " نوعا من التنفيس على الجيش  
 بد : عن تراكمه محلا واحدا " . كما ذكر للخليفة ان جهة القلايات تصبح فى زمسن  
 الخريف غير صالحة للحیوانات ويصعب فيها الحركة وتنقطع المواصلات مما يجعل الحصول  
 على قوت الجيش امرا فيه مشقة وهذا يجعل ضبط الخنود وحفظهم صعبا مالم  
 " يروا النكالية فى المعانى " . وذكر له ايضا ان الجيش منذ وصوله الى القلايات قد  
 اصيب " بعرض الدم " ، وان هذا العرض يشتد فى زمن الخريف ، وقد مات عدد كبير  
 منه وربما ازداد العدد بعد ذلك . و اشار حمدان كذلك الى ان الخريف فسى  
 القلايات يجعل حركة الجيش تتوقف تماما ولا يمكن تحريكه ضد الجيش او الى  
 جهة اخرى <sup>٢٦</sup> . وعلى الرغم من ان ابا غنجة قد قدم حجبا قوية لاقناع الخليفة لیسمح

٢٥ حمدان ابو غنجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع اول ١٢٠٥ ، مهديّة ١ / ٢٩ / ١ / ٤٣

٢٦ حمدان ابو غنجة الى الخليفة ، ٦ جمادى الاخر ١٣٠٥ ، مهديّة ١ / ٢٩ / ١ / ٩٥

له بالانتقال للقومات الا ان الخليفة لم يقبل طلبه ورأى انه من الاصلح " جعل  
الديم بالقلابات محلا واحدا بحيث يكون قريبا ملتصقا " فذلك " اولى من الفسوق  
بينهما لما فيه من وجوه المضار الشتى " . واما طرح على ابي غنجة بدلا من الانتقال  
الى القومات ان يفصل " بديمه " عن يونس الدكيم <sup>٢٧</sup> . من الواضح ان الخليفة  
لم يشأ ان يفصل جيوشه ويفرقها في عدة جهات مما قد يضعفها عسكريا . ولكن  
يبدو انه فيما بعد ، وبعد عزل يونس من القلابات ، قد تبين وجهة الحجج الستى  
اوردها حمدان فكتب اليه مقترحا ان ينتقل من القلابات الى عمار اودوكة . ولكن  
حمدانا فضل حينئذ ان يبقى بالقلابات فقد حسم في ذلك الوقت الخلاف بينه وبين  
يونس <sup>٢٨</sup> . وعلى الرغم من ان فكرة الانتقال من القلابات التي اقترحها حمدان قد  
غلغها صراعه مع يونس حول السلطة ، الا ان الحجج التي اوردتها عن القلابات وعن عدم  
صلاحيتها تكشف لنا عن حقيقة هامة وهي ان تلك المنطقة لم تكن طالحة لاستقرار  
الانصار بشكل مستديم . ولذلك فقد كان وجود الانصار بها وجودا سطحيا مرتبطا

٢٧ حمدان ابو غنجه الى الخليفة ، ٩ جمادى الاخر ١٢٠٥ ، مصرية ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٠٤

٢٨ حمدان ابو غنجه الى الخليفة ، ٢٧ جمادى الاخر ١٣٠٥ ، مصرية ، ١ / ٢٩ / ١ / ١١١



بالذبح العسكري الذي نشأ في ذلك الوقت • ولعل جحافل الانصار كانت تشعر  
بغريبتها من تلك المنطقة •

بعد انقضاء شهر على حمدان في القلايات قام يونس فجأة بالتسليم الكامل له  
وتنازل عن " الرايات والجهادية وبعت المال والاسلحة وجميع الآلات الحربية وغيرها " <sup>٢٩</sup>  
ولكن الخليفة لم يوافق على تلك الخطوة فلمر حمدانا بان يرد الى يونس " جميع  
اشغاله المتنازل عنها ويكن على ما هو عليه " • فما الذي جد في موقف يونس حتى  
اتخذ تلك الخطوة ؟ هل احس بضعف موقعه امام حمدان ، لم اراد ان يكسب  
رضا الخليفة فظهر الطاعة وعدم الاكتراث بالسلطة ؟ يبدو فعلا ان يونس كان يرمي  
الى شيء من هذا القبيل ان تلك المناورة التي قام بها عادت عليه باغائده  
ان غلب الخليفة اعاده سلطانه اليه • ولم يكن تنازله رغبة منه وايثارا لحمدان  
بالقيادة •

واستمر يونس يبيع العراقيين امام حمدان مما صعب عليه القيام بواجباته •

---

٢٩ يونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٢ ربيع لخر ١٣٠٥ ، مصرية ١ / ٢٢ / ٤ / ٢٠٥

فقد كتب حمدان الى الخليفة في ابريل ( رجب ) بانه منذ وصوله الى القلايات  
 لم يجد " راحة في الدين " فاضطر الى السكوت خشية " موجبات انقراض " <sup>٣٠</sup>  
 ولانه وجد " اعراضا من الكل " فاختصر على حدود مالدیه من الاوامر والوقوف على  
 " ادبنا وصرنا لا حل لدينا ولا ربط . . . ولم يكن وقتها حالنا الا كحال الآخرين " .

يبدو ان الخليفة قد اقتنع بعد تلك التطورات بعدم جدوى سياسته الخاصة  
 بابقاء يونس مع ابي غنجة فقام باستدعائه الى البقعة في يناير ( جماد اول ) .  
 مكث يونس الدكهم ملازما للخليفة " صباح مساء " مدى اربعة اشهر ثم اعاده  
 للقلايات في ابريل ( رجب ) بعد ان نال " حسن التربية وحوزة الفضائل " ، وبعد  
 ان اكد الخليفة لحمدان " باولوية جميع الجيش . . . وكذلك الدار وما فيها . . .  
 مع اعلام الجميع بامثال الامر منا " <sup>٣١</sup> . ولكن يونس الدكهم لم يبق بالقلايات

مؤدية

٢٠ حمدان ابو غنجه الى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ هـ / ١ / ٢٦ / ١٣٠٠

مؤدية

١ : حمدان ابو غنجه الى الخليفة ، ٢٢ رجب ١٣٠٥ هـ / ١ / ٢٦ / ١٣٢٢

سوى اسبوع عاد بعده الى امدرمان ، وعين عربى دفع الله قائدا على اولاد  
العرب والجهادية الذين كانوا تابعين ليونس . وهكذا انتهى الصراع بين يونس  
وحمدان لصالح حمدان . ولعل هذه من المرات القلائل التي يتعرف فيها  
الخليفة قائدا من قواده على احد اقربائه ، ولكن حمدان ابى غنجة لم يكن  
قائدا عاديا بل كان بالنسبة للخليفة من اهم قواده بل ويعتبر فى مرتبة اسرته .

### القضاء على محمد البرقاوى الذى ادعى النبوة

وكانت المشكلة الثانية التي واجهت حمدان عند قدومه للقلابات هي مشكلة  
ادم محمد البرقاوى<sup>٣٢</sup> الذى ادعى انه نبي الله عيسى وكان ادم هذا تابعا

٣٢ يقال ان ادم محمد هذا ولد ببرقو . وكان عمره ٢٥ عاما عند قيامه بتلك  
الدعوة فيكون ميلاده حوالى عام ١٨٦٣ . وهو ، حسب وصف ابو غنجة ،  
شاب لالحية لم اخضر اللون يميل الى صفرة ، مفرق الاسنان السفلى ، مفتس  
الوجه مربع القامة واسع الجبهة عظيم الرأى اعجبى اللسان .

٣٣ انتشرت فى السودان فى ذلك الوقت الدعوة الى نبي الله عيسى والخضر والمهدى  
المنتظر . ويقول حمدان فى رسالة للخليفة ان فكرة نبي الله عيسى كانت رائجة

لرأية الحاج عبد الله البرقاوى • ويبدو ان ادم قد بدأ دعوته بالاتصال بمعيد  
 الله البرقاوى الذى آمن بهذا • فقام عبد الله ورتب لقاء فى منزله بين ادم وبعض  
 امراء الرايات ، وكان ذلك اللقاء حول مائدة طعام • وقد لبي تلك الدعوة عدد من  
 امراء الرايات وهم : محمد عمر المشهور بابى القرشى والذى اصبح فيما بعد السيد  
 اليمنى لآدم ، ومهاجر اسماعيل ، وعيسى احمد ، والطبيب محمد بن البديرى ، ومحمد  
 احمد ابو ام فضالى الحميرى ، والطايف احمد وهنون النفل الهبانى ، ومحمد  
 حسين بقادى ، ومحمد علي البرناوى ، وعبد الله جاموس • وقام اولئك الامراء  
 بمبايعة ادم البرقاوى فى ذلك الاجتماع واقسموا على النصح وتعاهدوا على ان  
 يكونوا عوناً لبعضهم البعض وان يكتفوا امرهم فيما بينهم <sup>٣٤</sup> • كما قرروا ان يعمروا

وبما ان دعوة المهدي نفسه كان تعتمد على امر الباطن فقد فتحت المجال  
 لكل من يريد ان يدعى المهدي • وقد حدث فعلاً ان قام شخص يدعى الفكى  
 ولد محمد فى التومات وادعى انه المهدي وكان ذلك فى نوفمبر ١٨٨٨ ولكنه اعتقل  
 وارسل الى ابى عجة فى القلايات • وعند استجوابه تنازل عن دعواه وسجن •  
 راجع : فرج الله رجب الى احمد على ، ١٤ ربيع اول ١٣٠٦ ، مهدي ١/٢ /  
 • ٢٨/٢

٣٤ مؤنس الدكيم الى الخليفة ، ٢٨ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدي ١/٢٢ / ٢٨٣/٤

دعوتهم على يونس في الوقت المناسب فإذا رفضها قاموا بقتله <sup>٣٥</sup> . ولكن امرهم  
 كشف قبل ان يتمكنوا في تنفيذ مؤامرتهم . فقد قام رجل يدعى محمد البعلال  
 بابتزاز الخبير الى يونس الدكيم اذ ان حمدان لم يصل بعد . فقام يونس بجمعهم  
 في المسجد ووجههم بالتهمة ولكنهم انكروها جميعهم . فعفى عنهم يونس واعتبر  
 ما حدث مجرد هفوة . وقد لجأ يونس الى اتخاذ تلك الخطوة السلمية تجاه الحركة  
 لانه كان " في قلة لعدم وصول حضرة المكرم حمدان " . يبدو من رسالة يونس  
 هذه ان تلك الحركة كانت على جانب كبير من الانتشار حتى انه لم يجراً على  
 مجابهة زعمائها وأثران ينتظر وصول حمدان .

وبعد وصول حمدان الى القلايات بتومين طم بالخبير ، فكان في الحال مجلسا  
 من نواب الشرع وهم ادم ضو البيت وحامد بلولة وادم على <sup>٣٦</sup> . وضاف اليهم عددا

---

٣٥ نعوم شقير ، ١٠٦٤

٣٦ في ٢٣ يناير ١٨٨٨ أصبح حامد بلولة رئيسا لنواب الشرع في القلايات .

من النقباء والعمال لعذارته هو ويونس الاستماع الى اقوال ادم وجماعته • وعندما واجهوا ادم بالتهمة لم ينكرها بل قال للمجلس " ان ماقد بلغكم حقيقة وانى اذا لنبي الله عيسى وان الحق عزوجل اخبرنى بانى نبي الله عيسى. وكذلك الرسول " • ووافقه بقية جماعته على دعواه بل كانوا " مبالغين فى تعديتهم واثباتهم بما جاء به " فقام حمدان بارساله الى المسجن هو وجماعته • وبعد ايام اعاد استجوابهم فلم يترجحوا عن رايهم • وكان امراء الرايات لا يتكلمون امام المجلس الا باذن من ادم<sup>٣٧</sup> • واستمر ادم ليقول بان دعواه من امر الباطن ولهمست من الظاهر مثلها مثل دعوة المهدي والانبيا والمرسلين<sup>٣٨</sup> • فاعادهم حمدان للمسجن بعد ان اثقل ارجلهم بالحديد ، وابلغ الامر للخليفة وطلب مشورته فى الامر • فارسل الخليفة رده فى ٢٢ ديسمبر ٨٧

٣٧ حمدان ابو عنجة ويونس الدكيم الى الخليفة ، ٢٩ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهديه ٢ / ٤٣ / ٢ .

٣٨ كانت دعوة المهدي ترتكز على امر الباطن وكانت هذه هى حجة المهدي الاساسية

التي اعتمد عليها فى رده على العلماء الذين اعتبرهم اهل ظاهر ولا علم لهم بامر المهدي • وقد تعرض الاستاذ عبد الله على ابراهيم لهذه القضية فى شيو • من تفصيل : عهد الله على ابراهيم ، الصراع بين المهدي والعلماء ،

مطبوعات وحدة ابحاث السودان ، الخرطوم ( ١٩٦٨ )

(٢ ربيع لخر ١٣٠٥) وحمله اربعة من الامراء . وطلب الخليفة من حمدان قتل  
 آدم مدعى النبوة وخيره بين قتل الامراء الذين تابعوه او العفو عنهم <sup>٣٩</sup> . كما ارسل  
 عددا من المنشورات الى الجهادية وانصار الدين يكذب لهم فيها دعوة آدم ويطلب  
 منهم التمسك بدينهم . كما خاطب امراء الرايات الذين تبعوا آدم مذكرا لايام  
 بوفائهم للمهدية وجهودهم لنصرتها ، ونصحهم بان يعلنوا توبتهم امام حمدان  
 ويؤمنوا <sup>٤٠</sup> .

اما حمدان فقد كون مجلسا لمحاكمة آدم وجماعته ، و اضاف اليه الندواب  
 الاربعة الذين ارسلهم الخليفة من امد رمان . استقر راي المجلس على قتل آدم  
 وجماعته . كما تقرر تعيين امراء جدد للرايات التي تبع امراءها دعوة آدم ،  
 وان يكون توب الامراء الجدد لراياتهم في مكة يوم ٣٠ ديسمبر (١٤ ربيع لخر)  
 وان يتم قتل الامراء المتأمرين صباح يوم ٣١ ديسمبر (١٥ ربيع لخر) ، وذلك حتى

٣٩ تعوم شقيقه ، ص ١٠٦٥-١٠٦٦

٤٠ الخليفة الى محمد احمد ابو لم فداي ولخزين ، ٩ ربيع لخر ١٣٠٥ ، مصرية ،

لا تظل الرايات دون امراء مما قد يؤدى الى حدوث " خلل فيها " • وهو صواب  
اليوم المحدد ثم شفق آدم محمد وكل امراء الرايات الى سوق القلايات " واحدا واحدا  
امام الجيش " • ثم اخذ الامراء الجدد الى اخذ البيعة على يد يونس الدكسم<sup>٤١</sup> •  
ويذكر شقير ان الخليفة قد بحث بخطاب لشر الى حمدان يؤكده فيه قتل آدم ويطلب  
من ابي عنجة ان يعفو عن اتباعه امراء الرايات ، ولكن خطاب الخليفة وراق القلايات  
بعد ان نفذ حمدان حكم الاعداء<sup>٤٢</sup> • ويبدو ان الخليفة قد تأثر لقتل الامراء  
فجده يقول فى " حيرة نبوية " جاء ثم بعد قتل آدم واتباعه انه عندما سمع  
بقتل امراء الرايات الذين تابعوا آدم محمد داخلته " شفقة شديدة (عليهم) •  
نشر لسابق اجتماعهم وصحبتهم وسالت الله المغفرة لهم والصفح عنهم وابتهلت الى  
الله كثيرا حتى استغفرت لهم سبعين مرة " • ثم يقول انه بالرغم مما احسه من  
شفقة نحو اولئك الامراء الا انه رأى حائقا سماويا يدعو لكشف امرهم فراههم  
تعذبون فى نار جهنم • وانهم عندما طلبوا التوبة من الرسول ومن المهدي

١ : حمدان ابو عنجة ويونس الدكسم الى الخليفة ، ١١ ربيع لشر ١٣٠٥ ، مودية ١ / ٢٩ / ١ / ٥٧ / ١

٢ : نعم شقير ، ص ١٠٦٧



اللاهيا الى الخليفة الذى اكتشف انهم لم يتوبوا تماما بل ماتوا على كفرانهم  
 لن يغفر لهم ابدا<sup>٤٣</sup> . لقد كانت تلك " الحضرة النبوية " ضرورة لازالة القناصين  
 الذى نشأ بين خطاب الخليفة الاول الذى يأمر بقتل آدم واتباعه والذى نفذ  
 حمدان ، وخطابه الثانى الذى يطلب من حمدان ان يعفو عنهم ، ان انتهت  
 الحضرة ان الامراء قد ماتوا على كفرهم . وبهذا تكون مشكلة آدم محمد قد انتهت  
 بسلام بعد ان كانت ان تحدث فتنة وسط الجيش المرابط فى القلايات .

### مشاكل حمدان ابنةجة الداخلية

لعل اهم هذه المشاكل هى : مشكلة الحدود وتخيير عمال العمالات  
 المختلفة ، ومشكلة الغنائم ، وتنظيم الجيش ، ومشاكل القبائل المختلفة ، واخيرا  
 مواجهة مجاعة سنة ١٢٠٦ .

رأى الخليفة ضرورة توسيع عمالة القلايات فى عهد حمدان ووضع حدود

---

٣ : الخليفة (حضرة نبوية) ، ٢٢ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدية ١٠ / ٤ / ٤٣ / ٢

معلومة لها حتى لا تختلط مع امدريان ويصبح جمع الزكاة امرا صعبا • وما جعل  
 الخليفة يعمل على توسيع عمالة القلايات كثرة الجيوش المقيمة بها مما يزيد حاجتها  
 من الزكاة • وطيه فقد أصبحت حدود القلايات الجديدة تمتد من جهة "الساقل" حتى  
 الضبانية ومن الشكرية حتى نهر عطبرة ، ومن جهة الغرب "وساقل" القضايف وما يليها  
 الى العتمور ، ومن جهة الصعيد غرب عمالة الحمدة • ثم اضيفت لها الحمدة لحد  
 عمالة ولد عامر والقلعة <sup>٤٤</sup> • واطف اليها فيما بعد بهلة والقلعة رانج لتحصيل  
 الخلال منهما فقط للمساعدة في غذاء الجيش • ثم اضيف اليها كذلك عمالة القونج  
 من حدود "الطرفاء" حتى الدببية <sup>٤٥</sup> • حقا لقد اتسعت عمالة القلايات ففى  
 عهد حمدان اتساعا كبيرا ولكن حمدان لم يتفرغ لادارتها انه شغل بحروب  
 الحبشة ايما شغل •

وحدث في عهد حمدان بعض التغيرات بين العمال • فقد عزل عبد

---

٤٤ الخليفة الى حمدان ابى غنجة ، ٢ رمضان ١٣٠٥ ، ممدية ص ١٥ ، ص ٥٠  
 ٥ محمد المن ناصر يادى الى حمدان ابى غنجة ، ٢٢ القعدة ١٣٠٥ ، ممدية ،

الباقى خليفة عامل القدارف لكثرة تشكى الاهالى منه وايدائه لهم ، وعين بدلا عنه  
 عبد الصادق عمر . وعزل كذلك عبد القادر البشير عامل التجمات لعدم استقامته  
 فقد علم حمدان انه ارسل لاهله مقدار ثمانية الف ريال وعددا من الرقيق . كما  
 ان حامد طي عامل كسلا قد اشتكى كذلك من عبد القادر . فعزله حمدان وولى  
 بدلا عنه فرن الله رجب . كما عين عبد الرحمن محمد شرو في محل محمد ارمباب  
 بنكر . وعين لنور عنترة عاملا على سرف سعيد وذلك لقاديب اهل الجهة  
 " وتطهيرهم من حقوق الله " .<sup>٤٧</sup> وعين عبد الله حامد عاملا على الحمدة ، وادم  
 الجليل على بسيلة . فيوضح من هذه التحولات ان حال المهديّة كانوا اما مشددين  
 على الاهالى مبالغين في ايدائهم متعنتين في اخذ حقوق الله منهم تمسكهم  
 السلطة الدينية التي كانت بعد ترفع لواءها الدولة المهدية ، ويساعدتهم بعدد من

٤٦ : عبد الرحمن محمد شرو الى الخليفة ، ١٣٠٦ ( تاريخ ناقص ) ، مهديّة ٨٧/٢٠٢

٤٧ : لنور عنترة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٦ / ٤ / ٤

مراكز السلطة والمراقبة ، ولما كانوا يكرسون اغلب اوقاتهم في اشراف انفسهم وارسال الاموال الى ذويهم لحفظها حتى اذا دالت دولتهم عادو الى بلادهم وعاشوا من الثروات التي جمعوها ايام كانوا في السلطة ولاشك ان مثل هذه الاوضاع كانت من عوامل عدم الاستقرار وزادت على اعباء الدولة اعباء اخرى .

وكان بيت المال دائما سببا لصراعات كثيرة شهدتها دولة المهدية . فعند الايام الاولى لابي عنجة في القلايات كتب له الخليفة رسالة حدد فيها سياسته فيما يخص بيت المال . وكان الخليفة يرى ان يكون محمد حمزة امينا عاما لبيت المال في القلايات نظرا لمعرفته بالجهة ، وان تكون الغنائم التي تجمع من الحروب تحت مسؤولية شخص اخر يعينه حمدان بمعرفته . وقد اوكل حمدان تلك المهمة الى محمد احمد رحمة ومحمد ابي القاسم <sup>٤٨</sup> . ويبدو ان ابا عنجة كان يريد التخلص من محمد حمزة الذي كان قد عينه يونس الدكهم . فكان تقسيم بيت المال الى

---

٤٨ حمدان ابي عنجة الى الخليفة ، ٢٠ جلد اول ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ٧٩

شقين بغرب. ارناء الخرفين • ولكن بعد استدعاء يونس الدكيم الى امدردمان اجرى  
 الخليفة تعديلا في ادارة بيت المال مما يرضى حمدان ، فجعل محمد حمزة  
 ومحمد ابو القاسم امناء لبيت المال الموحد ، وعين محمد احمد رحمه ملاحظا عاما  
 عليهما <sup>٤٩</sup> • ولكن لم يرض على محمد احمد رحمه سوى بضعة اشهر فمضى  
 متعبه حتى امر الخليفة بمحاسبته وجرد بيت المال ، واوكل الى عبد الحليم احمد  
 مهمة الجرد <sup>٥٠</sup> • فرد حمدان بان عبد الحليم يرى ان محمد احمد رحمه اذا  
 ما حوسب وجرد بيت المال فلن يوجد لديه شيء لان بالقلابات عدد من العملاء

٤٩ حمدان ابى عنبه ابى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١/٢٩/١٣١  
 ٥٠ كان طلب الخليفة لجرد بيت المال نتيجة لحدوث بعض "الخبائات والامور  
 المغايرة" فـ بيت المال في امدردمان ، ما ادى الى جرده • وتم ذلك في سبتمبر/  
 اكتوبر ١٨٨٨ (مطلع عام ١٣٠٦) • ويبدو ان ما حدث في بيت مال العموم كان  
 مظهرا للصراع بين ابراهيم محمد عدلان امين بيت المال ويعقوب • وتطور ذلك  
 الصراع واصبح بين ولد عدلان والخليفة مما ادى في النهاية الى اعدام ولد عدلان في  
 يناير ١٨٩٠ (جماد الاول ١٣٠٧)

Holt, The Mahdist State, PP. 174-5

حمدان ابو عنبه ابى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣٠٦ ، مهديّة ، ١/٢٩/١٣٣

المتقين بامور انمال ، وانه كلما ورد شئ من المال من اولئك العملاء فان حمدان يتسلح عليه شخصيا . ولكن حمدان وعد الخليفة باجراء الجرد<sup>٥١</sup> . على ان عهد حمدان لم يشهد مشاكل مانهة كثيرة لان الانتصار شغلوا بالحروب مع الحبشة . ولكن الغنائم التي جمعت من تلك الحروب ومن الحروب اللاحقة ادت الى مشاكل مانهة لعلها كانت اكثر وضوحا في العهود اللاحقة .

اما الجسر الذي كان مرابطا في القلايات فقد بلغ ، بعد ضم جيش يمين عليه ، خمس وخمسين الفا وستمئة وخمسة عشر جهاديا . وقد قسم ذلك العدد الى اربعة ارباع كما هي الطريقة المتبعة في المهدية في تقسيم الجيوش . وكان على قيادة الثلاثة ارباع الاولى كل من الزاكي طعل وعيد الله ابراهيم واحمد على . وتل ربح يتكون من جهادية واولاد عرب . وكل الجهادية كانوا مسلحين بالاسلحة النارية . وبعضهم بالمدح الابيض . وكان الربح الاخير يتكون من ملازمين وجهادية وكان تحت قيادة حمدان .

ورأى حمدان قبل ان يبدأ الحرب مع الحبشة ان يقوم ببعض التعديلات في ترتيب الارباع بحيث يقضى الربيعين اللذين على الجناحين اي ربيع عبد الله ابراهيم واحمد على . وان يقب كذلك ربيع الوسط تحت قيادة الزاكي . لان تلك الارباع في رايه تصبح بذلك التشكيل في " مجرى لشغل الحراية " . لذلك قام يضم ام بدى حمدون وادم اسماعيل وفرج الله خليل على ربيع الزاكي ، وان يكونوا جزءا من اولاد العرب بذلك الربيع لانهم من قبائل الحمر والرزيقات واحوازمة وكنانة . وان يسير هؤلاء خلفي الجهادية ساعة الحرب . وقام حمدان كذلك يضم كل التكاير على ربيع عبد الله ابراهيم ، وضم اربعمائة مندقية على ربيع احمد على <sup>٥٢</sup> . وقام بذلك بتوزيع الجهادي الذي كان تحت امره عربي دفع الله على الارباع الثلاثة ليزيد من قوتها <sup>٥٣</sup> . على ان الخليفة طلب من العملاء ان يختاروا الربيع الذي سينضموا

٥٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٤١

٥٣ الخليفة الى حمدان ابو عنجة ، ربيع اول ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢ / ٣١ / ٦ / ١١١

عليه على الا يسمح بعد ذلك باستنقل من ربيع لآخر لان التنقل من " محل الى محل  
 يوم دى الى الفشل واستنتيت <sup>٥٤</sup> . وبناء على ذلك الامر فقد انضمت ست رايات  
 الى ربيع احمد على ، واربعة رايات الى ربيع عبد الله ابراهيم <sup>٥٥</sup> ، واربعة وثمانون راية  
 الى ربيع الزاكي طمل <sup>٥٦</sup> .

وشهد اسيحى انمرابط بالقلايات ضاهرة هروب المجاهدين من اولاد العسرب  
 واجدادية . وكان سبب وجود تلك الظاهرة هو رغبة بعض القبائل فى الاستقرار

٥٤ الخليفة انى العملاء مع عربى دفع الله ، ١١ ربيع اول ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢ / ٢١ / ١٣٢٦

٥٥ كانت الرايات الاربعة بقيادة كل من : فضل الله محمد العالم ، على ابو  
 عاقلة ، احمد ولد ادريس وحبيب الله ابراهيم

٥٦ كانت هذه الرايات ( ٨٤ ) تتكون من القبائل الانية :

١	رايات	جوامعة
٨	"	الحسنات
٦	"	دار عقيل
٧	"	جمع
٣	"	محارب
١٠	"	برقوا
٢	راية	هبانية
١١	"	سليم
١٤	"	اولاد بلد
١١	"	مختلفة
٤	"	جدارية



في المناطق الزراعية اما زهدا في الجهاد او لان منطقة القلايات كانت شحيحة  
 القوت • فالتجأت مجموعات من بعض القبائل الى مناطق النهر والمناطق الزراعية  
 الاخرى • ولجأ بعضها احيانا للنهب والسلب • وقد تفاقم تلك الظاهرة عام  
 ١٣٠٦ نسبة لظروف المجاعة • ففي يناير ١٨٨٩ (جماد اول ١٣٠٦) ابلغ محمد  
 مدرع وهو احد امراء الرايات بان سبع قبائل من الحسانات قد هربوا من القلايات  
 واتجهوا نحو النهر الازرق وارض الجزيرة • وطلب من ابي عنجه ارسال بعض الاشخاص  
 الى الجزيرة لتجريد تلك المجموعات غلها « الهاربة من » العليق الدنيوية المعوقة  
 عن حضرمهم ••• وخبطهم وربطهم لحين وصولهم " الى القلايات " <sup>٥٢</sup> • وقد ابلغ  
 عربي دفع الله ذلك عن هروب ستمائة وخمسة وتسعين من جهاديته • وكان الجهادية  
 لا يتقنون بالهروب الى المناطق الزراعية بل كانوا يقومون بارتكاب الكثير من اعمال القتل  
 والنهب والسلب وقطع الطرق ، حتى زاد التعريق بين القضايف والقلايات ان  
 يتحقق تماما لاتعدام الامان • وبلغت تلك الظاهرة درجة من الخطورة حتى ان

---

٥٢ محمد مدرع الى حمدان ابي عنجه ، ١١ جماد اول ١٣٠٦ ، مؤدية ، ٢ / ٣١ / ٦ / ١٤٠٠

ابن عنجة قام بإبلاغها للخليفة ، كما قام بشنق خمسة من الجهادية من الذين قبضوا  
 بهم ، يمارسون أعمال التنجيب<sup>٥٨</sup> . ولا شك ان مجاعة سنة ١٣٠٦ قد فاقمت تلك  
 الظاهرة .

حقا لقد نالت مجاعة ١٣٠٦ (١٨٨٨-١٨٨٩) امرا شديدا على دولة المهدية .  
 وكان من اهم اسباب تلك المجاعة ترحيل اعداد هائلة من قبائل الغرب الى  
 امدران حيث ضلوا يعيشون على بيت المال ويشكون عبئا ثقيلا عليهم مما ادى الى  
 نكاح المخزون من الغذاء . كما انهم ادوا الى انهيار منطقة الجزيرة لاعتمادهم  
 عليها اساسا في الحصول على غذائهم . كما ان رحيل تلك القبائل من مناطقها وانضمام  
 قبائل اخرى عليها من مناطق مختلفة بخرن الجهاد ادى الى ان فقدت المناطق  
 الزراعية اعدادا ضخمة من الايدي العاملة<sup>٥٩</sup> . وكان لوجود ثلاثة جيوش كبيرة

٥٨ حمدان ابن عنجة الى الخليفة ، ٢٣ محرم ١٣٠٦ ، مهديّة ، ٢٠٢ / ٢١

٥٩ مكى شهبكة ، عبر القرون ، ص ٣٦٣

مرابطة في القلايات ودنقلا ودارفور ان تفاقت المشكلة كثيرا<sup>٦٠</sup> . وكانت امدردان كثيرا ما تستنجد بالمناطق الغنية للحصول على المواد الغذائية . فيها هو حمدان يرسل الى الخليفة عشرين الف ريال منها تسعة الاف " قشلى " والباقي " مجيدى " وذلك لان امدردان كانت مشحونة بالمهاجرين والانصار من سائر الجهات . ثم جاء خريف عام ١٨٨٨ ( ١٣٠٥ / ١٣٠٦ ) شحيحا فادى الى حدوث المجاعة وكانت وطاة المجاعة في بداية الامر خفيفة على المناطق الزراعية مثل منطقة القنارف ، ولكن اعتماد المناطق الاخرى عليها جعل اثر المجاعة يزحف عليها كذلك . وتركزت سياسة الخليفة في اطعام امدردان اولا وتوفير الغذاء فيها على حساب المناطق الاخرى . وكانت معارضة ولد عدلان لهذه السياسة سببا في نزياته<sup>٦١</sup> . فكيف نفذت تلك السياسة بالنسبة للقنارف ؟

لعل الخليفة قد احس بتخوف الكارثة عندما جاء الخريف ضعيفا ، ولذلك قام

---

Holt, The Mahdist State, P. 173

Ibid, PP. 174-5

باستدطاء حمدان في سبتمبر ١٨٨٨ (مطلع عام ١٣٠٦) حيث وصل الى امدردمان  
 في ٣ نوفمبر ٨٨ (٢٨ صفر ١٣٠٦) • وقد علم الخليفة من حمدان عن احوال تلك  
 المنطقة من الناحية الغذائية • ولم يمكث حمدان في امدردمان اكثر من اسبوعين اذ  
 كان في طريقه الى القضايف في منتصف نوفمبر (النصف الاول من ربيع اول) • وقضى  
 ابر عنجة شهرا بالقضايف بالرغم من كثرة الرسائل التي وردت اليه من احمد طوسي ،  
 وكيله بالقلبات ، يستعجل حضوره • وكان بقاء حمدان تلك الفترة لاهتمامه بالضييق  
 الذي كان يعاني منه الاتصال في القضايف بالرغم من انهم في منطقة زراعية ، لاهتمامه  
 كذلك " بتشهيل ما هو لازم لقوت <sup>انصار</sup> الدين " في امدردمان ، وقد بذل مجهودا كبيرا  
 في اداء تلك المهمة كما شدد كذلك على الاهالي لتنفيذ سياسته <sup>٦٢</sup> • واستطاع  
 حمدان ان يرسل الى امدردمان الف وخمسمائة جملا محملا بالذرة كدفعة اولى •  
 وفي القضايف وسمح حمدان الاجراءات الاقتصادية التي قرر اتخاذها لمواجهة

---

٦٢ حمدان ابر عنجة الى الخليفة ، ٢٧ ربيع اول ١٣٠٦ ، ممدية ٢٤٦/٢/٢٠/١

المجاهة • وتتلخص تلك الاجراءات في " عدم المداولة بالبيع والشراء عند هذا  
 في المعيش ٠٠٠ وان يكون البيع فيه بمسوق مركز الرباط " بالنسبة لاصحاب الذرة  
 الذين في امكانهم ترحيل محصولهم الى القلايات <sup>٦٣</sup> ، اما الذين لا يمكنهم وسيلة  
 للترحيل فيمكنهم ان يبيعوا في القضايف ودوكة وعصار والتومات • ماعدى ذلك  
 فغير مسموح ببيع اي ذرة خارج هذه المراكز في " الحلالات " <sup>٦٤</sup> وقد اتخذ حمدان  
 ذلك الاجراء لان الذرة كانت تناع بأثمان باهظة لارسالها الى كسلا وسواكن وبربر  
 بينما كانت الجيوش في القلايات تعاني من الضيق في المعاش • لذلك اتخذ  
 ذلك القرار ببيع الذرة في المراكز الهامة حيث يمكن ان يفرش عليها رقابته •  
 ولكن الخليفة لم يوافق على تلك الاجراءات التي اتخذها حمدان لان فيها اجحافا  
 على المناطق الاخرى • فكتب اليه قائلا " بما انه حصل شيق في المعاش  
 بجهة كسلا وسواكن وان الجهتين ليس بهما زرع وان [لغلب المعيش بجهة القضايف]

---

٦٣ المصدر السابق

٦٤ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ ربيع لشر ١٣٠٦ ، مديدة ، ٧٥ / ٧٠٢

فيجب ان توكدوا على فرج الله رجب وعيد الصادق بعدم منح العيش من التوجه  
 لجهة حامد على عثمان دقنة<sup>٦٥</sup> . والحق الخليفة اوامره هذه . باوامر اخرى يطلب  
 فيها من حمدان السماح لوكيل بيت المال في امدرمان بشراء الذرة من القصارف لان  
 امدرمان " هي المربض للجيش ووفود الاسلام " . ويبدو ان الخليفة قد اقترض  
 على سياسة حمدان لانه كان قد سبق واعطى امين بيت المال في امدرمان امرا ليصنع  
 للتجار من امدرمان وكسلا بشراء الذرة من القصارف<sup>٦٦</sup> .

على ان حمدان لم يوافق الخليفة تماما على رايه فكتب اليه يدافع عن سياسته  
 التي قررها . فذكر للخليفة انه عندما وصل الى القصارف وجدها في حالة " كرب  
 لعدم المعاش " . ويوجد الاهالي يبيعون الذرة للتجار من كسلا وسواكن وبربره ولذلك  
 شفقة منه بالانصار فقد قرر اتخاذ تلك السياسة . ان حرية البيع خارج المراكسز

٥٠ : حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ ربيع اخر ١٣٠٦ ، مديية ، ٢٥/٢٠٢

٦١ : حمدان ابو<sup>عليه</sup> الى الخليفة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٦ ، مديية ، ٢٧ / ٢٠٢

٦٢ : Holt, The Mahdist State, pp. 173-4

"ستوصى الى الانفلات"<sup>٦٨</sup> .

وتحت وسادة المجاعة اضطر حمدان الى صرير الغذاءات للجيش بالتموين  
 خصيصا في منطقة القصارف . فقام بعض امراء الرايات بكتابة اسما وهمية لضافتها  
 الى راياتهم وذلك طمعا " في وفر ماينالونه من عرض الدنيا " ، حتى بلغ عدد  
 الجيش في انقلابات اثنين وسبعين الف وثلاثمائة واثنين وثمانين جنديا . ولذلك قام  
 ابو عنجة باجراء جرد كامل للجيش " رايه رايه قبيلة قبيله " ، فوجد ان الزيادة  
 في العدد بلغت ثمانية عشرة الف وخمسمائة وستة شخصا جميعهم " هوادية " لم يقابلها  
 احد في الوجود " . وقد بلغ جملة ماكان يصرف للجيش في كل مرة تسعة عشر الف  
 وثمانمئة وسبعة واربعين ريالا ، بواقع ربع ريال لكل فرد<sup>٦٩</sup> . كانت هذه هي  
 الاجراءات التي واجهت بها دولة المهدي المجاعة الكبرى في المنطقة . ولاشك ان  
 المجاعة قد عطلت عملية الجهاد والحروب مع الحبشة هذا بجانب اثارها العارسة

٦٨ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١ جماد ثاني ١٣٠٦ ، مهدي ، ١ / ٢٩ / ٢ / ٢٦٥

٦٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٤ جماد اول ١٣٠٦ ، مهدي ، ١ / ٢٩ / ٢ / ٢٦٣

التي شهدتها كل هذه دولة المهدية • كما ان المجاعة لم تلبث في ذلك  
العام بل امتدت حتى عهد الزاكي ظل •

### حمدان ابو عجة والحبشة

لاشك ان اهم اعمال حمدان في الفترة التي قضاها في القصارف - القلايات  
كانت علاقته السياسية والتجارية والعسكرية مع الحبشة • فهي لاتمثل فصلا هاما في  
تاريخ حمدان فحسب ، بل في تاريخ المهدية كلها • وفي تناولنا لتاريخ هذه  
العلاقة يمكننا ان نقسمها الى خمسة فترات : الفترة الاولى التي قضاها حمدان في  
التجسس على اخبار الحبش وتحسس قوتهم وتحركاتهم والوقوف على حقيقة المكابدة  
والنقدية الذين كانوا يقومون بعملية التبادل التجاري بين البلدين • والفترة الثانية  
وتشمل حرب حمدان مع الرامس عدار واحتلال حمدان لقنذار • والفترة الثالثة التي  
ظل فيها حمدان في القلايات ساعيا للتعرف على احوال الحبش وتحركاتهم ، والتي  
سعى فيها كذلك باستمرار عملية التبادل التجاري • اما الفترة الرابعة فتشمل غزوة  
حمدان الثانية للحبشة • واخيرا الفترة الخامسة التي فشلت فيها المساعي السلمية



بين البلدين وبداية استعداداتهما العسكرية لجولة اخرى .

عند قدوم حمدان الى القلايات للمرة الاولى كان يحمل معه خطابا من الخليفة الى يوحنا . وكان ذلك الخطاب هو الخطاب الثانى الذى يبعثه الخليفة الى النفس . على ان الخطاب الاخير يختلف فى روحه وفى منحاؤه عن الخطاب الاول . ففي رسالته الثانية حدد الخليفة اشياء معينة ليوحنا وهى الدخول فى الاسلام والانتظام فى سلك اتباع المهدي وانصق بالشهادتين واقامة شعائر الاسلام فى بلاده . ويتحدث فى نفس الرسالة عن انتصارات المهدي على الحبشة ولكم يطلب من يوحنا ان ينمسي ذلك باعتبار " ماضى فقد فات " . ثم يتوعد قاض " وان . . . لم تنزل على اعراضك عن لجة داعي المهدي واصرارك على دين الكفر واتباع الهوى فاعلم انك تعير من الهالكين . . . ولا بد من حلول جيوش الاسلام بدارك ومناجزتك الحرب وقطع دابرهم وقتل كل من يكون معك " <sup>٧٠</sup> . لعلم من الواضح فى هذا الخطاب ان موقف الخليفة

---

٧٠ الخليفة الى يوحنا ، ١٣٠٥ ، مهدي صادر رقم ٣ ، ص ٣٥

لايرد ذكر الشمر فى هذه الرسالة ولكن من الأرجح انها كتبت حوالى ربيع اول وهو نفس الشهر الذى تحرك فيه حمدان الى عنجة من امدرمان قاصدا القلايات

اقتنع بان يوحنا بن يترحزج عن موقفه فاشرا استعمال اسلوب الندة • وربما لانه

في هذه المرة يتحدث من موقف القوة بعد ان أصبح حمدان في طريقه الى القزبات •

وعلى كل فبذا الخطاب يحدد سياسة المهدية تجاه الحبشة في هذه المرة •

وقيل ان يصل حمدان الى القلايات تم اثرت اسماء اخبار تحركات الحبش في جنة

تبارك الله امامه النور فقرا ومحمد الامين <sup>٧١</sup> • فقد منتصف نوفمبر ١٨٨٧ ( بداية ربيع

اويل ١٣٠٥ ) وردت رسالة من النور فقرا الى ابى عجة يفيد فيها ان جواسيسه قد

اخبروه بان الحبش ينوون النجس على تبارك الله ، وانهم

يخشى تكرار ما حدث في العام الماضي ولذلك فقد ارسل في طلب نجدة

من يونس الدليم • الا ان حمدان قد طلب منه ان ينتظر حتى وصوله المسمى

انقلابات • ولكن ولد فقرا كان يرى عدم التأخير لان " حكومة " - احد عبيد الشبانية -

والثوار الملتجئين ببلدة نقارة ، جميعهم مريضين لكو يجدوا في فرصة سانحة

يجمعون فيها • وثانيا لان دجار تسمى القائد الحبش في تلك المنطقة قد سافر الى

---

• صاحب حمدان اسمه شخصا يدعى محمد الامين وهو ابن سنطان البهرة وقد عينه

ال خليفة عاملا وطلب منه ان يتعاون مع النور فقرا •

يوحنا ، وترك بدلا عنه " ويرى لم يابه " وكهلا عنه ، وهذه فرصة سانحة للاتصال  
 ليهجموا فيها<sup>٧٢</sup> . وكرر ولد فقرا طلبه باستعجال ارسال النجدات في اليوم التالي واصاف  
 ان الحبش في ذلك الوقت " مضايقين ٠٠٠ من الطليان " وان يوحنا قد توجه  
 بجيشه لملاقاتهم ولم يبق على الحدود بقية من جيشه . ويخشى ولد فقرا ان  
 يتحد الحبش مع " الطليان " فتضيع تلك الفرصة . ويضيف ولد فقرا بان يوحنا  
 قام باستدعاء كل قواده مثل راس عدار ورأس مكانين وظللك للاجتماع به في غبشة  
 للتشاور في امورهم الحربية ، وان لم يابه وعجل قد صحبا اولئك القواد الى ذلك  
 الاجتماع . وكان النور نقرا قد استلم رسالة من الجبيرة في الحبشة يطلبون فيها  
 ارسال نجدة اليهم ليقوموا مع دعوة المهدية . فلكل تلك الاسباب مجتمعة يرى ولد  
 فقرا ارسال نجدة من " الاخوان اولوا العزم " ليهجم بهم على الحبش ويخرب ديارهم .  
 ويقترح اذا كان ارسال النجدة امرا صعبا ان يسمح له حمدان بالهجوم على  
 الحبش بمعاونة عبد القادر البشير . ويرى ولد فقرا ان يأخذ عنصر المبادرة

---

٧٢ النور فقرا الى حمدان ابى عنجة ، ١٥ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدي ٢ / ٤١ / ٤٨ / ٤٨

بالنجوم قبل ان يفعل ذلك اعوان الحبش امثال " حكومة " ٧٣ . اما حمدان فقد  
 اصر على رايه الاول ولم ير داعيا للاسراع بالهجوم ولذلك لم يرسل اى نجدات الى  
 ولد فقرا بالرغم من الحاحه ومطالباته المستمرة . ولعل حمدان كان يريد ان يتعرف  
 اولاً على طبيعة الوضع فى القلايات قبل القيام باى اعمال حربية . اولعله شغل فى  
 بداية هذه هناك باخماد فتنة ادم البرقاوى . ولكن يبدو ان الاخبار التى اوردتها  
 النور فقرا عن غلبة الحبش وانشغالهم بامور اخرى قد جعلت حمدان يقترح للخليفة  
 بان يقوم بهجوم على الحبش على غلبة وهذا فى رايه " ابلغ من القعود لهم  
 محبوا واحدا حتى يتم استعدادهم ويكونوا فى غاية الانتظام لامرهم " . ويرى حمدان  
 كذلك انها فرصة سانحة لان موقف صالح ادريس بدأ يتدهور امام الحبش وانهم  
 اصبحوا غير راضين عنه ويفكرون فى طرده وابعاده ٧٤ .

وجاء رد الخليفة على اقتراح النور فقرا وعلى اقتراح حمدان وكانت ردوده

١٣ النور فقرا الى حمدان الى غلبة ، ٢٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ١٥ / ٣ / ١٤٢

١٤ حمدان الى غلبة الى الخليفة ، ١٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢٩ / ١ / ٣٦

قائنة وواضحة • اما فيما يختص بالموقف في تبارك الله فهو يرى ان الاخبار الخاصة بهجوم الحبش ما هي الا " اشاعات فارغة " ، ان الحبش مهتمين اساسا بجهة القازيات • وحتى القلايات فهم غير مهتمين بها ، ذلك الوقت لان يوحنا مهتم اساسا بامر الايطاليين ، وقد ذهب الى مصوع لاجراء صلح معهم • ولكن على الرغم من تلك التحركات فان الخليفة حذر حمدانا بان لا يغفل عن الحبش ، لان الحبش والايطاليين كلاهما من الكفار ربما اشاعوا انشغالهم عن دولة المهدية حتى يغفل الانتصار ويكونوا في " عدم ابهة " فيهمجوا عليهم بغتة <sup>٧٥</sup> • اما فيما يختص باقتراح حمدان فهو يرى ان يقوم حمدان اولا بالتأكد من مقدرة جيشه على ملاقاته الحبش لان اغلب جنوده من المستجدين الذين لم يسبق لهم لقاء العدو في جهاد " مثل الحرايات الشديدة " ويقترح على حمدان ان يقسم جيشه على مجموعات حسب مدرستها على القتال بعد ان يجري عليهم فحصا دقيقا حتى يتضح له صاحب العزم القوي من غيره • وطيه كذلك ان يتأكد من سكان القلايات ان ان اغلبهم " ليسوا صادقين ومتكسبن

---

٧٥ الخليفة الیحمدان ابی عنجة ، ٢٤ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهديّة ، ٦٠/٧٠٢

النفاق من قلوبهم والنفارير المسموع عنهم انهم منافقين وليس لهم امان . " وبعد  
 ان يضع الخليفة كل تلك الاحتياطات يقترح الا يقوم الانتصار بالهجوم اولا بل يستعدوا  
 في مكانهم وينتظروا قدم الحبل بهم<sup>٧٦</sup> . ولعل الذي دفع الخليفة الى ذلك  
 التحفظ خوفا من ان يكون هجوم الانتصار فاشلا بعد ان وضع املا كبيرا على ابن عتجة .  
 فبذء السياسة الدفاعية التي اقترحها الخليفة لم تكن سياسة عامة للمهدية تجسدها  
 الحبشة بقدر ما هي موقف املته ظروف وقتية .

وفي ذلك الشهر الاول الذي قضاه حمدان في القلايات كثر ورود النقادية  
 اليها لمباشرة اعمالهم التجارية . وكان ابو عتجة يتحدث معهم دائما في امور الدين  
 محاولا ادخالهم في حظيرة المهدية . وكان النقادية يردون على حمدان بانهم  
 " مساكين ليسوا من الحراية للدين في شئ " وانما الاساس في حركاتهم من كبرائهم .  
 ناعاهم حمدان الامان . ولعله بهذا كان يحاول ان يزيل اثر يونس الدكيم  
 العدوانية عندما قام بالتعدى على قوافلهم التجارية . ونتيجة لتلك الاجراءات فقد

٧٧ • انفضت الحركة التجارية حتى ان بعض النقادية قبل بدخول في الاسلام .  
 ولكن الخليفة لم يوافق حمدانا على تلك الاجراءات تجاه النقادية ، فقد كان ممن  
 راي الخليفة الا يسمح للنقادية بالحضور للتجارة بعد ذلك ، ومن يحضر منهم " يكون  
 هو الجاني على نفسه " . ولكنه يرى الا يقوم الانصار بالتعرض للنقادية ونهيب  
 ممتلكاتهم اذا حضروا الى القلايات بعد ان اعطاهم حمدان الامان بذلك ، لان  
 في تعرض الانصار لهم بعد ذلك خروجاً على الدين • وقد بنى الخليفة رفضه  
 لحضور النقادية الى القلايات لانهم ليسوا من المسلمين بل هم اعداء الله ولذلك  
 فلا توجد " مداخله بين عباد الله واعداء الله " • على انه عاد وذكر لحمدان بمان  
 يسمح للنقادية بمباشرة اعمالهم التجارية اذا كان في ذلك مصلحة دينية وليست تجارة  
 فحسب ، مثال ذلك ان يكون حضورهم الى القلايات رغبة في الاسلام او ان يكون فسق  
 حضورهم " ادخال المكيدة على عدو الله للنفس بتعليل جيمش او انحلال عزم

---

٧٧ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٢٦ ربيع اول ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢١ /

اعداء الله وتفرق كلمتهم .<sup>٧٨</sup> فرد ابو عنجة على الخليفة بان حضر النقادية فعلا فيه ثروة دينية لانهم لا يحضرون للتجارة فحسب بل لانهم يهربون من الاذى الذى يقاسونه من الحبس ، الى بلاد المهدي لما فيها من عدل . ويرى ايضا انهم يحضروهم الى القلايات " يرون تحزب انصار الدين وكثرة العدة والعديد المرمب لاعداء الدين ثم يرجعونهم هناك يزدادون الذين هم هناك من اخبارهم رعبا على رعبهم . " ويرى ثالثا ان " الثمرة التى هى ابلغ من ذلك " ان زعيم النقادية نقاض راس كان قد حضر الى القلايات وان ابا عنجة قام بكسوته بلباس الانصار . وعندما يرجع الى بلاده فالمأمول ان يعود معه عدد كبير من فرجه ، كما انه يعد حمدانا بان ياتيهم باخبار الحبيب وتحركاتهم<sup>٧٩</sup> . ونتيجة لهذه السياسة

---

٧٨ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٣ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدي ، ٦٥ / ٢٠٢ ، لم يكن نخوف الخليفة من التجار واتهامهم بانهم جواسيس يقتصر على النقادية فحسب بل . كان يشمل اساسا التجار القادمين من مصر لانهم فعلا كانوا يقومون باعمال التجسس لصالح المخابرات البريطانية - المصرية

٧٩ حمدان ابي عنجة الى الخليفة ، ١٠ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مهدي ، ٥٤ / ١ / ١ / ١



فقد بلغ عدد أفراد القافلة حوالي مائتي شخص ، وإن اباضجة اشترى من إحدى تلك  
 القوافل ثلاثين حصانا وهو عدد كبير نسبيا . ولكن الخليفة حذر حمدانا والانصار  
 عامة ألا يركبوا كلفة إلى النقادية إذ أنهم في اعتقادهم جواسيس لأنهم إذا كانوا  
 حقا مؤمنين فعليهم بإعلان إسلامهم والحضور إلى البقعة <sup>٨٠</sup> . قد أصبح الشك في  
 النقادية هو الصفة المائدة لسياسة المردية نحوهم . ولكن حتى ذلك الشك لم  
 يعرقل نشاط الحركة النجارية . ولعلنا نلاحظ أن موقف الخليفة تجاههم قد تحول  
 عن ذي قبل ، فبينما كان من قبل يرى أن يسمح لهم بالحضور إلى القلايات  
 ليستفيد الانصار من شراء حاجياتهم ، عاد ليضع شروطا جديدة لحضورهم ، فاعتبر  
 المصلحة الدينية هي الاساس لاستثنائهم من نشاط التجارى .

ولاحظ الخليفة أن حمدانا قد اهتم كثيرا بأحوال الاهالى وأهمل التجسس  
 على أحوال الحبس وتحركاتهم ، فكتب اليه مثيرا إلى هذا التقصير . ولكن حمدانا  
 نفي عن نفسه التقصير وأخبر الخليفة بأنه منصرف لمعرفة تحركات الحبس ، وأنه يدقق

في اختيار الطارح التي يبعث بها الى الحبشة ، وانه مهم في ارسالها بانتظام .  
 وكان قد وصلت الي ابي عنجة بعض الاخبار التي تفيد بان الحبش غير موجود يمين  
 على جهة القلايات ، ولذلك قرر ان يعير الى بلادهم وان يقوم باحتلال قنار على  
 حين غلة . وانه واثق من ان الجبنة سيجتمعون عليه ما ان يدخل بلاد الحبش .  
 ولكنه عدل عن تنفيذ تلك الخطة تمثيا مع راي الخليفة الذي ينذر بالاعوذ  
 بجانب الحذر . ولكنه هذا منتصف ديسمبر ( اوائل ربيع لخر ) وهو على اية الاستعداد  
 وكل الجيوش خارج البلد في " اعرضه " <sup>٨١</sup> . واستبدل ابو عنجة فكرة الغزو بالتركيز  
 على معرفة اخبار الحبش . فتأكدت له الاخبار السابقة من ان يوحنا مشغول مع  
 الاسبانيين في منوع وان الجهات الغربية من بلاد الحبشة خالية تماما <sup>٨٢</sup> . وكان

---

٨١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ربيع لخر ١٧٠٥ ، مصرية ، ٦٦ / ٧٠٢  
 لايرد اليوم الذي كتبت فيه هذه الرسالة ولكنها في الغالب كتبت في بداية  
 ربيع ثاني لانها كانت ردا على رسالة من الخليفة في ٢٢ ربيع اول . وبما ان الرسالة  
 تستغرق اسبوعا من اخذكم للقلايات فيكون اليوم هو مطلع ربيع ثاني.

٨٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١ ربيع لخر ١٣٠٥ ، مصرية ، ٦٤ / ٧٠٢

في امان حمدان ان يقوم بخزوا تلك المنطقة في منتصف ديسمبر ( بداية ربيع اخر )  
لولا حادثة ادم البرقاوى التى كان يجب معالجتها بحزم • وبقي حمدان في انقلابات  
وجيشه في حالة استعداد للجهد ، فقد اخرج كل الارباع خارج سمر البلدة ووسع  
كل ربح على جهة من الجهات ، وقسم عليهم الاسلحة والذخيرة • واكد للخليفة بانه  
صرف " النظر كلية عن اتوجه للاعداء في ارضهم الا من بعد امرى جدا مما  
نرسله لهم من الغلاخ " وانه مهتم بعملية التجسس على اخبارهم<sup>٨٣</sup> •

من اوضاع ان الخليفة كان متشددا في مسألة التأكد من اخبار الحين وقضهم  
لانه لا يريد ان يقدم بشرة جيشه لاول مرة خارج حدوده الى ارض غريبة نسي  
مخامرة قد تكون غير مضمونة العواقب • لقد كان حرص الخليفة وتدقيقه ، انا ، امرا  
طبعيا • ولعل تلك الدقة هي من ضمن الظواهر التى تعكس مقدرته القيادية  
ومدى وزنه للامور • فقد ظل حمدان قرابة شهر ونصف وهو يبحث للخليفة بما

---

١٢ - حمدان ابن عتبة الى الخليفة ، ٥ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مؤدية ، ١ / ١ / ١ / ١ / ٥٣

يأتيه من اخبار الحبش ، والخليفة لا يوافق على توجهه الى الحبش ، فقد كان طوال تلك المدة غير مطمئن الى صحة تلك الاخبار .

وفي منتصف يناير ١٨٨٨ ( نهاية ربيع آخر ١٣٠٥ ) تأكد الخليفة من ان الحبش معد منقطع من مشيخين مع الايطاليين وان اي عملية حربية في ذلك الوقت ستكون نتائجها مسمومة . وقد عبر الخليفة عن احساسه بالرضا بذلك النتيجة في " حضرة نبوية " قابل فيها الرسول وامهدي ونبي الله عيسى والخضر ، وان الرسول قال للخليفة " قد حصل لك الان بغزو الحبش في بلادهم " ، ثم قام الرسول وكبر على الحبش مسررا وكبر معه جميع الحاسرين . وقام امهدي بعد ذلك وقيل الخليفة على خده وكرمان مسررا ومنشراحا منه <sup>٨٤</sup> . ويقول الكردفاني ان الخليفة قام بعد تلك " الحضرة بارسال اوامره لحمدان ليقوم بغزو الحبش <sup>٨٥</sup> . ولكن حمدانا قرر غزو الحبشة يوم ١٠ / يناير ٨٨ ( ٢٥ ربيع آخر ) وتحرك من القلايات يوم ١١ يناير ٨٨ ( ٢٦ ربيع آخر ) ، وقد ذكر

٨٤ الخليفة ( حضرة نبوية ) ، ٢١ ربيع آخر ١٣٠٥ ، مهديّة صادر رقم ١٢ ، ص ١

٨٥ الطراز المنقوش ، ص ٧٦

للخليفة بأن قيامه كان لاقتناعه بأن راس عدار قد وصل إلى دمياط ولذلك رأى أبو  
 عنجة أن يقوم بمفاجأته . رأى أن يقوم بتلك الغزوة كذلك " لتراكم الجيوش  
 بالقلابات وخشية تفريقها لداعي الجوع الذي منها من عدم الخلال . . . مع شدة  
 الأمراض من دم وخلافه " <sup>٨٦</sup> . كما أن قيام حمدان كان بغتة ولم يخبر جنوده  
 بأنهم متوجهون لمحاربة الحبش وذلك حرصا على مفاجأة العدو . فإذا كان قيام  
 حمدان بغتة والجهة التي يقصدها ظلت مجهولة على جنوده فمعنى هذا أنه هو  
 الذي اتخذ القرار بالغزو . فإذا أضفنا إلى هذا أن الخليفة كان قد بعث إلى  
 حمدان رسالة في ١٥ يناير ٨٨ ( ١ جماد أول ١٣٠٥ ) يوافقه على قراره بالقيام  
 لغزو وأن تلك الرسالة قد تضمنت " الحصرة النبوية السابقة " <sup>٨٧</sup> ، فيكون حمدان هو  
 الذي اتخذ القرار ، ثم قام بإرسال خطاب إلى الخليفة مع شخص يدعى إدريس  
 عوانس ، يخبره فيه بقراره ويتحركه من القلابات . " فالحصرة النبوية " التي جاءت

٨٦ حمدان أبو عنجة إلى الخليفة ، ٢٦ ربيع الآخر ١٣٠٥ ، مصرية ، ١ / ٢٦ / ١ / ٦٣  
 ٨٧ الخليفة إلى حمدان أبي عنجة ، ١ جماد أول ١٣٠٥ ، مصرية ، ١ / ٢٦ / بدون نمرة

للخليفة والتي بموجبها قرر غزو الحبشة تكون قد جاءت للخليفة اما بمحض الصدفة  
 في ذلك الوقت بان يكون قد توصل الى ضرورة الغزو في نفس الوقت الذي اتخذ  
 فيه حمدان قراره ، لو تكون تلك الحشرة قد جاءت بعد وصول رسالة من حمدان  
 يخبره فيها بنية القيام للغزو . وفي كلا الحالتين فان ما ذكره التبريدافاني من ان  
 الخليفة هو الذي قرر فكرة غزو الحبشة قول غير دقيق .

تحرل ابو عنجة من القلايات ضحى يوم ١١ يناير ٨٨ ( ٢٦ ربيع اخر ١٣٠٥ )  
 وكان بصحبته خمسة عشر اى مجاهد باسلحة نارية وخمسة عشر الفا بالاسلح الابيض .  
 وكان حمدان قد اجرى كشفا دقيقا لكل الجيوش بالقلايات فبلغ جملة المجاهدين  
 واحد واربعين الفا وثلاثمائة وستة وستين ، اخذ منهم كل حملة الاسلحة النارية ، ونصف  
 حملة السلاح الابيض وترك الباقي بالقلايات لان اغلبهم كان مصاب بالحصى و " الكرو " .  
 وصرف لكل بندقية ستة دسنة من الجيخانة " ثلاثة منها بالفشكهليق وثلاثة باسعر " .  
 وكانت خطة حمدان ان يمير على طريق شلقة الى دمبيا ، وكان يعتقد انها على مسافة

اربعة ايام من القلايات • وفي اليوم التالي من قيامهم قابلتهم قافلة من النقادية اكدت لهم وجود الراس عدار بدمبيل ووجود يوحنا بهلاد التقري<sup>٨٩</sup> •

وبعد مسيرة اسبوع (١٢ يناير ٨٨ - ٣ جماد اول ١٣٠٥) تراءت لحمدان صلاح جيش الراس عدار • فقام ابو عنجة بترتيب جيشه استعدادا للمعركة • وكان يصحب حمدان كل قواده وهم الزاكي طفل وعبد الله ابراهيم واحمد علي ومحمد ايسو القاسم صالح • اما عريس دفع الله فقد<sup>بقى</sup> بالقلايات حسب اوامر الخليفة ولم يصحب الحملة كما ذكر انكردفاني<sup>٩٠</sup> • فقام حمدان بتقسيم جيشه الى اربعة ارباع تمند على خط واحد ، وفي المقدمة وضع حملة الاسلحة النارية • وخلف ربح الزاكي طفل - الذي بقي في الوسط - كان حمدان ومعه الملازمين " واهل النجدة وخفاف الحركة " • ومن خلفه وضع حملة الرماح والمهوف كل مجموعة خلف الربح الذي تنتهي اليه • ووضع الخيالة على اجنحة الجيش • وبهذا الوضع يصبح حمدان في قلب الجيش في موقف

١٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٤ ربيع اخر ١٣٠٥ ، مبدية ١ / ٢٩ / ٦٥

٢٠ الطراز المنقوش ، ص ٨٠

يمكنه من الاشراف على كل الارباع بحيث اذا طرا على احدها ضعف يقوم بمده بالرجال •  
 وسار ابو عنجة بذلك البنع حتى التقى بطلائع الحبش وكانوا نحواً من خمسين الف فارس •  
 وعندما بلغ حمدان منهم مرمى الرصاص امطرهم بوابل منه حتى هلك عدد كبير من  
 الحبش وانتهت المعركة بانتصار حمدان • وفي الليل جاءت فرقة من الحبش لفتنة  
 الانصار وهم في معسكرهم على مقربة من جيش الراس عدار ولكن الانصار قاموا بصدها •<sup>٩١</sup>

وفي صباح ١٨ يناير ٨٨ ( ٤ جماد اول ١٣٠٥ ) صلى حمدان بجيشه صلاة  
 الصبح وزحف على اسراس عدار • وكان عدار يقف على راس مائة واربعين الف مقاتل  
 جميعهم - حسب المعلومات التي ادلى بها الجبرته - من كجام ، شلقه ، طافسه ، ودسييا •  
 وبادر الحبش بالنزول باربعة مدافع ثم بالبنادق • واستمر الانصار سائرين نحوهم  
 دون ان يسمح لهم حمدان بالضرب حتى تحقق " بان افواه السلاح امتلأت من اعداء الله  
 فوقفوا شرفاً في ضربهم " بالرصاص " ماحجب الشمس " • وبعد ساعة انهزم الحبش  
 وفروا من امام الانصار ملتجئين بنهر قريب • وبلغ عدد الفارين نحواً من عشرة الاف •

---

٩١ حمدان ابو عنجة إلى الخليفة ، ١٥ جماد ١٣٠٥ ، مئدية ، ١ / ٢٩ / ٧٦



لما راس عدار فقد نجى بنفسه وترك ابنائه ، وأعلمه لذرير • وبعد مطاردة دامت  
عشر ساعات ، عاد الانتصار الى معسكر الراس عدار وشرعوا في جمع الغنائم • وكان  
عدد القتلى قد بلغ سبعة وعشرين ألفا وعدد الاسرى تسعة آلاف <sup>٩٢</sup> • ويبدو ان  
سذه الارقام مبالغ فيها ولكن مهما كانت درجة المبالغة فيها فانها تعكس عصف  
المركة وفداحة خسائر الحبر • وغنم الانتصار كل متاع الراس عدار من ملايين وحلى  
وإثاث وارسلت جميعا الى الخليفة • كما ارسل حمدان الى الخليفة بروايس بعهد  
قادة الحبر • وبقي ابو عنجة في معسكر الراس عدار ثلاثة ايام كان يرسل خياله  
الطرائع يمينا وشمالا دون ان يعثر للحبر على اثر • وكانت حالة المعسكر سيئة ،  
ويلج من كثرة القتلى ان اصبحت رائحته " منقنة من جيف اعداء الله " <sup>٩٣</sup>

وفي يوم ٢١ يناير ٨٨ (٢ جمادى الى ١٣٠٥) تحرر ابو عنجة فاصدا قنذار •

وفي الطريق قابله بعذر سكان المدينة راغبين في الامان • وعندما قرب من المدينة

٩٢. الطراز المنقوش ، ص ٨٣-٨٥

٩٣. حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ جمادى اول ١٣٠٥ ، مهدي ٦١/٧٠٢

خر الله " كبرايها من مسلمي الجبرت بالظاعة والاذعان " . وفي يوم ٢٣ يناير ٨٨ ( ١ جماد اول ) دخل حمدان مدينة قنذار فوجد ان اغلب اهلها قد هجروها بعدما علموا بما حل بجيش الراس عذار . وفي قنذار شاهد الانصار " عجا مسن القصور الشامخات ( واحرقوا ) اربعين كنيسة " <sup>١٤</sup> ووجد حمدان اربعة قس بالمدينة كان قد غر عليهم عبد الرحيم سالم ابودقا . وعبد الله ابراهيم . تمنح حمدان قتلهم واعظامهم الايمان <sup>١٥</sup> . وعندما لم يجد حمدان اثرا لجيش الجبرت كراجهوا فوصل الى وهني في ٢٩ يناير ٨٨ ( ١٥ جماد اول ) . وفي يوم ٣ فبراير ٨٨ ( ١٠ جماد اول ) دخل القزبات . ولم يكن وصوله في منتصف فبراير ( اوائل جماد آخر ) كما ذكر الكردفاني . لان حمدانا كان قد كتب الى الخليفة يوم ٢ فبراير ٨٨ ( ١٩ جماد اول ) انه على مسافة ساعين من القلايات وانه توقف لجرد الجيش قبل دخوله القلايات <sup>١٦</sup> .

- 
- ١٤ الطراز المنقوش ، ص ٨٧-٨٨  
 ١٥ صالح محمد نور ( تحقيق ) ، مخطوطة يوسف ميخائيل ، ( بيروت ) رسالة دكتوراه لجامعة لندن - غير منشورة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٤  
 ١٦ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ١٩ جماد اول ١٣٠٥ ، مدينة ١ / ٢٦ / ٢٣

وقد لخص ابو عنجة للخليفة المغزى من تلك الغزوة بقوله " وفضل الله فقد

راى الكفار سطوة المهدي وراعت قلوب جميع اهل دارهم مع ما وقفنا عليه من قياس ارسهم ومعرفة

الاغلب من جهاتنا وفى شقة حزب الله الغالب لدار الحبشة عبرة لولى الالباب

ان انبأ من عجب العجايب " <sup>٩٧</sup> . وبلغ شهداء الانتصار فى تلك المعارك خمسمائة

وتسعة عشر ، وجرحا هم خمسمائة وثلاثة وستين وعادوا بكدمات من الخنائم بلغت نحواً من

اربعمائة واربعة وسبعين من الخيول ، وثلاثمائة وستة وعشرين بغلاً ، وثلاثة الاف

وستمائة وسبعين حماراً ، وثلاثة الاف واربعمائة وخمسة واربعين من الرقيق ، واربع

عشرة قطعة من ملابس القسس ، وتمنع وستين قطعة من ملابس واثاث رؤساء الحصن ،

وخمسمائة واربع بندقية من مختلف الانواع . وكان الخليفة قد ذكر حمدانا بارسال

الخميس الى طرفه . <sup>٩٨</sup> وبلغ عدد الجبهة الذين انضموا الى الانتصار الف واربعمائة وستة .

وقد واجه الانتصار فى تلك الغزوة صعوبات جمه متمثلة فى وعورة الطريق وكثرة الجبال

---

٩٧ حمدان ابو عنجه ابن الخليفة ، ١٥ جماد اول ١٢٠٥ ، مصرية ، ٦٦ / ١ / ١ : ١

٩٨ المصدر السابق

والمرتفعات . وكنهم ، كما يدعى حمدان ، قد لاقوا العديد من " الكرايات " فقد كانت الاشجار تسقط على الارض بثمارها ، كما ان الجيش شامد نورا ابسا ينير له الطريق ، وكانوا في ساعة القتال يسمعون صوت " ام بايا " <sup>٩٩</sup> .

ولكن لماذا عاد حمدان الى القلايات دون ان يستأنف زحفه ، او يبقى في قنذار ويعمل على تحصينها ؟ لقد اعطى حمدان تبريرا لعودته من قنذار في الرسالة بعنها الى الخليفة قال فيها " لقد كانت اوتنا للمركز كوعدا للمراحم وعدم التصريح اثناني من قبل هذا في اقامتنا بدار الحبشة والتوجه لما يلزم من الجولات ولان الاخبار قد انقطعت من جهتنا على السيادة من مدة فلذلك حصرنا باسلامة ... " <sup>١٠٠</sup> ففي هذه الرسالة يذكر ابو عنجة اربعة اسباب لرجوعه ولكنهما لا تكفي لتفسير عودة ذلك الجيش المنتصر وقدم احتفاظه بانتصاره . فاذا كان السبب الرئيسي هو عدم تصريح الخليفة للجيش بالبقا في الحبشة ، فلماذا لم يصرح الخليفة بذلك ؟ لاشك

٩٩ الخليفة الى حمدان ابو عنجة ، ٢٢ جماد اول ١٣٠٥ ، مودية ١٥٥/٥/٢١/٢

١٠٠ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٩ جماد اول ١٣٠٥ ، مودية ، ١٢١/١/٢٦/١

ان العامل الجغرافى كان من اهم تلك الاسباب • فطبيعة الارض الجبلية وعزارة  
الامطار وبرودة الجوكلها لاتناسب الانتشار الذين لم يالفوا تلك الظروف الجغرافية  
العنيفة • فاذا علمنا ان فصل الخريف كان وشيك البداية وهو خريف عنيف خصوصا  
فى المناطق المرتفعة وانه يوم دى الى قطع طرق المواصلات لادركنا ان العودة كانت  
فعلا امرا ضروريا • ثانيا فان طبيعة حروب المهدية فى تلك المنطقة لم تكن حروب  
توسعية بقدر ما هى غزوات اما من أجل الغنائم او لتحريك الجيوش وشغله بدلا من  
الاحتفاظ به فترة طويلة فى حالة سلاكة • فالحبشة على خلاف مصر لم تكن مجالا  
لتوسع المهدية • ولهذا كانت حروب المهدية فى تلك المنطقة اما حروب غزوات  
من أجل الغنيم او بحث الاعمال شبه البوليسية او حروب دفاعية • وعليه فسان  
القذبات كانت اكثر ملازمة لتنفيذ تلك السياسة من قنذار التى تبعد شيئا عن مركز  
تعميل الجيوش وتقع وسط ارض جبلية • ثالثا لم يجد الانتصار اقبالا صادقا من الجبرته •  
واجبرته الذين انضموا اليهم فعلوا ذلك خوفا من جيوش المهدية لاعتقادهم بانها باقية  
بينهم ، والا لبقوا على ولائهم للحبشة ، او ، كما قال حمدان ، هربوا مثلما فعل

الحبس وتفرقوا في المناطق الجبلية المختلفة <sup>١٠١</sup> . كما ان بقية سكان المنطقة لم يكن  
يؤثر بهم فقد بدرت منهم عدة اعمال عدائية ، ولذلك فان عملية التوسع الحربي  
في منطقة معادية تصبح عملية شاقة <sup>١٠٢</sup> . رابعا فقد كانت تلك الحملة نتيجة ظروف  
معينة اهمها ان يوحنا وبعض قواده كانوا منشغلين مع الايطاليين/ <sup>مما</sup> جعل المنطقة  
القريبة من الانقلابات شبه خالية من الخصر . ومن تلك الظروف ايضا ان عدد الجيش  
في الانقلابات أصبح كبيرا ولا بد من وجود غذاء له عن طريق الحرب وقد كانت  
قنذار نفسها مدينة هامة ومركزا تجاريا مشهورا ، وكان الانصار يعتقدون انها بالانسية  
للحبش " ام مدائنهم " ، ولذلك كان الانصار يبنون انفسهم بوجود ثروات طائلة بها .  
ولذلك فان عودة حمدان الى الانقلابات لم تكن امرا غريبا بل هي تتماشى مع السياسة  
العامة لدولة المهدي في تلك المنطقة .

مكث ابو عجة في انقلابات من منتصف فبراير حتى منتصف يونيو ( اخر جماد اول -

١٠١ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ١٥ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدي ، ١ / ٢٩ / ١٢

١٠٢ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٢١ جماد اول ١٣٠٥ ، مهدي ، ١ / ٢١ / ٨٣

آخر رمضان) قبل ان يقوم بغزوته الثانية الى الحبشة • وفي تلك الشهور الاربعه وجه ابو عنجة اهتمامه الى انعاش الحركة التجارية والتجسس على اخبار الحضر والى اجراء بعض الاتصالات السلمية مع بعض رؤسائهم بالذات الراس عـدـلـر ومثلك •

بالرغم من احرب التي دارت بين الانصار والحش • فان عملية التبادل التجارى بين البلدين استمرت على ماكانت عليه • فقد كانت سياسة المهديّة نحو النقاديسمة لانتاثر بالعلاقة بين البلدين بل باحتياجات دولة المهديّة نفسها • فحينما كان حشورهم الى القلايات امرا ضروريا لمنفعة المجاهدين، وحينما اخر سم كفرة وجواسيس ولايد من ايقافهم • وبعد عودة حمدان من قنطار لاحظ ان "النقادية اهل التجارة من جبرته ومكاداة" مازالوا يقدون على القلايات • وكان ابو عنجة قد قابل جماعة منهم وهو في طريقه الى قنطار واعطاهم الامان وغدما عاد الى القلايات وجدهم على اية العودة • ولم يكن حمدان يدري هل يتركهم يواصلون اعمالهم التجارية ام يمنعهم عن الحشر بتاتا<sup>١٠٢</sup> • وكان ابو عنجة يرى في عودة النقادية مايمكنه

من الوقوف على اخبار الحبش ، اولعله اراد بهذه الحجة ان يقنع الخليفة حتى لا يمانع  
 في استمرار الحركة التجارية . وكان حمدان قد رأى في تلك الحركة التجارية منفعة  
 للمنطقة خصوصا وان انتصاره الاخير على الحبشة قد جعل النقادية يقدون على انقلابات  
 ليسج تجارتهم للانتصار الذين امتلأت اياديهم بغنائم الحبش . فقد شهدت الايام  
 التي اعقبت عودة حمدان الى القلايات افواجا كبيرة من النقادية فقد تكاثرت عددهم  
 " على غير الطاقة بكل يوم دفعة او دفعتين . . . . [ وكانوا ] لكرتهم اذا حمل الدميم  
 . . . . اولوم في اول وقت صلاة الظهر لا ينقطع لخرهم الى المغرب " . وكانوا  
 يدنلون القلايات بعد ان ينزعوا الصلحان ( العتب ) عن اعناقهم ، كما ان بعضهم  
 جاء " متجردا من كل العوائق " ليستقر في دولة المهدي<sup>١٠٤</sup> . والحقيقة فان اولئك  
 النقادية هم فئة من التجار تجرى وراء مصالحها بغض النظر عن ارتباطاتها الدينية .  
 وكان اغلب النقادية المترددين على انقلابات من الجبرته والامهرة من جهة شلقة  
 وطائفة . اما المكادة فقد قل عددهم بعد الحرب بشكل ملحوظ . ولكن

---

١٠٤ حمدان ابو عنجة اسى الخليفة ، ٢٢ رمضان ١٣٠٥ ، مهدي ١ / ٢٩ / ١ / ١ / ١٨٦ / ٢



الخليفة بدأ يشكك في تزايد النشاط التجارى وكثرة النقدية الواردة من الحبشة واعتقد الخليفة ان الحبس قد قصدوا من تصعيد الحركة التجارية الى اضعاف المسلمين باخراج المعاملة منهم " حتى ياتى الوقت الذى تعاد فيه دولة المهدية بانعدام النقود • ولذلك امر بقتل " جميع البوغازات " ماعدى القلايات وذلك لثقته فى حمدان وحسن ادارته للاعبور • كما امر حمدانا بان يمنع اى معاملة تجارية بالنقد سواء كان ريالات او ذهب ، وان تكون المعاملة مع النقدية بالسلح والقطن والسلع الاخرى ، اى ان تكون التجارة بالمقايضة • وكان من نتائج ذلك الاجراء ان انخفضت التجارة وقل الوارد من الخيول والبقر والبهال والعسل<sup>١٠٥</sup> •

اما جهة تبارك الله والتميمات فلم تعرف استقرارا كالذى لقيته منطقة القلايات وظلت عرضة لهجمات عجيل وجماعته بغرض السلب والنهب ، واحيانا بغرض المنارات • وقد كانت غيبة مركز عجيل عامرة لانها لم تتعرض للحرب مثل غسورة

---

١٠٥ حمدان ابو ضجة الى الخليفة ، ٢٧ جمادى الاخر ١٣٠٥هـ ، مهدية ، ١ / ٢٩ / ١٢٢

وذهبها . وعندما كبرت غارات عجيل وتعددت قرر ابو عجة ان يقوم بمحاربته  
 في فصل الصيف ، ولكن الخليفة رأى ان يسرع حمدان بالهجوم حتى ترتاح جهنمة  
 تبارك الله قليلا <sup>١٠٧</sup> . فقرر حمدان ان يقوم يوم ١٩ مارس ( ٣ رجب ) لهجرة المنطقة ،  
 ولكنه وهو على مشك النحر وصلته انباء عودة يونس الدكيم فتأخر لعلاقاته وشغل  
 بعدها بمشاكل داخلية اخرى ولم يتمكن من محاربة عجيل . ولكنه قام بالتشديد على  
 يغاز تبارك الله ، والتومات حيث بعث بنجدات حربية الى هناك . ويبدو ان تلك  
 الجهة حصيت بتي . من الاستقرار بعد ذلك انه اخذت جماعات من انصار عجيل  
 يفجرون معسكره ويعودون الى التومات وتبارك الله طالبين الامان لما اصابهم من  
 من الجوع من عدم الاستقرار وتعدد الغزوات <sup>١٠٨</sup> .

بعد ان عاد حمدان من حملته الاخيرة على الحيشة رأى ان يستغل انتصاره  
 الحربي سياسيا ، فبعث بعدة رسائل و " انذارات " الى بعض قادة الحيشة

١٠٧ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٩ جماد آخر ١٣٠٥ ، مديية ، ١ / ٢٦ / ١ / ١٠٥

١٠٨ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٢٨ شعبان ١٣٠٥ ، مديية ، ١ / ٢٦ / ١ / ١٦٦

ختوصاً الراس عدار ومليك<sup>١٠٩</sup> . كانت اول رسالة بعثها حمدان الى راس عدار  
 في ٤ فبراير ٨٨ ( ٢١ جماد اول ) . وفي تلك الرسالة توعده ابو عنجة وذكره بانتصاره  
 الاخير على الحبش وقال له " وفي علمكم اننا ما دنا بهذه الدار لاندها من التكسير  
 . . . . حتى نؤمن بالله وحده وتنطلق بالشهادتين . . . فنذا اندا نالكم . . . وهذا  
 نحن في انتظار ما يرد منكم اما السلم بقبول الاسلام واما الحرب "<sup>١١٠</sup> . ووصل رد  
 الراس عدار في ١٩ فبراير ( ٦ جماد اخر ) مع رجلين من الجبيرة . وقد طلب راس عدار  
 السلم مع حمدان وعرض شراء اسرى الحبش من الانتصار على ان يرد للانتصار اسراهم  
 الذين اخذوا في المعركة التي استشهد فيها ولد ارباب . واكد انه على استعداد  
 لدفع الجزية<sup>١١١</sup> . ورد عليه حمدان ردا قاطعا ان قال له بانه لا يريد الدنيسا

- 
- ١٠ : بلغت تلك الرسائل في مجموعها ١٨ رسالة وكلها متشابهة في صيغها  
 . . . حمدان ابو عنجة الى الراس عدار ، ٢١ ( ٤ ) ١٣٠٥ ، مديدة ، ١ / ٣٤ / ١٣ / ٤٠  
 هذه الرسالة لم يرد فيها الشهر ولكنه " جماد اول " وقد اعتمدت على هذا  
 التحديد من رسالة بعث بها حمدان الى الخليفة .  
 مديدة ، ١ / ٢٩ / ١ / ٧٧ .  
 اما ندر رسالة حمدان الى راس عدار فهو نفس النسخ الذي بعثه الى بقية رؤساء الحبشة .  
 ١١١ ورد تلخيصا لرسالة الراس عدار في خطاب لحمدان بعثه الى راس عدار  
 نفسه راجع : مديدة ، ١ / ٣٤ / ١ / ٧٧

ولا زخرفها لأنها ذاهبة وكل ما يريد منه أن يفتق بالشهادتين وأن ينزهه اسليب عن  
 عنقه وأن يقبض على المفسدين أمثال صالح الدريم والفكي العضوي عبد الرحمن وعجيل  
 ويبحث بهم إليه <sup>١١٢</sup> . وكان أبو عنجة ينوي أن يرسل إلى راس عدار بنفسه التي وقعت  
 في الأسر، ولكنه قرر أخيراً أن يبقيهما في القرى حتى يصل رداً من أبيهما . ولكن البنات  
 ماتت لمرض ألم بهما فأرسل حمدان خطاباً رقيقاً إلى عدار استهله بأن " الموت حق  
 لا منجى لكل حي بعد الله منه " . ثم أخبره بأن ابنته " هلكت بالقضاء " . وبعث  
 بجارتيهما إليه ليؤكد بنفسه من صدق حديثه . ثم أخبره بأن ابنه مكن " في أمان  
 وعوفي جرح الرصاص " الذي أصابه في المعارك الأخيرة . وأخيراً طلب منه دخول  
 الإسلام والا " فلا صلح إلا الحرب واشتداد الضرب حتى يهلك الله أعداءه " <sup>١١٣</sup> ورد  
 راس عدار بخطاب رقيق خاطب فيه حمداناً بقوله " حبيبى فى الله حضرة جناب  
 الأمير حمدان أبو عنجة أمير أمراء بقعة القلايات " . ثم تحدث له عن أكرامه لابنائه

#### ١١٢ المصدر السابق

١١٣ حمدان أبو عنجة إلى الراس عدار ، ١٥ جمادى الثرى ١٣٠٥ ، مودقة ، ١ / ٣٤ / ١١ / ٣٢

وعوائله وان هذا الكرم قد جعله في غاية "العمونية" ، ثم طلب ارسال ابنه حتى  
 يكون في "غاية الفخر والعمونية من جهنكم حيث اننا لم نرغب من جهاتكم الا ان  
 يكون بيننا غاية المحبة . . . ولا نسمع في كل ما يكون بيننا قول قائل فاسد" <sup>١١٤</sup>  
 لاسك ان نوعا من الحديقة النورية قد نشأ بين القاندين حتى اعتقد حمدان ان الراس  
 عدار مسلم للمزيدية لولا وجود منليك الذي يحول بينه وبين ذلك <sup>١١٥</sup> . هل كان  
 ا. عدار حقا ينفى عقد صلح مع الانصار بعد الهزائم التي نقيها على ايديهم ،  
 ام كان يحاول فقط كسب الوقت لانه في موقف حرجي ضعيف ولان يوحنا ومعه  
 اغلب الجيوش مازال مسغولا مع الايطاليين ؟ لعل راس عدار قد اعجب فعلا بابي  
 عجة وبمقدرته الحربية وبحسن معاملته لابنائهم الذين وقعوا في الاسر ، ولكنه كان  
 ايضا يحاول كسب الوقت وتفادي ان هجم عليه وهو في موقف ضعيف لذلك كان

١١٤ تكلا هيمانوت (راس عدار) الى حمدان ابي عجة ، غاية شعبان ١٣٠٥ ، مديية ،

١٦٢/١٦/٣٤/١

١١٥ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ١٥ ريسان ١٣٠٥ ، مديية ، ١/٢١/١/١٦٠

لين الجانب حتى اعتقد حمدان انه مسلم للمهدية .

وبدأت صلات حمدان بمنليك بنفس الرسالة التي قد بعثها الى راس عدار ،  
 الا ان منليك لم يعصم مع ابي عنجة في معركة حربية بعد ، لانه كان خوال تلك  
 المدة بعيدا عن منطقة الحدود . وبعد انتصار حمدان الاخير قام يوحنا بارسال  
 منليك الى الجهة الغربية بتفويض كامل . فقام منليك من دهرتابور الى قندار ومنها  
 الى ديبا<sup>١١٦</sup> . وقد انزعج حمدان لتلك الاخبار وكانت سببا في تاخير الحملة  
 التي كان ينوي اخراجها ضد عجل . فقام ابو عنجة باجراء الاستعدادات اللازمة  
 فخرج " دقة اعداء الدين والرايات والملاح والجه غانة بالبرازة خارجا عن الديار"<sup>١١٧</sup>  
 فلما بعث بخطاب الى منليك ذكره بما فعل " بمجموع الضلال التي هي مع عدو الله  
 راس عدار " ثم اخبره بانه قد علم من امير الديرة انه " مسلم وابن مسلم ويجب  
 المسلمين واسمك احمد ابشير " . ثم قال لمنليك انه اذا كان حضوره لدهرتابور

١١٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٦ رجب ١٢٠٥ هـ ، مهدي ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٢٣

١١٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ رجب ١٣٠٥ هـ ، مهدي ، ١ / ٢١ / ١ / ١٢٥

حيا في الاسلح ورفقة في الانضمام للانصار فان حمدانا يعمده بان يعمده ليرا على  
 عموم ارض الحبشة ، اما اذا كان مصرا على انكر وعناد الله فان حمدانا ينوعده قائلا  
 " باننا مستعدون لصدك وتدميرك بعون الله وقوته وان لم تأتنا فسنأتيك" <sup>١١٨</sup> .  
 ووصلت اخبار ائيدة الى حمدان بان منليك قد وصل فعلا ووضع يده على كافسة  
 " تعلقات النقر يوحنا ٠٠٠ وحتى بيوته ٠٠٠ ونزل في واحد منها بالفعل ووضع يده  
 على ارض قجام وكافة جنات راس عدار وغيرها من نواحي امدار" وان منليك قد  
 فعل ذلك بعد موت يوحنا <sup>١١٩</sup> . ولكن الخليفة نفى لابي عنجة خبر موت يوحنا  
 ولخبره بان انقصر يستعد لمحاربة الانصار في فصل الصيف وانه قد اوكل الجبهة  
 الايطالية للرأس الولا <sup>١٢٠</sup> .

وفي منتصف ابريل ( اواخر رجب ) تأكد لابي عنجة وصول منليك بجنات دمبيا  
 وان جيشه بمكان يسمى شين قبروه يقع بين دبرتايير ودمبيا . وقد نبه منليك

---

١١٨ حمدان ابو عنجة الى منليك ، ٩ رجب ١٣٠٥ ، مزديّة ، ١ / ٢٦ / ١ / ١٠٦  
 ١١٩ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٨ رجب ١٣٠٥ ، مزديّة ، ١ / ١١ / ١ / ١٢٩  
 ١٢٠ الخليفة الى حمدان ابي عنجة ، ٢٩ رجب ١٣٠٥ ، مزديّة ، ٢ / ٣١ / ٥ / ١٢٤

على جيشه بالانتعداد . استعمال الدقيق في اكلهم نسبة لتناول اريحة ، مما جعل حمدان يستنتج انه ينوى الوصول الى القلايات . وكان ابو عنجة قد سمع بان منليك يبرر فعلا حصول انقلابات واقامة ثلاثة كنائس بها ، وينوى كذلك مهاجمة حمدان على حين غلة <sup>١٢١</sup> . وفي هذا الاثناء ارسل منليك خطابا الى ابي عنجة يستفسره عن امر رسالة استلمها منليك من حمدان وفيها يطلب حمدان من منليك ان يقوم باجسراء الصلح بينه وبين يوحنا ، وبما ان الرسالة ليس بهذا ختم ولا تاريخ فقد شت منليك ان يحتملها ولذلك كتب الى حمدان مستفسرا <sup>١٢٢</sup> . ورد عليه حمدان بخطاب مقبول ملاء بالارشاد والموعظة ، ونفى مسألة طلبه الصلح نفيًا باتًا قائلا له " وبجميع لا نريد منكم صلحا الا بدخولكم الاسلام ورفضكم دين الفرة اعداء الله اللئيم وصعدت الاسنام " . وهدده ونوعده واخبره بانه مستعد بجيشه للحرب . ثم استعجله

١٢١ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ؟ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢١ / ١٢٦

في الغالب ان هذه الرسالة كتبت يوم ٢٦ رجب .

١٢٢ منليك الى حمدان ابي عنجة ، ١ رجب ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٣٤ / ١٢٦



الرد رآخبره بان هذا سيكون لخر خطاب يرسله له <sup>١٢٣</sup> . ويدعى حمدان ان منليك  
 ارسل خطابا الى امير الجبلة في القلايات يطلب منه ان يحصل له على تأكيد من  
 حمدان على الصحف بان حمدانا سيجعل منليك فعلا اميرا على كل بلاد الحبشة .  
 وقد وعد منليك في خطابه بانه اذا عين اميرا فانه سيصلح الانتصار ويجاهد معهم حتى  
 ضد يوحنا نفسه . وكان رد فعل حمدان على الاقتراح " هيهات ان ينسل الصلح  
 سوى الشرب بالعضب والهرود لمناهل النايما " <sup>١٢٤</sup> . ولا شك ان رفض  
 حمدان لطلب منليك - اذا كان ما ادعاه حمدان صحيحا - كان يعتمد فيه على  
 انتصاراته الاخيرة التي حققها فقد كان معتدا بقوته وقادته حتى انه قام باطلاع  
 رسول منليك على كل اسلحته وقادته حتى يقوم بابلغ ذلك لمنليك . كما ارسل  
 لمنليك جبة الانتصار لتكون اساسا لاي صلح ، فلما الدخول في سلك المهدية او  
 الحرب <sup>١٢٥</sup> . وبهذا يكون حمدان قد اغلق اي باب كان يمكن ان يكون منفذا الى

---

١٢٣ حمدان ابو عنجة الى منليك ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٣٥ / ٧ / ١١٥  
 ١٢٤ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٤٠  
 ١٢٥ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٣٨

نوع من الاتفاق ودعى الى الحرب ، ولم يبق بعد ذلك الا الصدام مع منليك •  
ولكن منليك لم يواصل زحفه على القلايات بل كر راجعا من بجارة الى دبرتامبور  
ومنها الى شوا • وكانت اسباب ذلك التحول ان يوحنا قد اشتبك في حرب مع  
الايطاليين ولم يشأ ان يفتح جبهة ثانية مع الانتصار ولذلك ارسل الى منليك يطلب منه  
ان ينسحب من دميها ويعود ادراجه • كما بعث باتنين من قواده ليقوما بجمع  
اكبر كمية من الغلال وان يحفظاها في جبل " بركتان " وذلك استعداد للحرب •  
كما ان اقتراب فصل الخريف سيجد من حركة منليك ولذلك قرر العودة ليستعد لاستئناف  
الحرب بعد فصل الخريف • وكان منليك يشجع للنقادية وهو في طريق عودته انه  
قد ابرم صلحا مع الانتصار • ويرى ابو عنجة ان سبب تلك الدعوة ان منليك كان يريد ان  
يأخذ من النقادية ما يريد من بضائعهم معتمدا على ذلك الصلح الوهمي •  
منليك يسعى لجمع اكبر كمية من الغذاء لجيشه لثنا فصل الخريف • وفي

---

١٢٦ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢٨ شعبان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/٢٩/١/١٢٦

١٢٧ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٣٠٥ ، مهدية ، ١/٢٩/١/١٢٧

منقصف يمنية (اواخر رمضان) تأكد حمدان ان منليك قد جاوز دهرتابور وانه في جهة  
 دهر من متجها الى شواء وبهذا استطاعت جهة القلايات ان ترتاح قليلا ، فالراس  
 عدار قد دزم وهو ساعى الى ابرام صلح مع الانصار ، ومنليك متجه بجيشه الى سوا ،  
 والخريف سيصبح جدارا يحوى الانصار لفترة من الزمن .

وفى تلك الفترة التى توقفت فيها العمليات الحربية حقق الانصار نصرا سياسيا  
 على الحبس . وذلك ان اللين قرد ، ابن الامبراطور السابق شيودور ، ارسل يطلب  
 الانضمام الى الانصار . فقد كان اللين على عداوة شديدة مع يوحنا الذى انتعش  
 منه املاك<sup>١٢٨</sup> . وارسل حمدان يدعوه الى القلايات وبعث له بجبة الانصار ودعاء  
 للاسلام . وفى ٢٠ ابريل ٨٨ (٨ شعبان ١٣٠٥) وصل اللين قرد الى القلايات واسلم  
 وسمى نفسه عبد الرحمن . وكان ابو عنجة يرى ان يعظييه راية ويبعث به الى اهله  
 ليعلن الجهاد ويرفع راية المهدي هناك<sup>١٢٩</sup> . على ان حمدانا عدل عن تلك الفكرة

---

١٢٨ - حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٠٧  
 ١٢٩ - حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ١٩ شعبان ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١ / ٢٩ / ١ / ١٥٣

تلك الفترة وفضل ارسال عبد الرحمن الى امدردمان لمقابلة الخليفة ، وارسله فعلا يوم ٢ مايو ٥٨ (٢٠ شعبان ١٣٠٥) ومعه رهط من الجبيرة . فاكتم الخليفة وفادته ورأى ان يعود عبد الرحمن الى اهله قبل ابتلاء الانهر والوديان ليدعمو للمهدية . وسواء صحب هذه القصة او لم تصح ، وسواء احدث عبد الرحمن فعلا تأثيرا حقيقيا في اهله او لم يحدث ، فان تلك الحادثة تدل على تفهم قادة الانصار لاهمية حرب الدعاية واستغلال كل العوامل الممكنة في الحرب . ويبدو ان عبد الرحمن قد عاد فعلا الى اهله ولكنه لم يستطع ان يحدث اثرا فعالا فلم يمسرد ذكره بعد ذلك ، ولعل الاحداث الكبيرة التي عاشتها المنطقة بعد ذلك ، تسببت ابتلعته في دواستها .

عندما احسن ابو عنجة بان الحبر لن يستطيعوا مهاجمته في ذلك اميقت وارزوه ساء هم قد بعدوا عن جيته ، وان الخريف سيجول دون تحركاتهم كرا ان يقوم " بانتهاز الفرصة في اعداء الدين ايام الخريفية هذه " <sup>١٣٠</sup> ولعل هذه

الفكرة كانت تدور على مغامرة كبيرة ولكنها بلا شك خطوة جريئة لما فيها من مخالفة  
 ومجازة . وقد عبر الخليفة عن موافقته في " حاضرة نبوية " رأى فيها ان الحين " اذا  
 حشروا للحرابة تلون ايديهم مغلولة الى اعناقهم واتنا منصورون عليهم " ١٣١ . وربما  
 كانت تلك " الحصرة " اشارة ايحائية لحمدان ليغزو احبس . وقد اوضح  
 حمدان اهداف حملة الخريف وخطتها في قوله " انها مكيدة اردناها وفرصة لا يبد  
 من انتهائها ولقد عولنا على ان تستكمل خريفنا هذا ببلادهم بشن الغارات عليهم  
 من كل جهة ومثان وتخريب عمران دورهم وفساد مزارعهم وتضعيع الخف والحافر  
 والضعاف المساعى منهم حيث كانت اذ ان هذا هو الوقت الذي فيه مكيدتهم " ١٣٢  
 ثم ينود الى القذبات قبل تمكن الخريف . ورأى ان يكتم خبر الجهة التي سيتوجه  
 اليها عن " الخاصة والعامه " حتى لا تفقد الغزوة عنصر المفاجاة .

تحرك ابو عنجة من القلايات يوم ١٧ يونية ١٣٠٥ هـ ( ٧ شوال ١٣٠٥ ) ومعه احد

١٣١ الخليفة ، ( حاضرة نبوية ) ، ١ شعبان ١٣٠٥ ، مدينية ، صادر رقم ١٢ ، ١٠٠٩

١٣٢ حمدان ابو عنجة الى الخليفة ، ٢١ شوال ١٣٠٥ ، مدينية ، ١ / ٢٦ / ١٠٠٩

عشر الى مئتين رامتون هذا بخلاف الانواع الاخرى وبخلاف الاسلحة البيضاء ،  
 وثلاثمائة صندوق جيفانة اضاف اليها مائة اخرى فيما بعد ، وعدد من المدافع •  
 يسار بطريق علقه وحمل في مساء نفس اليوم الى ككمي ١٣٣ • وفي ٢١ يولية  
 ( ١١ شوال ) وصل نهار عصيرة فوجد انه لا يمنع تحركات الجيوش كلفة • ومن هناك  
 سار على طريق بين علقه وشلقه وهو طريق اتفق اهل الدار انه احسن الطرق لانه  
 " صاف لجميع الينهار والودية " وليس به عوائق كبيرة تمنع المرور ، ومن خلال  
 ذلك الطريق بمن العودة حتى في اشد ايام الخريف • وفي ٢٥ يولية ( ١٥ شوال )  
 وصل الى ارض ديبيا حيث اقام حمدان معسكرا في مكان يسمى تنكل • وقد قابله  
 اهل الجوة والجهات المبارزة بالسلطة والامتنان طالبين الامان ، وقاموا باكرام  
 حمدان وجيشه • كما انضم اليه اغلب الجيرة حتى لم يبق " احد من المسلمين الا  
 واجتمع " به • وكان ابو عجة قد اختار تنكل لان بها فضاء واسع من كل الجهات

١٣٤ وهناك اتمام معسكره من الحجر واحاطه بجزيرة من الشوك .

ولم يجد حمدان انرا للحبش ، فبوحنا مازال مشغولا مع الايطاليين ، ومنليك باق في شوا ، ~~بوصلة~~ ورأس عدار في قجام ، ولذلك لم تثمر تلك الحملة عن معارك كبيرة . اما حمدان فكان كلما سمع بتجمعات للحبش يقوم في اثرها وكان الحبش غالبا ما يدعون له بالصاعة . وسمع حمدان بوجود احد قواد الحبش ويدعى ديبال

١٣٥ مشه في قوة من جيشه في جهة ام سجارة فزحف حمدان نحوه . وسكن دجاج مشه ثاان قد هرب فاقتنفى حمدان اثره دون جدوى . وارسل حملة اخرى بقيادة عبد الله ابراهيم الى احدى الجزر كان قد سمع ان بها كنيسة معدة ليوحنا . فوصل اليها الانصار على اطراف من الخشب وقاموا باحراقها وقتل كل من كان بها . وقام حمدان بارسال حملة اخرى الى مكان دهنشوم ولكن الحملة لم تحقق نجاحا كبيرا .  
١١٦

#### ١٣٤ الطراز المنقوش ، ص ٨٩ - ٩١

١٣٥ دجاج ماشي مشه الى حمدان ابو عتجة ، ١٣٠٥ ٢ ، مهدية ، ١٨٣ / ١٦ / ٣٤ / ١

١٣٦ استجواب مرجان اسماعيل الجهادي بواسطة محمد احمد رحمه ، ١٤ القعدة ١٣٠٥ ،

مهدية ، ١٩ / ١١ / ٤ / ٢

وبعد تلك المحاولات المتكررة قرر ابو عجة ان يعود ادراجه ان لم تكن هناك  
 ضرورة من بقائه ، فوصل القلايات يوم ٧ اغسطس ٨٨ ( ٢١ القعدة ١٣٠٥ ) • وصحب  
 معه الى القلايات ثلاثة من اعيان الحبشة معهم واحد وثمانون من جماعتهم وهم :

قراخرو جماعته : ٣١

نقاس وجماعته : ١١

النزاوندي وجماعته : ٣٦

١٣٢ • وقام بارسالهم جميعا للخليفة حيث اكرمهم املا في استغلالهم في حرب امدغاية •  
 كما ارسل للخليفة خمس الغنائم التي عاد بها •

منذ عودة حمدان وحتى وفاته بعد حوالي نصف عام وهو يحاول تسقط اخبار  
 الحبش عنه يخفف بهم في جهة ما ، خصوصا بعد ان فشلت محاولة الحبش للصلح  
 مع الانصار ، وانتوت هذه الفترة وكلا الطرفين يستعد للحرب • فبعد عودته من  
 غرة لم بجسارة وصلت عدة رسائل من الخليفة مرسله الى رؤساء الجيش : يوحنا



١٣٨  
ومنليك وراس عدار . فسار رسل الخليفة الى شوا لمقايلة منليك واقاموا معه  
نحو من خمسة عشر يوما لم يظفروا برد ففتح من منليك . اما يوحنا فمازال مشغولا  
مع الايطاليين . وعاد رسل الخليفة الى القلايات يحملون اخبارا عن الحبر انهم  
غير مخلصين ليوحنا وانهم بعد موته على استعداد للوقوف في المهدية وطاعها .  
١٣٩  
ولعل اولئك الرسل قد عادوا باخبار مبالغ فيها وربما قابلوا في رحلتهم بعض  
الجهرة الحانفين على يوحنا فاعطوهم فكرة غير دقيقة عن موقف الحبر تجاه ملكهم .  
وفي اوائل سبتمبر ( اواخر الحجة ) وصلت اخبار الى ابي غنجة توكد ان اهل السبي  
الحشة لن يقفوا مع يوحنا في حالة حربه مع الانصار . وعلم كذلك ان يوحنا يعاني  
نقصا كبيرا في المواد الغذائية مما جعله يقدم الى جهة لديها حيث قابلهم  
شيخها عبد الله بركة خاضعا بقصد خديعته . وكان يوحنا ينوي ان يصير حتى  
لجام لما فيها من " النصب في المعدل " .  
١٤٠ . وظلت اخبار الحشة تتواتر

---

١٣٨ الخليفة الى حمدان ابي غنجة ، ٨ محرم ١٣٠٦ ، مهديّة ، ٢/٣١/١/٢١٥  
١٣٩ حمدان ابو غنجة الى الخليفة ، ٢٩ القعدة ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١/٢٩/١/٢٠٢  
١٤٠ حمدان ابو غنجة الى الخليفة ، ٢٩ الحجة ١٣٠٥ ، مهديّة ، ١/٢٩/١/٣١١

علم ابي عجة عن حريق الجبيرة والنفاذية موه كدة ماوصلته من اخبار سابقة • فقد علم حمدان كذلك ان منليك قد " قلع يده وانفرد لوحده " وان راس عدار " تفسر عن اتباعه " وان جميع الدار قد خالفت يوحنا ولذلك أصبح في " اضطلال " من امره خصوصا وانهم مازال متهددا من جهة الايطاليين • كما علم حمدان ان ابناء راس عدار قد تقابلوا مع التقرة - قبيلة يوحنا - وان التقرة قد قتلوا ابناء الراس عدار وان هذا الحادث سيمعق يوحنا كثيرا لان كلفة الامهرة - قبيلة الراس عدار - قد انسلخوا منه ولذلك فهو لا يستطيع ان يعتمد على التقرة وحدهم لانهم ليسوا " بشيء في الحشنة لقلعة عددهم " <sup>١٤١</sup> • وازاء تلك الاخبار المثيرة رأى الخليفة ان يستدعي حمدان الى البقعة لاجراء مشاورات معه حول خطته للحرب القادمة مع الحبش • ووافق حمدان ان يقوم بتلك الزيارة الى امدرمان لان الحبش " هذه الايام ليست لهم حركة اصلا بل حاصلة لهم المشغولية في انفسهم " <sup>١٤٢</sup> وعقد عودته الى القلعات وعند

١٤١ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ١٦ محرم ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢١ / ٢ / ٢٤٤

١٤٢ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣٠٥ ، مهدية ، ١ / ٢٩ / ٢ / ٢٣١

١. احمد على الذي اوله في غيابه قد قام باخرا - كل الرايات خارج المركب -  
 استعدادا للحرب وذلك لانه سمح بعض الاخبار عن تحركات الجيش . وبعد ان  
 تأكد حمدان من عدم صحة تلك الاخبار اعاد للايات الى مكانها . وثابت خطته  
 التي اتفق عليها مع الخليفة ان يهجم على الجيش اذا علم بمحل تجمعهم وانهم  
 " متزعزين " ، اما اذا لم يعرف مكان اجتماعهم فعليه ان يقوم بالهجوم على جبل  
 ابورمة وما حوله من الجهات وذلك " لمساعدة الانصار " واعطائهم فرصة للحصول  
 على غنائم وعلى معاش .  
 ١٤٣

وبعد عودة حمدان مباشرة من امدردان وصلت رسالته من يوحنا في ٢٥ ديسمبر  
 ٨٨ ( ٢١ ربيع آخر ١٣٠٦ ) ، وهي رسالة على جانب من الاهمية . يبدأ يوحنا  
 رسالته بالحديث عن غزو الاتراك للسودان ثم محاولة غزوهم لبلاد النقرة عن صير  
 حصو ، وكف تمكن الجيش من هزيمتهم مرتين . ولعل يوحنا قد قصد من ذكر تلك

---

١٤٣ حمدان ابو عجة ابن الخليفة ، ١٩ ربيع آخر ١٣٠٦ ، مهدية ، ٢٤١ / ٢ / ٢٠ / ١  
 ورد بهذا الخطاب في ١

نعم شقير ، ص ١٠٧٣ - ١٠٧٤

الحقائق ان يقرب بين الحبش والانصار وانهم جميعا قد قاسوا من الاتراك . ثم  
انتقل للحديث عن الحروب التي دارت بين البلدين وكيف انها كانت حروباً  
بين جدوى سوى هلاك المساكين ، ولذلك فهو يرى الافائدة منها ومن استئنائها .  
ويقترح ان تظل كل بلد متمسكة بحدودها دون التعدي على الاخرى . ثم ينتقل  
بيد ذلك للنقطة الاساسية في رسالته فيقول بان العدو الرئيسي له وللانصار هم  
الافرنج ( الالبيين ) ، لانهم اذا هزموا الحبش فحتما سيقومون بالهجوم على الانصار ،  
واذا هزموا الانصار هجموا على الحبش . ولذلك يقترح يوحنا ان يتحد<sup>مع</sup> الانصار  
لحرب الافرنج حتى تصير البلاد في امان " ويتدرد التجار من اهل بلادنا بالمناجر  
الى بلادكم وكذلك تجار بلادكم تتردد الى غدر لاجل المعايين والمكاسب لاهلهم  
ولا هلنا " . ولكن يوهـد يوحنا ضرورة ذلك التحالف يذكر بان الحبش والانصار  
اولاد جد واحد . ويذكر لابي عنجة ان الايطاليين كانوا قد طلبوا منه سابقا ان  
يتعاون معهم لمحاربة الانصار في جهة كسلا لان الانجليز سيهجمون من جهة  
الشمال " . ويقول يوحنا بانه رفض طلب الايطاليين ولهذا ناصبوه العداة . ويختتم  
رسالته بقوله ان الاتراك والايصاليين اعداء له وللانصار ولذلك يرى ضرورة التعاون

بينه وبين الانتصار<sup>١٤٣</sup> .

من الواضح ان يوحنا كان يسعى الى التحالف مع الانتصار لمواجهة الايطاليين الذين كانوا يمثلون الخطر الاكبر . وكان يريد كذلك ان يوه من ظهوره قبل الدخول في حرب مع الايطاليين فسعى ليكسب جانب الانتصار او يضمن حتى وقوفهم على الحياد<sup>١٤٤</sup> . فخطاب يوحنا هذا يعكس سياسة استراتيجية اكثر من فلسفة شاملة نابعة من فهم صحيح بضرورة الوحدة الافريقية ضد التدخل الاوروبي . على ان يوحنا بهذا الخطاب قد وضع بلاشك البذور الاولى لتلك الوحدة ، كما حدد خطورة التدخل الاوروبي وتغولته على استقلال بعض البلدان في افريقيا . ولعل هذا ما رمى اليه الدكتور مكى شهيدة بقوله " وبسط يوحنا بهذا سياسة افريقيا للافريقيين ونادى بحلف الفرقة من الدولتين المستقلتين استقلالا كاملا في افريقيا لعناوأة الفرنجة"<sup>١٤٥</sup> .

١٤٣ ورد هذا الخطاب في : نعيم شقير ، ص ١٠٢ - ١٠٢٤

١٤٤ مكى شهيدة ، عبر القرون ، ص ٣٨٤

١٤٥ المصدر السابق

فماذا كان رد فعل ذلك الخطاب عند حمدان • استهزل حمدان رده الى  
 يميننا بالحديث عن كرامات المودى وانتصاراته • اما فيما يختص بطلب يوحنا  
 لعقد صلح وحلف مع الانتصار فقد كان رد حمدان قاطعا بل كان خال من اي  
 تقييم صحيح للموقف • فقد رد حمدان قائلا " واما طلبك للصلح منا وانست  
 بار على ترك فبيعد بعد المشرقين وديل على ضعف عقلك وفراغ ذهنك  
 فيالك مع سفيه وبالك من جاهل اتريد منا صلحا ومواخاة ولم ندخل في الدين  
 الحز وكتاب الله ناه عن ذلك فان رمت الصلح فقل مخلصا من قلبك اتهد ان  
 لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ••••• والا فانا نقاتلكم ونخرب دياركم  
 ونقيم ••• احفالم ونغنم اموالكم " ١٤٦ • وهذا الخطاب يتمشي مع الفلسفة الاساسية  
 لدعوة المهدية والتي تنادي بالايمان بالمهدية اولا والا الحرب ، وهي الفكرة التي  
 سماها الدكتور مكي سبيكة " الجامعة الاسلامية " وكانت فكرة الجامعة الاسلامية هي  
 الفلسفة التي تحكمت في سياسة الخليفة في الفترة الاولى من حكمه •

وكان رد الفعل الثانى ان قام حمدان باتخاذ الاحتياطات اللازمة والحذر الكافى فاقام على " الديم دايرومايدوروزريبة متفنة لها اربع اقواله بكسل ربيع طريق ورتبنا عليهم الفقرا اللزيم مستديما لاجول ولا ينزل فى ساير الاوقات بحيث لا يدعوا لحداء يخرج الا ومعه امرا منا ولا يدخل ايضا صاحب شبهة لئلا ولا نهارا الا وقد اطلعوا طينا " ١٤٧ . كما قام بترتيب الجيش وعده وتنظيمه فبلغ ( ستة عشر الف وتسعمائة وتسعة وستين مجاهدا قسمهم على اربعة ارباع : ربيع الزاكسى طمل ، وعبد الله ابراهيم ، واحمد على ، وملازمة الجهادية ، هذا بخلاف حملة السيف والرمح . كما اوقف التجارة مع الحبش او ان هذا الاجراء فى رأى حمدان سيجلب للحبشة " الضائقة لشدة احتياجهم للقطن وغيره من اشغال الجهة وقد كان ذلك . " ١٤٨ .

فما هو سبب تلك السياسة للجافة من جانب المهدية والتي لاتمكن اى تفهم

١٤٧ حمدان ابو عجة الى الخليفة ، ٩ جماد اول ١٣٠٦ هـ ، مهدية ، ١ / ٢٩ / ٢ / ٢٥٨

١٤٨ المصدر السابق

لسياسة يوحنا أو أي تجاوب معها • لم يكن سبب ذلك الرغبة أن الانتصار ضد فكرة  
الحلف بقانا إذ إن الخليفة قد قبل تلك الفكرة فيما بعد • إذا فاسبب مرتبط بطروف  
الانتصار وموقفهم في ذلك الوقت بالذات وتقديرهم لموقف الحبر • لقد ثاب لدن  
الانتصار احساسا - ربما مبالغ فيه - بقوتهم وقدرتهم • وقد كان مصدر ذلك  
الاحساس الانتصارات حمدان التي حققها مؤخرا • وكان مصدره ايضا هم الانتصار  
لصالح يوحنا في ذلك الوقت ومواجهته لذيظ الدين من جانب وتعدد مشاكله الداخلية  
• جانب آخر • حتى ان حمدانا اكد للخليفة بأن يوحنا لا يريد الحرب وليس فسي  
موقف يحكمه من ان يحارب<sup>١٤٠</sup> • اذا اتفقا ان هذه الاسباب ان فكرة الجامعة  
الاسلمية كانت هي الفلسفة المتحكمة في سياسة المهدية في ذلك الوقت لوجدنا ان  
رد حمدان العنيف على يوحنا كان له ما يبرره •

اما يوحنا فانه عندما استلم خطاب حمدان رأى ان موقفه اصبح دقيقا وانه



وقد بين قوتين • فقد ان يواجه الانصار اولا ويقوم بطردهم من القلعات وربما صاردهم  
حتى اهدرمان ليو من ظهره • فاستدعى كل امراته اليه واجتمع له نحو مائتين  
مائتين وخمسين الف مقاتل وطي راسهم انهر قواده مثل راس عذار وراس المـولا  
وخيل مريم • ولما سمع حمدان بذلك الخبر اخذ في تحصين القلعات فاحاصها  
بزريرة مربعة متينة في داخلها اقام "متراس" حصين ومن داخله اقام سورا مربعة  
صوله مائة وسبعون مترا ووضع على كل جانب من جوانب السور مدفعا و"غفرا وصبيجيسه  
وحرش" ١٥٠ •

ولكن حمدانا لم يعين لمولاه -عربيه ضد الحين ان توفي يوم ٢٩ غاير ١٨٨٩  
(٢٢ جماد اول ١٢٠٦) واستعدادات الحرب جارية على قدم وساق • ولانت وفاته  
فجأة نتيجة علة في بطنه تناول لها بعض الادوية المحلية من الاعشاب فاودت  
بحياته • وخشى الضيفة ان تحدث وفاة حمدان نوعا من الخلل في بوغاز انقلابات  
دارسل عددا من الرسائل الى الحملاء والملازمين واصدار الدين واعطا لهم وحاشا

اياهم على الجهاد ، كما طلب منهم الوقوف بجانب احمد علو الذي حل محله  
 حمدان مؤقنا واكد عليهم مؤازرته <sup>١٥١</sup> . ولعل ما اوردته الكردفاني عن حمدان يؤكد  
 مكانته كقائد مقتدر من مواد الدولة المهدية . يقول الكردفاني ان ابا عنجة كان  
 محبوبا من جيشه المزيد احسانه الى جنوده وشفقته بهم واشاره لهم في كل شيء  
 بحيث لا يتعدون اشارته ولا يخالفون امره . وكانت له في الصدور هيئة المسترام  
 عند كثير من الانصار <sup>١٥٢</sup> . حقا ان حمدانا كان احد القواد البارعين الذين اخرجتهم  
 الثورة المهدية <sup>١٥٣</sup> . ومات حمدان ولم يكمل ذلك الفصل اليمام من تاريخ المهدية  
 انذ بداهه وبقي على خليفته الزاكي طمل ان يكمل ذلك الدور من بعده .

---

١٥١ بحثا خلفه بعدد من الخطابات ابن القلايات وهي واردة في :  
 مهدية ، ٢ / ٦٤٣١ / ٢٣٤ وما بعدها .

١٥٢ الطراز المنقوش ، ص ٧٣

١٥٣ وقد رثاه محمد المجذوب الطاهر بقصيدة مشهورة قال فيها :  
 حمدان انك ظالما سمت العدى      ذلا وذكرك في المحافل يرفع  
 ما وجهت رايات نمرک وجهه      الا وبالظفر الموكد ترجع  
 فلك الرضا بلقاء ربك ما شاعرا      سيف الجهاد وكل قمر تقسمه  
 وردت هذه الابيات في : نعم شقير ، ص ١٠٧٧ .

## الفصل الرابع

القضارف - القلايات بين الزاكي وعمل واحمد على

١٨٨٩ - ١٨٩٣ ( ١٣٠٦ - ١٣١١ ) هـ

---

تنقلت الادارة في عمالة القضارف - القلايات في الفترة التي اعقبت وفاة

حمدان وحتى ديسمبر ١٨٩٣ ( جمادى الاخر ١٣١١ ) بين الزاكي

طمل واحمد على حتى ليصعب ان ننسب هذه الفترة لوى منهما .

فبعد وفاة حمدان آلت السلطة الى احمد على لفترة قصيرة عين بعدها

الزاكي طمل عاملا على كل المنطقة . وفي ابريل ١٨٩١ ( شعبان ١٣٠٨ )  
وبقى

غادر الزاكي القلايات الى جنوب البلاد / هنا ، حتى نهاية عام ١٨٩٢

( جماد ثاني / رجب ١٣١٠ ) . وفي خلال تلك الفترة اصبح احمد على

وكيلا لعمالة القلايات والمختصر ، في شئونها ثم عاد الزاكي الى القلايات وبقي

بها حتى يوليو ١٨٩٣ ( محرم ١٣١١ ) حيث اعتقل بعدها وقتل . ثم

عاد احمد على عاملا عموميا وبقي حتى مصرعه في اغردات في ديسمبر

١٨٩٣ ( جماد اخر ١٣١١ ) .

وستنمرد في هذا الفصل لدراسة المشاكل الداخلية التي واجهتها

المهدية في تلك المنطقة وهي لا تختلف في منحائها عن جملة المشاكل التي

تعرضت لم' المهدية في السنوات السابقة . اما في السياسة الخارجية فقد شهدت هذه الفترة قمة انتصارات المهدية الحربية ، كما شهدت هذه الفترة كذلك بداية تقلص النشاط الحربي وانكماشه حتى اصبح في نهاية هذه الفترة مجرد مناوشات على الحدود بين البلدين ، بل ان حامية القلايات نفسها تم سحبها الى القزارف . وشهدت هذه الفترة كذلك بداية الطدام مع الايطاليين في اغدرات . وبما ان العلاقة بين المهدية وايطاليا ليست من اختصاص هذه الدراسة فلن نتمركز لها الا في حدود تأثيرها على سير الاحداث في منطقة القزارف - القلايات .

منذ عهد حمدان كان احمد علي ينوب عنه اثناء غيابه في ادرمان ، فاحمد علي ابن عم الخليفة ومن المقربين اليه وهذا ما اعطاه وسعا مميذا عن بقية رؤساء الارباع في المنطقة . وعند وفاة حمدان اتفق بتمه القواد علي تعيين احمد علي خلفا له وعاهدوه علي الطاعة . وقد وجد ذلك التعيين هو في نفس الخليفة . ولذلك كتب الى احمد علي

( ١ ) يرى هولت ان الخليفة كان ينوي اساسا ان يعين احمد علي خلفا لحمدان

Holt, The Modest State, P. 154

ويذهب شفيق الى القول بان حمدان قد عين الزاكي خلفا له ولكن هذا الرأي لم تؤيده الاحداث اللاحقة .

شفيق ، ص ١٠٧٧ - ١٠٧٨

يحثه على حزم امر الجيش والاهتمام بتدريبه " ومزاكرته وشباته وتفقد  
امور الجبخانه والة الحرب " وان يمسك " كافة الجيش كما كان مساكه  
حمدان " . وهذه الوصية تدل على قبول الخليفة لامر ذلك التعيين .

ولكن بعد ان هدأت النفوس من اثر موت حمدان المفاجي<sup>١</sup>  
كتب الزاكي الى الخليفة موضحا الظروف التي احاطت بتعيين احمد على .  
فالزاكي يرى ان اختيار احمد على لم يكن لكفا<sup>٢</sup>ته بل لانهم عند وفاة  
حمدان كانوا في حالة اضطراب فاختاروا احمد على " لاعتصام الجيش  
واتفاق الكلمة وعدم دخول الزعزعه والفشل " . كما ان قواد الجهادية  
في المنطقة رفضوا قيادة احمد على لهم وصاروا يتصرفون دون  
الرجوع اليه " وكل واحد منهم يكتب بمراده للدار ويطلب منها عيش  
وغيرها وكلا منهم حاز له حلال واضروا بالانصار غاية الضرر " بل ان  
اولئك القواد تحزبوا مع الجهادية وطالبوا بعزل احمد على وبعثوا  
برسول الى الخليفة يحمل تلك الرغبة . وكان راي احمد على ان اولئك<sup>٣</sup>  
القواد ساعين لتفريق الكلمة وطالب الخليفة " بتجريدهم من سام الدنيا "

٢ الخليفة الى احمد على ، ٥ جماد اخر ١٣٠٦ هـ ، ١٠ / ٢٧ / ٧ / ٥٩  
٣ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٥ جماد اخر ١٣٠٦ هـ ، مهيده ، ١٠ / ٤ / ١ / ٨  
١

وان ينقلهم الى امدرمان<sup>٤</sup>. وكان على راسهم الزاكي طمل وعبدالله ابراهيم وعيسى دفع الله وابراهيم الدخيلة وامدى احمدون . وكان بقية الجهادية يقفون معهم ويرفضون الانقياد لاحمد على<sup>٥</sup>. وقد بلغ الصراع بين الفريقين حد القطيعة وربما التحزب للقتال . ولمر النور عنقره قد صور الموقف بدقة في قوله " فمن مارايناه من قرايين الاحوال من الرؤس فانه ان لم يحضر سيدنا يعقوب بن السيد محمد او احدا يشابهه ويذاكرهم في الله مقدار جمعيتين او ثلاثة فربما لاتحصل منهم ثمرة او وقع بينهم شغل<sup>٦</sup> .

وعندما بلغ الصراع تلك المرحلة الحادة ادرك الخليفة ان بناء ابن عمه في القيادة اصبح امرا مستحيلا في وجهه المعارضة العنيفة ، فرأى ان لابد من وضع حد لذلك . فقرر ارسال وفد الى القمبات ليطلع على الحالة ويقرر لمن تولد الرئاسة . وتكون الوفد برئاسة احمد علي قاضي الاسلام وعضوية عثمان احمد وابراهيم عالم واحمدى محمود واحمد حمدان وحسن حسين والبخير هارون واحمد الطليعة . وكان ارسال مثل تلك

٤ احمد على الى الخليفة ، ١٦ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديه ١٤ / ٢٧ / ٤١

٥ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٥ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديه ١٠ / ١ / ٤١

٦ النور عنقرة الى الخليفة ، ٨ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديه ١ / ٢٩ / ١٠

الوفود لحل الازمات التي تنشأ في الاقاليم من التقاليد المألوفة في حكم الخليفة . ويبدو ان تلك الوفود كانت تحمل رغبة الخليفة ولم تكن وفودا مستقلة تقرر مآثره مناسبا . وكان هذا الاتجاه واضحا بالنسبة . للوفد الذي ارسل الى القنابات . فقد كتب الخليفة الى احمد على في ١٢ فبراير ١٨٨٩ ( ١١ جماد اخر ١٣٠٦ ) يطلب منه ان يقبل ما يحمله الوفد من قرار بالرضا والانشراح . وفي ١٥ فبراير ( ١٤ جماد اخر ) كتب الخليفة منشورا يعلن فيه تعيين الزاكي عاملا على كافة الجيوش ، ويطلب من احمد على ان يقبل ذلك القرار وان يقتصر على ريعه فقط<sup>٧</sup> . فاذا طعنا ان ذلك الوفد وصل القنابات في ٠ مارس ( ٢٩ جماد اخر ) لادررنا انه كان يحمل اوامر محددة ذهب فقط لاعلانها بشكل فعال ، وان ذلك الوفد قد اتم مهمته في اليوم الثاني لوصوله<sup>٨</sup> . ويبدو ان الوفد قد تعجل في اداء مهمته لانهم لد وصولهم تبين لهم ان الجيش كانوا يقتربون من الحدود وانهم على وشك ان يقرعوا ابواب القنابات<sup>٩</sup> .

٧ الخليفة الى احمد على ، ١١ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديّة ٧١/٢/٢٧/١  
 الخليفة الى احمد على ، ١٤ جماد اخر ١٣٠٦ ، مهديّة ٧٣/٢/٢٧/١  
 ٨ احمد على ( قاضي الاسلام ) وثيقة اعضاء الوفد الى الخليفة ، ١٠ رجب ١٢٠٦ ، مهديّة ٤٦/١٤/٢٧/١

٩ الطراز المنفوس ، ص ١٠٤ - ١٠٥

اما احمد على فقد استنجد بالخليفة يطلب حمايته خوفا من ان يبطش الزاكي بقواد ربهه . ويبدو ان الحليفة رأى ضرورة استدعاء احمد على الى البقعة بخرق تهدأة الجوشم اعادته ثانية . وهكذا انتهت الجولة الاولى من الصراع بين الزاكي واحمد على بتنصيب الزاكي عاملا عموميا على المنطقة .

### مجاعة سنة ١٣٠٦

واول مشكلة داخلية واجهها الزاكي — ورثها من عهد حمدان ابن عنجه — هي مجاعة عام ١٣٠٦ هـ . فقد بدأت تلك المجاعة في عهد حمدان واستمرت الى عهد الزاكي بل وامتدت الى عامين من عهده . فعند الاسابيع الاولى لحكمه لاحظ الزاكي " تضعف المعاش " وان القوات على عهد حمدان كان يجلب " بالطرق المسخنة والتدابير النافعة بما يتبادلها من الاهالى بالحكمة شيئا فشيئا بوسيلة سلف ومساعدة " اما الان فصار معدوما وليس بالمنطقة من " حقوق الله ما يقوم بكفاية عشر الممشار " . وقد اشرت تلك الحالة المعيشية المضنية على الجيش حتى " تزايد به الضرر . . . وعم ذلك الكافة صغيرا وكبيرا مجاهدا وعائلة حتى صاروا ياكلون الجيف ويلتقطون الحبوب من الارض فى الطرق والمزابل



ومحلات الرماد . . . وتفرق الطالب في الجهات في التماس المعاش وبعضهم يلتقطون  
القشوش والاشجار من الاودية مسافة ثلاثة ايام لو اربعة " <sup>١١</sup> ولذلك قرر الزاكي عدم  
ارسال اي سرية الى جهات الحبشة والانصار بذلك الحالة ، وراى ان يرسل جزءا  
منهم الى " الجبال الصعدية " مثل ابورطة عسى ان " تحصل مداركة الجيوش بما  
يحضره من المواشى وهم ايضا يتمتعون " كما خرج الزاكي بنفسه للقرى المجاورة  
للعمل على جمع الطعام لجيشه . بل انه لم يعترض جنوده عندما كانوا يقومون  
بنهب الاهالى واغتصاب ما بأيديهم من غلال " <sup>١٢</sup> ويبدو ان الانصار قد تعادوا نفسى  
عمليات النهب هذه مما اضطر الخليفة للتنبيه على الزاكي بمنعها الوقوف ضدها بحزم .  
على ان المجاعة ظلت في تفاقم وتعاود مستمر حتى ان اردب الذرة بلغ في بعض  
الاحيان مائتى ريال وانخفض الى خمسين ريالا <sup>١٣</sup> .

- ومع بداية فصل الاطراف في منتصف عام ١٨٨٩ (اولخرعام ١٣٠٦) اخذ الانصار في  
التحضير للزراعة وكانت بشائر الخريف تبعث على الامل .  
فقام الزاكي بتوزيع اربعمائة اردب ذرة على الاهالى " على ذمة التواريسب " ،

١١ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٨ شعبان ١٣٠٦ ، مهدية ، ١ / ٤ / ١ / ٢٥

١٢ ابراهيم فوزى ، ص ٢٠١

١٣ المصدر السابق

كما اعطى اهتماما خاصا بقبيلتي الشكرية والضبانية لتشاركا في الزراعة بشكل فعال نسبة لمعرفتهما التامة بها<sup>١٤</sup>. ولكن تفاؤل الزاكي كان مبالغ فيه فلم يأت الخريد بنتائج باهرة كما كان يتوقع. ولذلك ظلت المنطقة " على حالة يرثى لها من الم الجوع... مع كون تلك الجهات كانت ممن يضرب بهم المثل في الزمن السابق في ايجاد الفلال بها ورخص اسعاره<sup>١٥</sup>. فقد بلغ سعر الارذب في موسم الحصاد خمسين ريالا واكثر وزيادة على ذلك كانت كميات الذرة محدودة. ومع ان الاسعار انخفضت لفترة حتى بلغت ثمانية ريال الى انها عادت ثانية الى الارتفاع بل والى انعدام الذرة تماما<sup>١٦</sup>. ولذلك لم يتمكن الزاكي من " جمع شونة ولا شئ... يتأتى منه ازالة ضرورياتهم ( الانصار ) ". وعاد الانصار يبحثون عن قوتهم في " الخلا من العدار والعروق ". بل ان بعضهم اضطر تحت وطأة المجاعة المستمرة ان يهرب من رايته متجها الى الجزيرة. وكانت بعض رايات الجوامعة والبيدية والحمر والجهادية من اول الهاربين<sup>١٧</sup>. ويرى الزاكي ان هروب رايات اولاد العرب سيؤدي الى

١٤ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٧ الحجة ١٣٠٦ ، مهديه ١٤ / ٤ / ١ / ٢٨٤

١٥ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٦ جماد اول ١٣٠٧ ، مهديه ١ / ٤ / ٢ / ١٠٦

١٦ المصدر السابق .

١٧ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٠ رمضان ١٢٠٧ ، مهديه ١ / ٤ / ٢ / ١٥٩

”عذ الجيش ان عليهم “الفرار الكلى” ، وسيعصب احفارهم  
 بعد ذلك اذا “ تمكنوا من الغرب ” . ويقترح على الخليفة ان  
 يسمح له بجلبهم من الجزيرة .<sup>١٨</sup> ويبدو ان سياسة الزاكي لمنع الهروب  
 نحو الجزيرة قد حققت بعض النتائج ان تحولت عملية الهروب نحو  
 الحبشة بحثا عن القوة . ولمع خير ما يوضح سوء الوضع الاقتصادى  
 فى القلايات الحالة التى وجد عليها بيت المال فى منتصف  
 اتم ١٨٩٠ ( اخرج عام ١٣٠٧ ) عند جرده . فقد كانت كالآتى :<sup>١٩</sup>

نقدية	لا شئ
مواشى	لا شئ
رقيق	لا شئ
الشونة	لا شئ
زمام صفيح	٢٨
سيوف حديد	١٠٩
الواح صفيح	٧٠

على ان الزاكي قد قام من جانبه ببعض المحاولات لتحسين  
 الحالة الاقتصادية . من ذلك فتح باب التجارة مع الحبشة لان النقادية

١٨ المصدر السابق

١٩ كشف ، ٢٠ العقد ١٣٠٧ ، مهديه ، ١٠ / ٤ / ٢ / ١٧٧

سجلين معهم الذرة زيادة على " العشور " المتحصلة منهم <sup>٢٠</sup> . وكان الاجراء

الثاني هو الحصول على الفئى اردب ذرة من الخليفة للمساعدة فى وقف الهروب شرقا

وغربا . وهكذا انتهى العام الثانى والمجاعة مستمرة تهدد هير الدولة المهدية .

وجاء العام الثالث والمجاعة مازالت تفرض ظلها القاسى على المنطقة والانصار يعانون

من نقص الذرة ، والزكاى يطلب من الخليفة ويلج فى طلبه ليرسل مايجود به فائض

امدرمان من ذرة . فرأى الخليفة ان يبعث بالزكاى الى الجنوب بجيشه حتى تنقشع

الازمة . وفى ابريل ١٨٩١ (شعبان ١٣٠٨) غادر الزكاى القلايات تاركا احمد على

لمواجه المشكلة .

وجاء احمد على لمواجه نقصا فى الغذاء وانعداما فى الكساء فقرر سياسة جديدة .

فطلب من الخليفة ان يرسل مقدارا وفيرا من العيش والدمور " ليقوم بصرفه للانصار مقابل

رصاص وظروف وشمع " لترسل الى امدرمان لاعادة تصنيعها وتستمر هذه العملية حتى

" انقضا الخريف " وقد حققت تلك السياسة نجاحا ملحوظا . فما ان علم بهذا

٢٠ الزكاى طمل الى الخليفة ، ٢ رجب ١٣٠٧ ، مهدي ، ١٣٣/٢/٤/١

وبرى هولت ان فرض العشور على الواردات كان احد اجراءات النور ابراهيم الجريفوى عندما اصبح امينا لبيت المال وقد طبقت تلك السياسة فى عام ١٨٩١ (١٣٠٨/١٣٠٩) .

Holt, The Mahdist State, pp. 237- 8

الانصار حتى زادت رغبتهم في جمعه ( الرصاص ... الخ ) والبحث  
 عنه في محلات المتاربة .<sup>٢١</sup>

واتخذ احمد على اجراء ا خرابان قام " برفع جميع العمال  
 الذين كانوا منقرين بالمنطقة حتى لا " يماكسوا " الاهالي ويتركوهم ليتفرقوا  
 لعملية الزراعة .<sup>٢٢</sup> كان ذلك الاجراء يتماشى مع سياسة الخليفة الجديدة  
 التي ترمى الى الاستعانة بالزراعة بعد تجربة المجاعة القاسية .<sup>٢٣</sup> ولذلك  
 وافق الخليفة على ذلك الاجراء . وادت تلك السياسة مع جودة الخريف  
 الى نهاية المجاعة الكبرى في النصف الثاني من ١٨٩١ ( نهاية ١٣٠٨  
 وبداية ١٣٠٩ ) . وقد عبر احمد على عن ذلك التحول بقوله " جهتنا  
 صارت في ارغد عيش واتمها نعمة لان جميع الاهالي زرعت ونتاجت  
 مزارعها نتاحا لم سبق لهم مثله ... وما علينا الا ما بقى من شهرنا يبتدوا  
 فر الحصد " .<sup>٢٤</sup>

فماهى اثار تلك المجاعة التي حشمت على كاهل الانصار موسمين  
 متتاليين ؟ اولا لعلها من العوامل التي ادت الى توقف العمليات الحربية

٢١ احمد على الى الخليفة ٢٣٠٧ المقده ١٣٠٧ م هديه ١٥/٢٧/٨٣

٢٢ الخليفة الى احمد على ٢٥٠٨ الحجة ١٣٠٨ م هديه ١٩/٢٧/١١٩

٢٣ *History, The British Society, PP. 177-8*

٢٤ احمد على الى الخليفة ١١٠ صفر ١٣٠٩ م هديه ١٠/٢٨/٢٩

تد الحشة وجاءت سياسة الخليفة الزراعية الجديدة تعبيراً عن ذلك التحول . فتوقف بذلك مصدر هام من مصادر الغنيمة . ثانياً ساعدت على انتشار ظاهرة السلب والنهب والتعدي على الأهالي مما خلق نوعاً من عدم الرضا نحو الانصار وربما نحو الحركة المهدية عامة . ولعل اهتمام الخليفة بأهله التعايشة وربما البقارة عامة قد أظهر للقبائل النيلية ذلك التحيز القبلي . ونتيجة لتلك العوامل فقد ضعفت روح الحماسة لدى عامة الناس ولدى اقسام كبيرة من المجاهدين الذين كانوا يقفون على حدود المهدية يحمونها ويذودون عنها . فكثر ظاهرة الهرب بينهم واخذوا يتسللون الى الجزيرة والى امدرمان نفسها . فهاهو بكر مصطفى يعتقل سبعة وخمسين جهادياً " طوارق متهربين من سرية رباط القلابات " كانوا يجوبون انحاء الجزيرة . وتبين للزاكى ان راية عمر ولد اليار صارت خالية من اثارها " بالكلمة " وكتب احمد على الى الخليفة بعد انتهاء المجاعة " ان جماعة رايتنا من التعب الشديد في السنتين الماضية قد تفرقوا بالجزيرة . والامثلة متعددة يزر بها ادب المهدية . فبالرغم من ان المجاعة قد زالت عفوياً الا ان اثارها ظلت

ملازمة للدولة المهدية بل ان اصداءها مازالت تتجاوب حتى ايامنا  
هذه ويضرب بها المثل على الظروف المعيشية القاسية .

### ادارة منطقة القفار - القلابات .

تغيرت الحدود السياسية لهذه المنطقة تغييرا مستمرا طوان  
عهد المهدية . وكانت تلك التغييرات تتبع تغير العمان الذين اختلفوا  
على المنطقة ، فكلما زادت اهمية العامل لدى الخليفة اتسعت حدود عائلته ،  
فنظام الحكم فردي يعتمد على الولاء الشخصي للخليفة . كما ان  
تلك التغييرات خضعت للوضع الجغرافي لمنطقة القفار - القلابات  
لوقوعها بين الجزيرة وكسلا فكان يقنع منها حيناً الى هذه وحيناً الى  
تلك او يضاف اليها من كليهما . على ان تلك التغييرات خضعت لحد  
كبير للاحتياجات الاقتصادية والحربية . وكان اول تغير حدث في عهد  
الزaki هو فصل جهة بيلة وضمها الى الجزيرة . واعتذر الزaki على ذلك  
التغير وذكر للخليفة حجتين : الاولى ان القفار ودوكة كانتا تمدان  
السرية بالغذاء ، ولكن بعد مجاعة ١٣٠٦ اصابهما القحط واصبح  
الاعتماد الكلي على بيلة اذ حصل فيها " نوع فسحة " ، ثانيا ان جهة

بجلاء من الطرقات الموادية الى الجزيرة وإلى الغرب فاذا انفصلت  
 عن القلابات فسوف يدى ذلك الى " تمادى انصار السرية لسلب  
 طرقهم والتوجه للجهاب الغربية " . وكان الزاكي قد جبا منها  
 خطة هامة للمراقبة تمنع تسرب الانصار والسلاح<sup>٢٦</sup> . اما الخليفة فقد دم  
 بيلة الى الجزيرة لتصبح نقطة مراقبة تمنع تسرب الذرة شرقا . لقد  
 كان الخليفة مهتما بتوفير الغذاء لامدرا من اهتماما فائقا . ولأرضه  
 الزاكي امر بضم جهات بنى شنقول وتوابعها اليه . وبالرغم من ان  
 الزاكي ارسل عبدالرسول عمر الى بنى شنقول عاملا من قبله الا انه  
 لم يمكث سوى بضعة اشهر استدعى بعدها الى القلابات وطلت ببنى  
 شنقول تتبع الزاكي اسما<sup>٢٧</sup> .

وفي مارس ١٨٩٠ ( شعبان ١٣٠٧ ) امر الخليفة بضم كسلا الى

عائلة القصار — القلابات لسبيين . اولا لتعرضهما لهجمات متكررة  
 من الحبي، وثانيا لان في ضمها " تنفيذ " للجيران المتراكم بالقلابات .  
 فارس الزاكي ثلاثة الاف من الجهادية بقيادة النصرى محمد العالم  
 وعبدالله ابراهيم وحسين حبيب الله خلفا لحامد علي . وتم ارسال

٢٠ الزاكي طمل الى الخليفة ، . العقد ١٣٠٧ ، مهدي ١٤ / ٢ / ١٧٣



اولئك الحهادية " شقي في شقي " لان كسلا نفسها كانت تعاني من نقص في المواد الغذائية . وعندما وصلت تلك الرايات الى كسلا وجدوها " خرابنة ومنازلها خلا ولا فيها انصار ولا غيرهم من اهالي البلد ولا العربان ، الا شزيمة يسيرة مع حامد علي " كانوا وجهين اهتمامهم على انفسهم <sup>٢٨</sup> . وادى حضور تلك الرايات من القضايف الى ارتفاع اسعار الذرة حتى بلغ الاردب مائة وعشرين ريالاً وحتى بذلت السعر غير متيسر ، فاستنجد انصرى بالزاكي لعدة بالذرة والجبنانة . فارتس الزاكي خمسة ارباباً من الذرة وخمسة رايات من البديرية واتبعها باخرى من الدوامنة والفدييات <sup>٢٩</sup> . وهكذا اصبحت كسلا عبثاً على القلايات بل وعلى الحزيرة مما ادر الى فصلها وحملها بوغازاً منفصلاً تحت قيادة محمد عثمان ابي قرحانة وذلك بعد اقل من عام من ذهابها الى الزاكي .

وفصلت كركوك من القلايات وضمت الى امدران لفترة عامين وذلك

لتفرر اهلها من تبعثهم للقلايات " وعندما طلب احمد علي اعادتها

٢٨ : انصرى محمد العالم واخرين الى الزاكي عام ٢١٤ شوال ١٣٠٧ هـ ، مهدية ،

٣٧٩/٢/١١٧/٢

٢٩ : عبدالله ابراهيم الى الخليفة ، ٢٤ الحجة : ١٣٠٠ هـ ، مهدية ، ١١/٢/١١٧/٢٠

ثانية، لقربها منه ولخصوصيتها ووفرة انتاحها ، رفة الخليفة قول

٣٠

حججه . على انه اعادها ثانية في نوفمبر ١٨٠٢ ( جماد اول ١٢١٠ )

الى الزاكي ، ويبدو ان الخليفة قد اتخذ ذلك الاجراء لتأمين موقف

ام درمان من ناحية الذرة ، وعندما اطمان الى الموقف اعادها الى

الزاكي ثانية .

ويعد عودة الزاكي من جنوب البلاد راى ان يجعل من ابي حراز مركزا

له بدلا من القضارف او القلابات . ولعل الزاكي كان يرمى الى السيطرة

على الجزيرة . ولكن الخليفة رفض ذلك الاتجاه لان القضارف مكان واسع

وحصب وكثير الخيرات . وهى قريبة من القلابات وكسلا ومنها يستطيع الزاكي

ملاحظة البوغازين . والقضارف فى رايه ايضا " مطرفة " واقامة الجيش بالاطراف

" احزم وارهب للاعداء وارلى واحق بمراعاة المصلحة الدينية " ، كما ان

اشراف الزاكي على القضارف من ابي حراز سيؤدى الى " كثرة التشنجات "

لبعده عنها . <sup>٣١</sup> فعاد الزاكي بكل جيشه الى القضارف ومنها الى القلابات

حيث طلب منه الخليفة ذلك . ولكن الزاكي ران ان بقاءه بالقلابات غير

١ . الخليفة الى احمد على ، ٢٤ الحجة ١٢٠٦ ، مهدي ١٨٠٦ / ١ / ٢٧

٢ . الخليفة الى الزاكي طمل ٢٨ ربيع اخر ١٢١٠ مهدي ١٨٠٦ / ١ / ٢٧



وفي عهد الزاكي تم اخضاع قبيلتي الشكرية والضبابية  
 اخضاعا تاما ، اوقر ان هاتين القبيلتين قد قبلتا حكم الخليفة واظهرتا  
 تبولا له بعد ان تبين لرعماهما ان مقاومة ذلك النظام لم يات  
 الا بالخراب والتشتت . بل ان تلك المقاومة قد جرت على افراد  
 القبيلتين عنتا في الحياة وضيقا بها . اما الشكرية فقد تفرقوا في  
 انحاء المنطقة بعضها في القضارف وبعضا في كسلا وثالثا في رفاعة .  
 اما الشكرية في كسلا فقد لاقوا ضيقا في المعاش لنقص الذرة في تلك  
 المنطقة . فهاهو علي عوض الكريم ابوسن يكتب الى الخليفة راجيا منه  
 ان يسمح له بارسال كميات محدودة من الذرة الى اهله في كسلا بعد ان  
 مات بعضهم جوعا<sup>٣٤</sup> . لقد تحول ميزان القوة في المنطقة . فالشكرية الذين  
 كانوا في عزة ومنعة من امرهم وكانوا في خير وفي راحة تحولوا الى مجموعات  
 تغرب في تيه الحياة باحثة عن قوت يومها بينما صار ارضهم ومزارعهم  
 مأوى للجيوش التي تعسكر في ذلك المكان ترفع راية المهدبة عاليا  
 لنواجه بها " اعداء الله " . وهاهو محمد احمد ابوسن يكتب للخليفة عن  
 احوال بعض ابناء ابي سن ودم عبدالله وعساره ومحمد : الب لهم الاقامة

٣٤ علي عوض الكريم ابوسن الى الخليفة ، ربيع ثاني ١٣٠٧ هـ ، يهديه ٢٠ / ١٩ / ١٢٢ / ١٢٢

حيث يمكنهم ان يستأنفوا حياتهم كما كانوا من قبل<sup>٣٥</sup> . وما ان انتصف

عام ١٨٩١ ( نهاية عام ١٣٠٨ ) حتى اخذت مجموعات الشكرية التي

هجرت ارضها الى الحبشة - على امر العودة ظافرة على انقاض

المهدية - اخذت تعود الى اوطانها طائعة بعد ان منسبها الخليفة الامان

الكافي<sup>٣٦</sup> . وبعث الشكرية الى الخليفة برسالة عبروا فيها عن رضائهم

١٧

الكامل وامتنانهم بل وطالبوا بتخصيص ربع خام بهم ليرفسوا راية الجهاد .

لقد نجحت سياسة الخليفة الجديدة التي كانت ترمى الى ترغيب القبائل

النافرة من العودة واستغفارها تحت ظل نظامه للمشاركة في تدعيم

سلطته وتثبيتها .

ولم يكن موقف الضبائية يختلف عن الشكرية . فقد رأى الخليفة ان

يعيد محمود عيسى زايد الى ارضه بعد ان اقتنع الخليفة بعد طول

بقائه معه في ادمرمان بانه لن يكون بعد ذلك عنصرا مناوئا له . ورأى

الخليفة في عودة ولد زايد عايساعد على استقرار الحياة الاقتصادية

والاجتماعية لالضبائية وعلى جمع شتاتهم بعد ان " نار حسن التربة " .

٣٥ محمد احمد ابوسن الى الخليفة ٢٢ جماد اخر ١٣٠٧ ، مهديه ٢ / ٢١ / ١٨٨ / ١٨٨

٣٦ عبدالله عود الكريم ابوسن الى الخليفة غاية العقد ١٣٠٨ مهديه ،

٢ / ٢١ / ١١ / ٣٤٤

٣٧ الشكرية الى الخليفة ، ١ جماد اخر ١٣٠٦ مهديه ، ٢ / ٢١ / ٥ / ١٠١

رلدى وصول ولد زايد الى القصارف ( ابريل ١٨٩٠ / شوال ١٣٠٧ )

قام الزاكي بعده بالبذور الكافية للزراعة ، كما عين مندوبين للسفر الى مختلف الجهات التى يتواجد بها الهبانية لدعوتهم للعودة الى ديارهم " ويشترهم بحصول الراحة " ، كما سمح لولد زايد بان يعمل له ختما خاصا به .<sup>٣٨</sup> وقام ولد زايد بالتصدي لمهمته الجديدة مؤمنا

بالنظام الحديد وسطوته فسعى لجمع شتات اهله وعمران ديارهم

وزراعة اراضيهم ، وارسل " للشساتين " منهم بديار الحبشة احد اعيان قبيلته ويدعى الضو ولد رانق ليرد غريتهم . واستنطاع ولد رانق ان ينجح فى مهمته وان يعيد منهم جمعا كبيرا . وارسل الزاكي حملتين

الى جهتي غورة وغبنة لتشتيت بعض تجمعات الهبانية وقد ساعدت تلك<sup>٣٩</sup>

الحملات فى اعادة بعض فلولهم . وظهر ولد زايد حماسا مبالغا للمهدية

حتى انه طلب ان يسير فى احدى الحملات مجاهدا ، ولكن الزاكي اثر

بقائه ليم مهمته فى التعمير واقتنع الخليفة تماما بأوبة ولد زايد الى

حظيرة المهدية ان نجده يوصى به احمد على خيرا ويطلب مساعدته

والاخذ " بخاطره " .

---

٣٨ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٠ العقدة ١٣٠٧ هـ ١٤ / ٤ / ٢ / ١٧٢

٣٩ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٩ رمضان ١٣٠٨ هـ ١٤ / ٤ / ٢ / ٢٥٥

وهكذا شهدت الفترة الاولى من عهد الزاكي ومن عهد احمد على استقرارا في المنطقة تمثل في خضوع قبيلتي الشكرية والخيانية خضوعا كاملا . كما ان مجاعة سنة ١٣٠٦ جعلت سياسة المهدية تتجه الى تشوير الزراعة عن طريق استقرار القبائل في مناطقها وتأمينها بعد ان تبين للحكام ان قبائل الغرب لا تحسن نوع هذا العمل ولذلك تركت لتباشر عطية الغزو . ويمكننا ان نقول ان سياسة الخليفة في هذه الفترة كانت تهدف الى استمالة القبائل المحلية لاعطائها الفرصة لتستقر وتساهم في عطية الزراعة بشكل فعال .

ولا بد ان نستعرض طبيعة الجيش الذي كان يعسكر في القلايات لانه من اكبر الجيوش في دولة المهدية . لم يختلف ذلك الجيش في تكوينه عن جيوش المهدية الاخرى التي تباشر في البوغازات المختلفة فكلها تتكون من : - اولاً العرب وهم في الغالب حملة الاسلحة البيضاء ، ومن جهادية وهم الجنود المحترفون حملة الاسلحة النارية . وكان دور اولاد العرب في المرحلة الاولى للثورة المهدية دورا اساسيا . ولكن بتطور الثورة واحتكاكها بانظمة حرية معقدة احتل الجهادية الدور الرئيسي في الحروب . وفي منطقة القلايات كان هذا الاتجاه اكثر

وضوحا . ولعد الجهادية قد تحولوا الى نوع من المحترفين او الانكشاريه  
كالتي عرفتها الامبراطورية العثمانية . فكان الجهادية هم يد المهدية  
الغاربة واولاد العرب حملة فكرتها وروحها .

وبما ان القلايات اصبحت اكبر معسكر حربي في المهدية على الحدود،  
فان تحليل قوة ذلك الجيش تصبح امرا ضروريا . فعندما قام الزاكي  
طمل بجرد الجيش في مارس ١٨٨٩ ( رجب ١٣٠٦ ) فكان مجموعة تسعة  
وخمسين الفا وثلاثين جنديا منهم خمسة عشر الفا وتسعمائة وخمسة وتسعون  
جهاديا وثلاثة واربعون الفا وخمسة وثلاثون من اولاد العرب . وكان  
تسعة الاف وسبعمائة وخمسة من الجهادية باسلحة نارية . اما اولاد العرب  
فكان منهم ستة الاف واربعة وسبعون باسلحة نارية ( اى السبع ) .  
يلح جملة الفرسان من الشقيين الدومأتين وعشرة . ويكون مجموع الاسلحة  
النارية في كل الجيش خمسة عشر الف وسبعمائة وتسعة وسبعون واكثر من  
نصفهم من الجهادية وبالرغم من ان الجهادية اقلية في الجيش الا ان  
عليهم الاعتماد الاول في اى صدام بل كانوا في واجهة ذلك الصدام .  
وعانى ذلك الجيش من الحروب المستمرة من المعاجاة حتى انه بعد مضي  
عام اصبح تعدادة خمسة وعشرين الفا مجاهدا ، وفي العام الذي يليه بلغ



سبعة آلاف وواحد وسبعين ، وعندما غادر الزاكي القلابات الى الجنوب ترك بها الفين وستائة وستة واربعين مجاهدا فد. ٤٠

وشهد الجيش بالقلابات تحولا هاما وهو ان اولاد السرب وبعض الجهادية اخذوا يتسربون الى الجزيرة اما هروبا من المجاعة او عزوفا من الجهاد وقنوطا ، حتى اصبحت الجزيرة - على حد تعبير الزاكي - " محشوة من انصار السرية " ، واستمرت هذه الظاهرة حتى اصبحت جهات القضارف ودوكة خالية من اولاد السرب. ٤١ وادت تلك الهجرة الى فقدان عنصر اولاد العرب في الجيش حتى صار " كله جهادية " واصبح هذا التحول في تركيب الجيش ماثرا قويا للسلطة الحاكمة ، اذ ان اختلاط الجيوش من اولاد السرب والجهادية هو الاتجاه المساعد ، والهدف منه احداث توازن داخل الوحدات المقاتلة . فالجهادية لم تكن تشق كثيرا في الجهادية لانهم غير " مأمونين ... بدون خليط من اولاد السرب . ٤٢ فوجود اولاد السرب مع الجهادية " فيه نوع من الاطمئنان " لان الجهادية يتصفون بعدم " استقامة احوالهم ... ولولا احوالهم

٤٠ الزاكي طمل الى الخليفة ٢١٠ رجب ١٣٠٦ هـ ، ١ / ٤ / ١٢٧٠

٤١ الزاكي طمل الى الخليفة ١٢٠ جماد اول ١٣١٠ هـ ، ١ / ٤ / ١٣٨٨

٤٢ الزاكي طمل الى الخليفة ٢٠ شعبان ١٣٠٨ هـ ، ١ / ٤ / ٢٤٣

مقدّمهم بأن يفعلوا منكرا لفعلوه " . بل انهم اذا عين لهم اسير

من اولاد العرب فانهم لن يمثلوا له من " خالصر نيتهم " .

رفر منتصف عام ١٨٩٣ ( اواخر عام ١٣١٠ ) رأى الزاكي

ان يجرى تسديلا في الجيش لان الارباع صار بعضها اقلية من

الجهادية والبحر الاخر اولاد العرب ، وقد يبدو من ظاهر الامر ان

الزاكي يريد ان يجعل توازنا داخل الارباع فحسب الا انه كان

يهدف كذلك الى تركيز الجهادية في ريع عبدالله ابراهيم يا اولاد العرب

في ريع احمد علي فنقل الى احمد علي خمسة عشر راية من اولاد العرب

من ريع عبدالله ابراهيم<sup>٤٤</sup> . وهذا يوضح انه بالرغم من التشكك في

الجهادية فهم مازلوا القوة الضاربة في جيون المهدية وهم الذين

يرجعون الى كفة في ان صراع حول السلطة .

ولا بد ان من الاحداث الهامة التي عرفتتها تلك المنطقة بناء

حصن القلابات . ولعل ذلك الحصن من المظاهر المعمارية النادرة

٤٣ احمد علي الى الخليفة ٢٤ رمضان ١٣٠٨ هـ ، ١٥ / ٢٧ / ١٠٥٠ / ٧٠

٤٤ الزاكي طملى الى الخليفة ٧ العقدة ١٣١٠ هـ ، ١٠ / ٤ / ٤٠٦ / ٤٥٦

التي عرفتها المهدية . ففي فبراير ١٨٩٠ ( جماد ثاني ١٣٠٧ )  
 امر الخليفة بتشييد سور من الحجارة حول القلابات حتى اذا خرج  
 الجيش الى الحرب تكون العائلات والموءن في امان . فاستشار  
 الزاكي بعض الانصار ممن لهم دراية بالبناء وعلى راسهم اسماعيل  
 حسن المهندس . وتم الاتفاق على بناء السور حول القلابات القديمة  
 قبل ان تتسع بعد اقامة معسكر الجيش حولها . ويتكون السور من  
 جزئين داخلي واخر خارجي عرضه مائتان واربعون مترا ونصف وسعكه  
 مترا ووضع في السور الخارجى بندقيتين بين كل متر والثاني . وبني  
 السور على ثلاثة درجات بحيث يكون الجنود الذين في الدرجة السفلى  
 جلوسا وفي الدرجة الوسطى على ركبتيهما وفي الدرجة العليا وقوفا .  
 وبذا يصبح في كل صف اربعائة وثمانون بندقية فاذا اضفنا العدد  
 من الصفوف الثلاثة ثم الجهات الاربعة لاصبى ذلك اسور في هبة  
 حصن \* . واقامت كل بندقية على " مزغر " حتى بدى ذلك السور كان  
 شبكة من اسلحة . واقيم مكان للاستكشاف فوق بوابة الاستحكام . وشيدت

اربعة طوابق على اركانها . ووصف اسماعيل المهندس ذلك البناء بأنه قوي الصنع و" لا يكون له سبق من قبل على صنعته . . . . . وعندما يصير قذف نيران السلاح ( منه ) . . . فان شاء الله لا يضر امامه احد من الاعداء ويرتبك . . . ولا يوجد به فسح حتى تصله الاعداء من شدة التحام نيرانه . . . وان الاعداء ان كثروا او قلوا لا يجدوا لهم حيلة لدخوله ولا التمكن من ادنى تأثير فيه . " ٤٦

اما السرر الداخلي فالغرض منه حماية العوائل ومخزن الجيخانة والسوق ومكان امير الجيش . ونبه الخليفة المهندس لتوفير المياه اللازمة . وقد وضعت لها الضمانات الكافية فهي محيطة بالسور من كل الجهات " تحت مرما الرصاص " . كما تم حفر بئر داخل السور عمقها ثمانية قامات . وفي منتصف عام ١٨٩٠ ( اخر ١٣٠٧ ) تم بناء الاحوار كلها وفادو اسماعيل المهندس القلايات . لا شك ان ذلك السور كان عملا هندسيا رائعا بالنسبة لظروف البلاد في ذلك الحين . وهو من الاثار المعمارية القليلة التي خلفتها المهدي بسجلات كاملة . ويعتبر بناء ذلك السور نقطة تحول في السياسة الخارجية لدولة المهديسة

---

٤٦ اسماعيل حسن المهندس الى الخليفة ، ٩ رمضان ١٣٠٧ ، سهدية

٣٥٨/٩/٢٠/٢

٤٧ انظر خريطة السور ملحق .

وفي علاقتها بالحيشة ان تحولت القلايات الى نقطة للدفاع فقط.

### سياسة المهديّة مع الحيشة في عهد الزاكي طعل

عندما توفي ابو عنجة ترك استعدادات الحرب مع الحيشة قائمة على قدم وساق حيث اكمل الانصار تحصين مواقعهم . اما يوحنا فقد خرج بجيش ضخم قاصدا القلايات . في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب تولى الزاكي قيادة الجيش .

ظل الانصار يتتبعون تحركات الجيش عن طريق جواسيسهم او عن طريق النقادية . فعلم الزاكي ان يوحنا خرج بجيشه مطلقا في اواخر جماد ثاني ( الى جهة ديبيا على نهر عطبرة ) وانه سيصل القلايات اما في اواخر جماد ثاني " او مطلع " رجب " وفي ديبيا اجتمع مع قواده وسار بجيشه الى جهة تنكل وكان يدعو قومه للاجتماع به فانضم اليه " ما لا يدخل تحت حصر " .<sup>٤٨</sup> واعلن يوحنا لجيشه ان هدفه هو الوصول الى امدرمان .<sup>٤٩</sup> وفي اول مارس ( ٢٨ جماد ثاني ) وصل بجيشه

٤٨ احمد علي الى الخليفة، ١٨ جماد آخر ١٣٠٦، مهديّة ١٤/٢٧/١٤٤٠  
٤٩ كان يوحنا حسب رواية الكردفاني - ينوي ان يجعل من القلايات مركز يستطيع منه الوصول الى امدرمان وان يجعل من القلايات كذلك مركزا للتبشير المسيحي راجع : الطراز المنفوس ص ١١٠

الى بحر قنطرة حيث ان الاسمار يشاهدون نيران معسكره . ومن  
هناك ارسل جيشه امامه مسافة ثلثة ايام حتى وصل بهم عطبرة .  
وفي ٦ مارس ( ٤ رجب ) حظ رحله على منهل ماء على بعد ساعة  
من القلابات " بحيث تسمع اصوات نفاثيره " وقسم يوحنا جيشه على ستة محلات  
وفي كل جهة وضع عددا وانبا من الاسلحة والجنود فوضع حملة الاسلحة  
النارية في المقدمة يليهم حملة السيوف والدروع ووضع الخيالة على الجانبين .  
اما خطة الزاكي فكانت البقاء خلف تحصينات القلابات وعدم الخروج لملاقاة  
الحش لان اغلبهم " ذروا خيل وربما خرجنا نحن بالكسيلة ومن ميكدتهم  
ارسلوا الخيالة لحرق الديم " كما ان الزاكي لم يكن على يقين من الجهة  
التي سيهجم منها الحش وعلم اخيرا انهم سيهجموا من جهة نهر عطبرة  
وان هجومهم سيكون اما بالثلثاء او الخميس كما هي " عادتهم النحسية " .  
لذلك خرج الزاكي بجيشه خارج القلابات واقام حوله زريبة .

٥٠ الزاكي طمل الى الخليفة ، نايه رجب ١٣٠٦ ، مهدية ، ١ / ٤ / ١٨٨١  
يقسم سلاطين جهس يوحنا الى قسمين على اساس قبيلي . . . اما القسم  
الاول فيتكون من قبيلة التقرى ومن جهس منليك ، وهذا القسم برئاسة الولا  
واما القسم الثاني يتكون من قبيلة الامهرة بقيادة راس برميراس .

cp.cit, Slatin / P.439

٥١ الزاكي طمل الى الخليفة ، رجب ١٣٠٦ ، مهدية ، ١ / ٤ / ١٨٨١

بدأت المعركة صباح السبت ٨ مارس ١٨٨٩ ( ٦ رجب

١٣٠٦ ) بهجوم الجيش على القلعات وحاطوا بالانصار من كل  
الجهات بخيول واسلحة " في شىء لا يكار يوصف " وجعلوا معسكرهم  
" كحلقة الخاتم " فسد غبارهم الافق واختفت الشمس تماما . ثم بدأ

الجيش بالضرب من الاسلحة النارية من الجهات الاربعة دون ان  
يرد عليهم الانصار . وما ان " ملوا افواه السلاح " حتى ابتدروهم  
الانصار بالضرب . وفي اثناء المعركة تمكن الجيش من اختراق صفوف  
الانصار من جهة احمد على " لاتساعها وضعف الزبينة فيها وعدم  
الكفاية فيها من الانصار " . والتحم الجيشان وصار الضرب بكل انواع  
الاسلحة وتمكن الجيش من احراز نصر مبكر على الانصار ، بالرغم من  
المساعدة التي رجدوها من فرن الله رجب الذى اتى بنجدة من  
التومات . وعندما تبين ليوحنا ان قبيلة الامهر اظهرت شجاعة فائقة  
فى القتال وانهم هم الذين اخترقوا صفوف الانصار بينما قبيلته من  
التقرى كانت ضعيفة الاراء ، قام بنفسه ليتقدم الصفوف الامامية  
ليستحث قومه على القتال . فتقدم يوحنا محمولا على كرسي وحوله  
مجموعة من اتباعه . وعندما لاحظ الانصار الملابس الامبراطورية الزاهية  
والحشد الملتف وجهوا نيرانهم الى جهته ، ولملهم كانوا يجهلون ان ذلك

هو الاميراطور . فاخترقت احدى رصاصات الانصار زراع يوحنا  
ودخلت صدره وجرحته جرحا مميتا . وفي تلك الساعة احس يوحنا  
بدنو اجله فاستدعى ابنه امراس منقشا واوصاه بالتراجع الى بلاده .  
فحمل الجيش امبراطورهم على صندوق وانسحبوا من المعركة بعد  
خمس ساعات من القتال . لقد احدثت تلك الرصاصة اثرا بالغا  
في تغيير مجرى الحرب ، فبعد ان كان الجيش على مقربة من  
النصر اخذوا يتراجعون يلحقون جرحهم الامبراطور القاتل . فجمع  
الانصار اشتاتهم وخرجوا في اليوم الثاني يقتفون اثر الجيش . فوجدوا  
في الطريق جثثهم تملأ الوديان وخيولهم ومواشيهم تهيم بلا هدف .  
لقد انفرط النظام في جيش الحس من عطية الانسحاب غير المنظمة  
فاستغل الانصار تلك الفوضى الى ابعد مدى . ففي ١١ مارس  
( ٩ رجب ) لحق الزاكي بفلول الجيش على نهر عطبرة فهاجم  
زريبتهم ودارت معركة ثانية استمرت لست ساعات استطاع فيها الانصار  
ان يحققوا نصرا كبيرا وان يخلصوا من الحس " كافة من اسروه من  
المسلمين وطقنا زيادة على ذلك ما بيدهم من العوائل والاولاد " .  
ثم قام الزاكي بقطع راس يوحنا وعدد من قواده وهم راس المولا  
وراس دحاج وهيلامريم وراس <sup>وارسلهم</sup> الى الخليفة حيث علقت في سوق



وكان دور عبدالله ابراهيم وحمد بن حبيب الله وعبدالرسول

عمر - حسب رواية الزاكي - هو الدور الرئيسي في المعركة ،  
خصوصا عبدالله ابراهيم " لانه كان في اشد الحراية " ولذلك كان  
اكثر اشهداء من ربه . ولذلك طلب الزاكي من الخليفة ان يسمح  
له بتعيين عبدالله وكيلا عموميا للمركز لينوب عنه اثناء غيابه . ٥٣

وكان الزاكي يرمى من وراء ذلك الاطراء اظهار احمد على معظم  
الضوء ، لابعاده كلية من الوكالة على المركز .

وحدثت اثناء المعركة بعض الظواهر السببية التي كان لها

بعض الاثر في ترجيح كفة الجيش في بداية الحرب . اولها موقف

التكارير في القلايات . والتكارير في رأى الزاكي غير مخلصين في

ايمانهم المهدية " وايضا نهم مذبح بين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

٥٢ جاء وصف معركة القلايات هذه في عدد من المصادر هي : -

أ / مهدي ١٣ / ١ / ٤ / ١٠

ب / مهدي ١٧٧١ / ٤ / ١٠ ج / مهدي ٨٨ / ١ / ٤ / ١٠

ولعل تكرار هذه المراجع يرجع الى ان الخليفة طبع خطاب الزاكي  
الاصلي في مطبعة الحجر ووزعه على مختلف الجهات .

د / الطراز المنقوش ، ص ١٠٦ - ١٢٣

هـ / شقير ، ص ١٠٧٧ - ١٠٨٣

و / sin, pp. 439-440

٥٣ الزاكي عمل الى الخليفة ، ١٠ رجب ١٣٠٦ مهدي ١٣ / ١ / ٤ / ١٠

لا يميزون بالاسلام الا من حيث النطق بالشهادتين " . ويعتقد الزاكي انهم قاموا بحرق معسكر الانصار اثناء المعركة معا خلق جوا من الهلع وساعد الجهنم على اختراق صفوف الانصار ، بل ان التكاير هم الذين ساعدوهم على دخول معسكر الانصار من جهة احمد علي وهم الذين كانوا يعدون الحبر باخبار جيو . المهدية . ٥٤

فما مدى صحة هذه الرواية وماهى دلالتها ؟ فى هذه الرواية جانب كبير من الصحة لان تاريخ التكاير فى القلعات كان دائما يعكس رفضهم النظام الجديد وارتباطهم بالحبر وذلك على امل اعاده صالحهم التجارية التى ضعفت او توقفت تماما بعد نشوب الثورة المهدية . وبالرغم من ان التكاير مسلمون الا انهم اشروا الوقوف بجانب الحبر مسلمين بذلك ارتباطهم التجارية على كثر اعتبار اخر ولعل التكاير كانوا على يقين من انتصار الحبر فى معركة القلعات لكبر الجبر الذى قادوه الى هناك . وتعكس هذه الرواية كذلك بعض جوانب الضعف التى اكتتفت روى المهدية فى تلك المنطقة . وليس اقل على ظاهرة الضعف هذه من تكرار هروب الجهادية اثناء المعركة . فقد قام

---

٥٤ الزاكي طعل اسى الليفة ، ١٤ رجب ١٣٠٦ هـ ، ١٤ / ١ / ١٠ هـ

بعض الجهادية من رعى احمد على وعبد الله ابراهيم بالهروب مما كان له اثارا عكسية على الجنود .<sup>٥٥</sup>

وبعد انتهاء المعركة قام الزاكي بحصر الشهداء والجرحى وجمع الغنائم فبلغ عدد الشهداء الفين وسبعمائة وستين والجرحى الفا وتسعمائة واربعة وسبعين ولعل هذه الارقام غير دقيقة لانه من المألوف ان يكون عدد الجرحى في المعارك اكثر من القتلى . ويبدو ان العدد اكبر من ذلك ولكن الزاكي راي ان يخفى الارقام الحقيقية حتى لا يبدو النصر الذي حققه بأنه كان نصرا فاليا . والشئ المؤكد من مجرى المعركة ان خسائر الانصار كانت بالغة الا ان خسائر الحبش كانت اكثر منهم خصوصا بعد المعركة الثانية على نهر عطبرة .

اما الغنائم فامرها كان مخيبا للامال اما لان الحبش لم يحضروا معهم من ممتلكاتهم ما يستحق الذكر او لان الزاكي طمع في الاحتفاظ باغلبها لنفسه . ولعل هذه الحادثة كانت بداية لتسرب الشك الى نفس الخليفة نحو نوايا الزاكي . فقد كتب الزاكي للخليفة يخبره بان الحبش لم يكن معهم من الغنائم ما يستحق ارسال الخمس منه خصوصا الرقيق والخيول لانهم احضروا معهم " رقيق الخدمة فقط وجميعه

مستقيح لايحير ارساله لصوب السيادة\* اما رقيقهم الجيد فقد تركوه بجهاب دمبيا . وقد طلب عبدالله وركنى ، شيخ دمبيا ، ارسال نجدة اليه ليسلمها مالمديه من غنائم الحبر قبل ان يستائر بها راس عدار . فارس له الزاكي عشرة الاف من الجهادية . ويردو  
 ٥٦  
 ان تلك الحملة قد عادت ببعض الفوائد فارسل الزاكي الخمس من البفال الى الخليفة وباع باقى العنينة التى لاستحق ارسال واحتفظ بثمنها لدى امين بيد المال .<sup>٥٧</sup> على ان ماورده الزاكي من شح فى الفنية لايتفق مع ماورده الكردفانى من وفرتها حتى بلغ سعر الجارية بالقلابات ثلاثة ريال والحميلة عشرة ريال والحصار بقرشين ، ولايتفق حتى مع الروايات السماعية من ان امدران امتلات بنساء الحبش وغنيمتهم .<sup>٥٨</sup>

وكان من انتصار الزاكي فى القلايات ان عمت الحبشة سنوات من الفوضى والاضطراب لم يفت على الانتصار ادراكها .<sup>٥٩</sup>

- 
- ٥٦ الزاكي طعل الى الخليفة ، ٣ شعبان ١٢٠٦ هـ ، مهدية ، ١٠ / ٤ / ١١ / ٢٧  
 ٥٧ وكان من ضمن الفنية مستلكات يوحنا الشخصية من حلى ذهبية وملابس واثاث وحوالى ١١٨٦ بندقية و ١٣٨ من النساء  
 ٥٨ لعن نساء الحبش اللائى احضرن الى امدران واتخذن كجوارى كن فى اعداد كبيرة وانهن قد احدثن بعض الاثار الحضارية بما نقله من عتاد الحبش وملبسهم وقاداتهم  
 ٥٩ يرى هولت ان انتصار الزاكي على الحبشة كان له اثار وخيمة =

لا على الحبشة وحدها بل وعلى دولة المهدية كذلك . فبعد ان قتل الامبراطور يوحنا انزاحت قبضته القوية عن الحكم ودخلت الحبشة في فترة صراع داخلي عنيف مكن ايطاليا من احتلال ارتريا عام ١٨٩٠ وبهذا أصبحت دولة المهدية تواجه دولة اوروبية حديثة بدلا عن دولة الحبشة . ويذهب سيوبولد الى

راى ستيب من هذا

Halt, The Mahdist State, P. 155

op.cit,

Theobald, /pp. 155-6

ولعل الكاتبان قد حملا معركة القلايات ابعادا اكبر ما هي عليه . فتطورت الاحداث في الحبشة وفي السودان في هذه الفترة كان يخضع في المكان الاول للتنافس الاستعماري الذي شهدته القارة الافريقية في السنوات الاخيرة من القرن الماضي اكثر مما يخضع للاحداث الطارئة مثل معركة القلايات . على ان معركة القلايات لم تكن بدون نتائج ولنن نتائجها لم تكن بذلك العمق . وقد تعرض س.ر. وسميرنوف في كتابه " عبيان المندى في السودان " لدور الذي لعبه الاستعمار في

احداث هذه المنطقة وستعرض لهذه الآراء ومناقشتها في الفصل الاخير.

مقد وصف الزاكي الحبيب بانهم في " اشد الهرج والمرج والزلزلة  
والهول ولقد صاروا يقتلون بعضهم بعضا " واستنتج ان " يبيع الدار  
بسد هذا توهم بالمهدية " .<sup>٦٠</sup> ولذلك اقترح على الخليفة ان يكتب

الى بعض قادة الحبشة مثل راس عدار ومنليك وغيرهما " لانهم اذا  
اكرموا بمذاكره من لدن جنابكم يحضروا بالطاعة مهرولين لاسيما ان  
تلوح لهما بان لبهم الملك في الحبة على حكم المهدية " .<sup>٦١</sup> فاستجاب

الخليفة لطلب الزاكي فكتب الى منليك ورأس عدار وبعض قواد  
الحبشة الآخرين . وجاء في مخاطبته لمنليك اشارة الى مكاتباته السابقة  
له ثم ذكره بالمصير الذي لقي يوحنا ومن معه . على ان الخليفة صفح  
عن منليك وما بدر منه في الماضي وطلب اليه الدخول في " ملّة الاسلام  
والانتظام في سلك اتباع المهدي عليه السلام والاذعان لحكمنا " .<sup>٦٢</sup>

ويبدو ان الخليفة والزاكي وبقية قواد المهدية قد بالفوا في  
اهمية انتصارهم الحربي على يوحنا لانهم كانوا يجهلون في حقيقة  
الصراعات الداخلية التي كان يدور رحاها داخل الحبشة ، وطرح قواد

٦٠ الزاكي طعن الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٣٠٦ هـ ، ١٤ / ٤ / ١٠٥١

٦١ الزاكي طعن الى الخليفة ، ١٥ رجب ١١٠٦ هـ ، ١٤ / ١ / ٢٦

٦٢ الزاكي طعن الى الخليفة ، ١٣٠٦ ( بقية التاريخ غير مذكورة ) ، هـ ، مهدي ،

الحبشة البارزين في الاستيلاء على السلطة بعد مقتل الامبراطور .  
ولذلك فان مصير تلك الخطابات لم يختلف عن مصير الخطابات  
السابقة التي بعثها المهدي والخليفة . انها لم تفعل اكثر من  
تاكيد اتجاهات المهدي الحازمة في الولا لها . لذلك فانتصار  
الخليفة على الحبشة لم يخفف تلك الامبراطورية ولكنه انهي الصراع  
الدموي الحاد الذي تحول بعد ذلك الى غزوات على الحدود بين  
البلدين . فلك الخطابات ، اذا ، لم تثمر عن اي نتائج بل كانت  
استمرارا للصراع بين الدولتين الافريقيتين .

ولكن على الرغم من استمرار الصراع فان دولة المهدي لم تتابع  
انتصارها على الحبش بالتوغل داخل اراضيهم ولم تفتنم النواحي  
التي اجتاحتها . ان سياسة الخليفة فيما يختص بالتوسع داخل الحبشة  
كانت محدودة وتتلخص في ان الحبشة بلاد واسعة وغزوها بالغ الصعوبة  
ولذلك راء ان يكون اهتمام الزاكي منصبا في " اظهار سطوة المهدي " .  
" وبانتهاز الفرصة " من الحبش ومباغتتهم في حالة غفلتهم ، وان تكون  
تلك المباغتة في الاماكن القريبة مثل دسبا واكد عليه الا يتوجه في  
قلة ولا في ضعف لان " قهر الاعداء مطلوب " ، <sup>فاذا</sup> <sub>٦٣</sub> اضفنا الى هذا الاتجاه

٦١ الزاكي طعن الى الخليفة ، ١٨ شعبان ١٣٠٦ هـ / ١ / ٤ / ١٩٢٣

ادراك الخليفة لاحوال الحبشة الجغرافية خصوصا مرتفعاتها  
الداخلية لاتضح لنا انه لم يكن يفكر في غزو الحبشة والاستيلاء عليها  
بل كان يسعى في الحصول على موافقة معليك او اى قائد اخر  
من قواد الحبشة للتبعية للمهدية ثم يوليه على ارضه  
اميرا من قبله ، وهذا يتماشى مع سياسة المهدي والخليفة في  
اشغال الثروة في المناطق المختلفة وربما كان الخليفة كالمهدي ينظر  
شعلا نحو مصر ولعله كان في ذلك الاثناء ينتظر مصير حملة النجومي  
التي بدأ التفكير في ارسالها شمالا في يناير وخرجت من يوليو  
من نفس العام . اذا فالفترة التي اعقت انتصار الزاكي شهدت سيادة  
هذه الاتجاهات في السياسة الخارجية ، وشهدت عددا من الحملات  
الخاطفة على المناطق القريبة .

بعد واقعة القلايات احس الزاكي بالاطمئنان من جهة الحبر

" وما في هذه لجهتهم من حساب " ، فرأى ان يقوم بحملات على  
الجبال المجاورة بغرض " ازالة ضرر الانتصار " ان تلك الجبال  
بها " معار واصناف المواشى " . وهكذا تحول الجهاد الى حملات<sup>٦٤</sup>



خاطفة بغرر توفير الغذاء وربما كان الهدف أيضا اخضاع المناطق  
المجاورة تماما وهي في حالة فوضى من جراء المعركة الاخيرة . وكانت  
اول تلك الحملات بقيادة عمر محمد القنيخ وابراهيم الدميعة الى جبل  
غوره . وتمكنت تلك الحملة من ضرب الحبس واستاعهم من قلول الحملة  
والتكاير وتوغل داخل الاراضي الحبشية وعادت بغنائم وافرة من  
رقير وابقار وحبوب<sup>٦٥</sup> . وكانت الحملة الثانية بقيادة فرج الله رجب وبصحبته  
اربعة الالف مجاهد الى جهات "اوسا" و"الجانتوله" وديم "حكومة"  
( وهو عبد ولد زايد ) وجبل ورغي بل وصلت حتى غبته وعادت الى القلايات  
بصحبها سبعمائة وسبعة وخمسون الجبرته من الذين امنوا بالمهدية  
ويعميتهم الف وثلاثمائة وخمسة عشر من عوائلهم<sup>٦٦</sup> . وارسل الزاكي الحملة  
الثالثة بقيادة عبدالله ابراهيم وحمد بن حبيب الله على راس اربعة الالف  
ومائتين من المقاتلين الى جهات غبته للمرة الثانية وذلك لان اغلب سكانها  
من الجبرته "المسلمين وداخليين تحت الطاعة" وكان من اهداف تلك  
الحملة ايضا القضاء على عجيل الحراني اذ هو محاصر في تلك المنطقة  
بمياه الامطار وامتلاء الاودية . وكذلك من اهدافها اغتنام الفرصة في  
الحبس وهم في حالة من "الزلزله . . . والقلة" ويمكنها كذلك ان تساعد

٦٥ الزاكي طعن الى الخليفة ، ١٤ شعبان ١٣٠٦ هـ ١٤ / ١ / ٤ / ١

٦٦ الزاكي طعن الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٣٠٦ هـ ١٥ / ١ / ٤ / ١

على فاء الخائفة المعيشية في القلايات إذ بلغ اردب الذر

ستين ريالاً ، وجهة غبته هذه " بها اغلب مدار معاني اعداء الله  
الحبشة لكثرة الصيوش فيها " <sup>٦٧</sup> . وسارت تلك الحملة حتى جبهة  
" والية " بالقرب من قندر حيث مكثت حتى اكتوبر ١٨٨٩ ( صفر

١٣٠٧ ) . واخر تلك الحملات كانت الى " الجبال الصعيدية "

بقيادة عبدالرسول عمر . وهكذا وزع الزاكي اغلب جيشه بين عبدالله  
ابراهيم وعبدالرسول عمر وبقي هو بالقلايات من عدد قليل وحل بذلك  
ازمة القرب التي كانت تعانر منها القلايات حلاً مؤقتاً .

وراء الزاكي ان يقوم في ذلك الاثناء وحتى يستطيع ان يجعل

نتائج جيشه لحرب جديدة — ان يقوم بمخاطبة الحبش " بما يلزم من

التهديد والوعد " بفرض بث الخوف في نفوسهم على يحدث اثر

في نفوسهم فهذا اجده من بقاءه في القلايات و " قطع مخابراتنا عنهم "

ويبدو ان تهديدات الزاكي قد احدثت بعض الاثر إذ بعث راس

عذار يئله نجله ان الزاكي واعد بان يقوم " بلوازم الانتصار من المعاد "

ونال لما لحنقه من خيم شديد اثر تفريق اغلب قواده من حوله

٦٧ ابراهيم طحل الى الخليفة ، ١٤ الحقة ١٣٠٦ هـ ١٤ / ١ / ١٣

وانضمامهم الى منليك . واكد الزاكي بانه اصلي بمعزل عن الحبر  
ولذلك يريد ان يستعين بالانصار والا سيحصد نفسه باحد الحبار .  
وذكر رارعدار كذلك ان منليك في بلاده شوا وانه " مدعي النفسية "  
وانه يتحين قدوم الانصار اليه ليقض عليهم . ولذا الزاكي لم ياخذ كل  
ما جاء به رارعدار فالحبر في رايه " لا امان منهم " ويعتقد ان عدار  
مع منليك وما قاله ليس الا خدعة انه ما زال يحمل هبة لانصار منذ  
انتصارهم عليه علم شهد حمدان .  
٦٨

وعند ا حل خريف عام ١٨٩٠ ( ١٣٠٧ ) انقطعت اخبار الحبر  
١٠ النذر اليسير الذي كان يتسرب عن طريق النقابية . ومن تلك الاخبار  
علم الزاكي بالصرح بين فيلتر التقرى والامهرة وكيف استطاع منليك ان  
يسعد اتفاقا مع التقرى ثم قام باخضاع الامهرة والقضاء على احد زعمائهم  
ويدعي نقاش . وكان نقاش هذا قد جمع حوله عددا من الامهرة واعلمين  
ولاءه للمهدية . وعلم الزاكي كذلك ان منليك صارت له " اليد على الجميع "  
وانه استطاع اخضاع الحبشة لتفوزه . ولذلك يرى الزاكي ضرورة القضاء على  
الذي يرسله منليك الى جهات القلايات لانه " لو حصل ذلك ولزم

٦٩

سار ردهم فيكون مودى لغرورهم . " ويؤكد الزاكي ضرورة السرب

في ذلك منطلقا لان الحبس اهل مكر وخداع " ويعيد منهم الدخول في

"السلام " مالم يبروا شديدا عذاب يحل بعدو الله منليك . ٧٠

اما الخليفة فلم يوافق الزاكي تماما ويرى تمشيا مع سياسة السابقة -

عدم الحرب مع منليك مالم تتوفر " الكفاة لضرب الاعداء " ولعل الخليفة

قد اكتفى بانتصاره الاخير على الحبس ولا يريد ان يقحم حيشه في

حرب جديدة مجهولة المصير في مرتفعات الحبشة الشريفة عليهم .

واخذ حماس الزاكي للحرب يفتر بعد ذلك وزاد من فتوره انشغال

الحبر بالصراع مع الايطاليين وتحولهم عن جهته وعندما جاء الخريف علم

الزاكي من احد الجبهة ان الحبس ليسوا راغبين في حرب الشتاء الا بعد

انقضاء موسم الامطار . وما ان انتصف عام ١٨٩٠ ( مطلع عام ١٣٠٠ )

حتى كان الزاكي قد استنفذ طاقاته الحربية في المناقعة واستنز

امكانيات المناطق القريبة منه ولذلك رحل عن القلايات الى "الصعيد .

فاعالى النيل . وخلفه احمد على وكلا على المركز .

٦٩ الزاكي طمل الى الخليفة، ٤ شوال ١٣٠٧، مهادية ١٤/٤/١٠٤١

٧٠ الزاكي طمل الى الخليفة، ٨ رجب ١٣٠٧، مهادية ١٥/٤/١٣٧

## احمد على في القلايات .

لم تختلف سياسة احمد على عن الزاكي في فترة العامين اللذين تولى فيهما قيادة المنطقة . فاستمر في ارسال بعض الحملات الصغيرة الى المناطق المجاورة وظل يتربص اخبار الجير وتحركاتهم . ولعل الحروب المستمرة التي خاضتها الحبيشة داخليا وخارجيا ادت الى تدهور الحالة الاقتصادية الى درجة ان " نزل القحط بساحتهم واهلك ضعفاءهم واغلبهم مانوا جوعا وقد حضروا ( الى القلايات ) ... هاربين من الجوع " <sup>٧١</sup> . وعندما حل خريف عام ١٢٩١ ( نهاية عام ١٣٠٨ ) تقلصت المناوشات الحربية بين البلدين . ولكن الانصار ظلموا يمانون من نقص في العلب فقرر احمد على " ضرب البازة والحبيشة بجهة غبنة لاجل كسوة الاصحاب لان اغلبهم " مستويين بالشمال والجلود ... وجهتنا هذه بردها شديد " <sup>٧٢</sup> فكون حملة من ستمائة وخمسين جهاديا بقيادة عبدالله حامد ابوقلج مكثت نصف شهر بالحبيشة هاجمت فيه تسع قرى وعادت ببعض الفنائم منها خمسة وسبعون اسيرا وتمنائة وتسعة وعشرين ريالا . <sup>٧٣</sup>

٧١ احمد على الى الخليفة، ٤ رجب ١٣٠٨ هـ، ٢٧/١٥/٦٥

٧٢ احمد على الى الخليفة، ١ محرم ١٣٠٩ هـ، ١/٤/٨

٧٣ القرى التي هاجمتها الحملة هي : شقيل مرافعة ، شندى ، المحار ، مسقن ، نقارة ، خور كلبيت ، حمرا ، والهيج .

احمد على الى الخليفة، ٣ جمادى آخر ١٣٠٩ هـ، ٢٨/١/٤٣

وفي فبراير ١٨٩٢ ( رجب ١٢٠٩ ) علم احمد على ان برمراس  
 بيتو وهو " من رؤساء الحيشة المعروفين وهو الرئيس بلا مشاركا  
 بالحدود ... لغاية قنذر وام بجساره " ، قد نزل بجيشه من حصنه  
 الذي يتحصن فيه على جبل شاهق وكان نزوله بخرض جمع الذرة .  
 فرأى احمد على ان يقوم بمهاجمته دون ان ينتظر موافقة الخليفة  
 خوفا من ان يعود برمراس الى حصنه قبل وصول تلك الموافقة  
 فقام احمد على على راس حملة قوامها الف وستمئة وواحد وعشرين  
 من الجهادية ولكنه وجد ان برمراس قد عاد الى حصنه قبل ثلاثة  
 ايام . فما كان من احمد على الا ان قام بقتل واسر " جميع من  
 وجدناه بداره واحرقنا مساكنهم وغيوشهم ... ولقد احرقنا كنايسهم  
 المشهورة وعددها سبعة " . <sup>فتقدم</sup> برمراس طالبا الصلح والامان ، الا ان  
 احمد على يرى انه " مادام على هذا الدين فلا امان له " . رعات  
 الحملة الى القنذات بالفنائم فبلغ الخمس اربعمائة واثنين وسبعين  
 ريالا كما ارسلت اثنتي عشرة جارية صغيرة الى الخليفة .<sup>٢٤</sup> وفي  
 بريل ( مطلع رمضان ) علم احمد على ان جيشا من التقرى بقيادة  
 راس حقور ودجاج برهي ودجاج تقرى ودجاج دسته قد قدم الى

'ولغاية' وقتل زعيمها . فرأى ان يقوم اليهم دون ان ينتظر  
اذنا من الخليفة ، فسار على رأس ألف وثلاثمائة وخمسين مجاهدا .  
وقضى يومه الاول يتجول فى الاراضى الحبشية فى قتل واسر ونهب .  
وعندما علم احمد على بتجمع الجيش سار اليهم ودارت معركة بين  
الفرقتين . وعند بدايه المعركة اكتشف الانصار ان الجيخانسة  
التي معهم تالفة ان هن مجموع دستين صرفت لكرا جهادا . وحدث  
خمس مصادات فقط صالحة . فتحولت المعركة الى ضرب بالاياد  
والاسلحة البيضاء تمكن بعدها الانصار من هزيمة الجيش وقتل  
ثلاثة من قاداتهم ارسلت رؤوسهم الى الخليفة وبلغت خسائر الانصار  
ثمانية واربعين جريحا وثلاثة وعشرين قتيلا . وبلغت خسر الفنائم  
خمسمائة ريال<sup>٧٥</sup> . ولعل تلك الحملات الاخيرة قد احدثت بعض  
الاشرف فى المنطقة اذا خذت بعض مجموعات من التكاير تغد الى  
القبائل والتومات .<sup>٧٦</sup>

ويبدو من تتبع تلك الحملات انها كسابقاتها كانت بلاهدف محدد  
سوى الحصول على القوات والمليد . فلم تكن حملات منظمة بغرض  
احتلال الحبشة او جزء منها . والانتصارات التي حققها الانصار

٧٥ احمد على الى الخليفة ١٦ شعبان ١٣٠٩ هـ مصرية ١٤/٢٨/١٦٦٦

٧٦ احمد على الى الخليفة ١٦ العقدة ١٣٠٩ هـ مصرية ١٤/٢٨/١٦٦٦

كانت ترجح إلى الضعف الذي طرأ على الحبشة ولأن تلك  
الحمايات كانت تعتمد على عنصر المباغته لذلك كانت تهتم قبل  
الحصول على إذن من الخليفة . وهذه من الظواهر النادرة في  
المهدية لأن موافقة الخليفة كانت ضرورية لكل الأمور ، ولكن لصلة  
أحمد على به وإمكانته فقد سمح لنفسه بتلك الدرجة من حرية  
التصرف . ولعل تلك المباغيات التي وصف بها أحمد على انتصاراته  
كان الغرر منها أن يبدو في مكانة مثل الزاكي طمل . وقد انتقد  
الخليفة طريقة أحمد على في تسجيل انتصاراته الحربية قائلاً أن  
مثل غزوتكم هذه التي حصل الظفر فيها . . . لا تدخلوا فيه ( الرسالة )  
أمر الخمس . . . بل يكن بالنصرة فقط ودعار العدو لأجل يتلى  
على الأصحاب بالمسجد .<sup>٧٧</sup>

#### عودة الزاكي طمل إلى القضاة - القلايات

وفي مطلع عام ١٨٩٣ ( رجب ١٣١٠ ) عاد الزاكي إلى القلايات .  
وشهدت الأشهر الباقية من عهد الزاكي تقلد النشاط الحربي وتزايد

---

٧٧ الخليفة إلى أحمد على ، ١٧ شعبان ١٣٠٦ هـ ١٠ / ٢٧ / ٩ / ١٦٦



رغبة الجيش في احلال السلم . ولم تكن تلك الرغبة من جانب  
 الجيش الا لضعفهم الداخلي وتهديد الابطاليين لهم . فعند  
 وصول الزاكي وجد مندوبا من عظيم شلقا \* مرید الصلي ... والامان  
 لدارهم ... وفتح الطريق للنقادية \* كما وجد رسالة من الراس  
 اشما ، وحسب تقدير الزاكي فانها كتبت بايعاز من منليك . وتعتبر  
 الرسالة عن رغبة في الامان والاتفاق . وعلم الزاكي ان بعض قادة الحبر  
 راغب حتى في دفع الجزية للانصار . فبعث الزاكي برسالة الى منليك  
 يوافق فيها على عقد الصلح بشرط دفع " القبرا " <sup>٧٨</sup> وبعض عهد الزاكي  
 دون ان تثمر تلك المحاولات عن شيء محدد . ونلاحظ ان دولة المهدية  
 في هذه الفترة اصبحت متحفظة في حروباتها ضد الحبشة . وليس خاف  
 الخليفة الى الزاكي في مارس ١٨٩٣ ( رمضان ١٣١٠ ) يوضح هذا الاتجاه .  
 يقول الخليفة في وصيته " ان تلك الجهة ... هي عظم فائز امرها ...  
 وينبغي ان تستغفهم عن تشو به عن المنازل منزل منزل والمياه منهل  
 منهل وتوضح لنا ذلك ايضا كاكافيا وان المياه المذكورة هل هي سرف او  
 ابار . ونستطيع ان نقول ان نهاية فترة الزاكي شهدت نهاية الحروب

٧٨ الزاكي الى الخليفة ٢٠ رجب ١٣١٠ هـ ١٤ / ٤ / ١٨٦٤

٧٩ الخليفة الى الزاكي طم ٨ رمضان ١٣١٠ هـ ١٠ / ٢٧ / ١٨٧٠

و الحبشة حتى ان مركز الجيش نقل من القلايات الى

القضارف . وقد لخص الزاكي تلك النهاية في قوله " ان الحبش

المجاورين بالقرب ادعوا للصلح واوردوا القبرا وما دام ان راحة الانصار

الانصار بالقضارف ونحن بالقرب منهم فما عليهم الا اعطانا الحوادث

اول باول وحتى ما راينا اهمية تقويتها ( القلايات ) فانا بالقرب " ٤٠

فانتقل الزاكي الى القضارف وترك بالقلايات حامية من خمسمائة جهادي .

ولعل من ابرز معالم العلاقة بين دولة المهدي والحبشة

تلك العلاقة التجارية التي كانت تنقسم عن طريق النقادية . وبالرغم من

ان الفترة الاولى من عهد الزاكي قد شهدت ركودا في الحركة التجارية

بل توقفا تاما قبيل معركة القلايات وبعدها ، الا ان الاشهر التالية

شهدت انتعاشا في الحركة التجارية ، ففي منتصف عام ١٨٨٩ ( نهاية

عام ١٢٠٦ ) تسلم الزاكي رسالة من احد قادة الحبشة لعلها تحديدا

لسياسة الحبشة التجارية مع الانصار . يقول الراس زاوده في رسالته

" انتم بالقلايات ونحن بالحبشة وقصدنا ان نبقي حالة واحدة . . . اما

المساكين التجار المسافرين بين بلدنا وبلدكم اعطوهم الامان فهم

٨١

مساكين والمولر سبحانه وتعالى امر بالبيع والشرا وهم يعمروا الاسواق .

وطلب بعض زعماء المكثاة من الزاكي ان يعطيهم الامان لانهم يخافون من

٨٢

المجبيين . هنا زعماء منهم باننا نرسلهم صوب السابة بالبقعة " ويبدو

ان التجار الحبين قد احسوا بيعهم الاطمئنان ان اخذوا يتوافدون على

القلابات " بما لديهم من الحبوب . . . ولقد حصل بسبب ذلك التنفيس

على الاصحاب . . . ولما وجدوا ( النقادية ) عدم من يعارضهم في بيعهم

٨٣

نساء حول حضورهم بعد ذلك بما ينتفع به .

وحدد الزاكي اسعار السلع حتى لا يطمع النقادية في الانصار .

" فجرباب " الذرة الذي به كيلتين ثمنه ريالين وقرعة العسل الكبيرة سعة نصف

قطار بثلاثة ريال والصغيرة بريالين والغنمة بريالين او ثلاثة . وحتى ذه

الاسعار فانها تنخفض عند نهاية السوق . ولكن ذلك الانتعاش لم يستمر

٨٤

ان شهدت الاشهر التالية حضور النقادية باعداد اقل . وانزعج الخليفة

لنك الصاهرة ورأى انها قد تؤثر على الحالة الاقتصادية في المنطقة .

٨١ ران زاوده الى الزاكي طمل ، ١٨٨٩ ( اواخر ١٣٠٦ ) مهديّة ، ١٩٧ / ١٦ / ٢٤ / ١

٨٢ الزاكي طمل الى الخليفة ، ١٠ شوال ١٣٠٦ مهديّة ، ١٣٨ / ١ / ٤ / ١

٨٣ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٨ ربيع اول ١٣٠٧ مهديّة ، ٩٠ / ٢ / ٤ / ١

٨٤ الزاكي طمل الى الخليفة ، ٢٥ رجب ١٣٠٧ مهديّة ، ١٤٩ / ٢ / ٤ / ١

والقى باللائمة على الزاكي وانتقد سياسته قاعلا " ان النقابية انما  
اعجام فان كنتم وليتم امرهم للناسات مدربين اهل ميز من اولاد العرب  
لاجل ان يباشروا اخذ المشور منهم ولا يتعدوا عليهم في حقوقهم فما  
كانوا ينقطعون ولكن بالنظر لعدم تولية انسان مميز لهم حصل مد  
اليده عليهم وانقطعوا " ويوصى الخليفة باستخدام اشخاص من اولاد  
العرب " اما دين وميز وعقل وعفة " ليتحصلوا عشور النقابية حتى يستأنفوا  
نشاطهم التجاري ويساعدوا بذلك في ازالة " المضايقة الحاصلة من  
الغلا " <sup>٨٥</sup> كان هذا هو تعليل الخليفة لانخفاض عدد النقابية .  
ولكن الزاكي رفض ذلك التعليل ورد بانه هو الذي يباشر امرهم ولم  
يملكه لاحد اخر ، بل انه يعمر دائما على ترغيبهم في الاسلام بكسوة  
رؤسائهم وبذر العطاء لهم والاشراف على راحتهم للبيع " اشغالهم ..  
ومنى المعتدين عليهم وحفظ حقوقهم . " فانقطاع النقابية لا يعود الى سياسته  
في القاذبات لانها سياسة سليمة بل يعود الى اسباب داخلية خاصة

---

٨٥ الخليفة الى الزاكي أمل ، بدون تاريخ مهدية ، ١٤ / ٢٧ / ٢٧ / ٤ / ١٣٠٧  
وجدت ان تاريخ هذه الوثيقة وهو ٢٤ رمضان ١٣٠٧ وذلك من وثيقة  
اخرى هي : مهدية ، ٢ / ٤ / ٢٧ / ٢ / ١٣٠٧ في ٧ شوال ١٣٠٧

بأحوال الحبشة وحروباتها • ومن تلك الأسباب انه طلب من النقاديسه ان يحسروا معكم ثيمات وافرة من الذرة ، ولكن الحبشة نفسها كانت تعاني من نقدها ولذلك منعهم الحبيب من الحصول عليها ، ولم يستطيع النقادية احضار كميات وافرة منها وحتى ما كانوا يحضرونه فانهم يأتون به " بالخفية " • اما السلم الاخرى مثل البن والسبيرة والحصل فانها موجودة ولكنها سلح لاتستملك بكميات كبيرة ولذلك

• حضور النقادية الى القلايات •

من هذا الحوار تتضح بعض معالم السياسة القنارية لدولة المهدية

• المهدية ترغب في انهاء التجارة وترى ضرورة تشجيع النقادية وتوفير الجو القابل لهم لممارسة نشاطهم<sup>٨٦</sup> • وكانت دولة المهدية ترغب كذلك في البقاء المستقر

تتمثل المواد الغذائية مثل الذرة • ويمكننا ان نخلص الى القول بان النشاط التجاري ظل مستورا يقل حيناً ويزداد حيناً اخر غير متأثر بالعداء بين الدولتين •

٨٦ يرى هولت ان هناك عوامل اخرى لم تشجع التجارة منها سبب الانصراف مع التجارة ومخاضهم لهم منها انعدام العملة الصالحة الدج • ويرى كذلك ان الخليفة كان يشك في انصار ويعتبرهم جواسيسا مرسلين من الاعداء ولذلك لم يكن يشجع التجارة مع مصر • وفي رأي ان هذا الشك كان قائما على مصر اساسا ولم يشأ انقلابات الا في حدود ضيقة • راجع :

## الصراع بين الزاكي طمل وأحمد على

---

الصراع بين الزاكي وأحمد على ليس كالصراعات السابقة التي شهدتها هذه المنطقة بين الأمراء والقواد الآخرين بل هو صراع حاد وعنيف ، وصورة لاستبداد الحكام عندما ضعفت روح المهدية في نفوسهم ، ومثال لتفول التعايشة على الحكم ، ولذلك سنتعرض له من جذوره .

يرجع تاريخ هذا الصراع الى وفاة حمدان وتمييز أحمد على بدلا عنه . في ذلك الوقت عمل الزاكي للحصول على القيادة ونجح في ذلك وأصبح أحمد على قائدا لأحدى أرباع الجيوش . ولأشك ان أحمد على لم يهن تلك الحادثة ولعله ظل يتحين الفرص منذ ذلك الوقت للإيقاع بالزاكي . ولم يغيب عن الزاكي ذلك الشعور فعمل من جانبه على إضعاف أحمد على وأظهره أمام الخليفة بمظهر القائد غير المقتدر كما أضعفه ريمه بشكل فعال .<sup>٨٧</sup>

وعندما غادر الزاكي القلايات الى أعلى النيل عين أحمد على وكيلاً عنه بعد تردد ولمجرد إرضاء الخليفة الذي أبدى رغبة

ننى ذلك التعيين . وما ان تسلم احمد على زمام السلطة حتى  
 اخذ يعطى الخليفة بسيل من الانتقادات نحو سياسة الزاكي  
 ومسلكه منها ان الزاكي امر بعض العمال وهما حامد الدحيزي  
 والله جابو الزاكي ( عبد الزاكي طمل ) بجمع غلال الزكاة وعدم  
 ارسالها الى القلايات بالرغم من احتياج الانصار لها . كما ان  
 الزاكي اخذ معه كل المراء والمقادير وكافة البروجية " مع ان  
 قوام حركة الجهادية هي البروجية " واخذ معه كذلك مدفع المتيوز  
 و" الطوبجية والتوفلجية والقندقلية " ولم يترك من الجهادية سوى الف  
 وستائة بينما ادعى للخليفة بانهم الف وثمانائة واربعة وتسعون .  
 ٨٨  
 كما ان الزاكي اجتمع قبل سفره بخاصته " وذاكرهم سرا " وقدم عليهم  
 واحدا من اعوانه وامرهم بعدم الانقياد الى احمد على دافع الزاكي  
 عنه نفسه بان انتقد احمد على ولذكر ان الانصار " من طبيعتهم  
 بالقلابات فان لم يجدوا الرئيس حريصا عليهم متفقدا لاهوالهم فيكون  
 ذلك داعيا لنفرتهم . . . والمكرم احمد على يحتاج لزيادة الارشاد  
 وتقويته " .<sup>٨٩</sup> وظل الخليفة يرقب ذلك الصراع عن بعد اوفى شكر نصائح

٨٨ احمد على الى الخليفة، ٩ رمضان ١٣٠٨ هـ، ١٠/٢٧/١٥/٦٢

٨٩ الزاكي طمل الى الخليفة، ١٥ رمضان ١٣٠٨ هـ، ١٠/٤/٣/٢٥٩

عامة مؤكدا فيها قيادة الزاكي على المنطقة . ولكن عندما اشتكى احمد على من ان الزاكي اوكل جديد حمدان لجمع عشور النقادية وحفظها لديه تدخل الخليفة وامر بتسليم العشور الى احمد على . ودافع الزاكي عن ذلك الاجراء بان عشور النقادية من الاشياء الخاصة بالخليفة وان حفظها يقع تحت مسؤوليته . واختلف الزاكي مع احمد على حول تعيين العمال بالمراكز المخططة . فالزاكي يرى ان تعيينهم يجب ان يتم بمعرفته ويخشى ان يعزلهم احمد على . بينما يرى احمد على ان عزلهم امر ضروري لان اغلبهم متسلطين على الاهالي لتسديد بعض الديون التي اخذها الزاكي من التجار . فنصر الخليفة احمد على ورأى ان يقوم بتعيين العمال مادام هو المسئول المباشر عن المنطقة .<sup>٩٠</sup> واشتكى احمد على من كثرة عائلة الزاكي التي بلغت مائة واربعة وستين زوجة وسبعة وعشرين طفلا حتى ان ملابسهم كان يحتاج الى اكثر من الف ثوب .

واغتتم احمد على فرصة غياب الزاكي عن القلايات فعمل على تقوية نفوذه داخل الجيش . فاجرى تعديلات في قيادة الارباع بعزل



كُل من جديد حمدان ومحمد نور كلاب ومن مكانهما عبدالله  
حامد ومحمد فن ، كما عين عددا من مقادير الجهادية من خاصته .  
ثم قام بتحويل اغلب الجهادية تحت قيادته المباشرة . وعزل حامد  
الدخيري عامل القصارف متبهما اياه باخذ حقوق بيت المال . بل  
انتهى الى اتهم الزاكي بانه عمل على تشتيت الحش <sup>افطر</sup> حتى / لاعادة  
جمعه فاصبح جيشا قويا .<sup>١١</sup>

وذهب احمد على الى محاولة اثبات قيادته المطلقة للمنطقة  
بان انكر على الزاكي اصدار الاوامر له وتشاك في جهته التي ذهب  
اليها والصفة التي خرج بها . وطلب من اهل القصارف عدم  
الاستماع الى اوامر الزاكي فليس له " ادنى سلطة على الرباط بسل  
ولا على جهتك ( ان ) . . . . . انفصلنا من المعكم الزاكي من مدة  
قيامه والى يومنا هذا . . . وان اتاكم امر من المعكم الزاكي . . . يطلب  
جرعة ماء او ابرة من الدار لاتسلموا . . . شيىء ولا تعطوا ( بامرہ )<sup>١٢</sup> " .  
ولكن الخليفة افترض على اجراءات احمد على هذه واكد ان الزاكي هو  
الرئيس على احمد على باشارة منه .

٩١ : احمد على الى الخليفة ٣ جماد اخر ١٣٠٩ هـ ١٤ / ٢٨ / ١ / ٤٥

٩٢ : احمد على الى احمد ابى سن واخرين ١٤ جماد اول ١٣١٠ هـ

وخشي الخليفة ان يقوم الزاكي بالتقليل من شأن احمد  
 وذلك بنقض الاحكام التي اصدرها مدة وكالته فطلب من الزاكي قبول  
 كل الاحكام التي اصدرها احمد على ان معه " قاضي شريعة " .  
 وان الخليفة قد استشير فيها . ولكن الزاكي اعترض على تلك الاحكام  
 لانها تمت " بدور وجه جازر وبغير الشريعة " مما ادى الى كثرة  
 الشكوى من اعيان البلد والامراء والانصار . واورد بعض الامثلة  
 من تلك المظالم . فوافق الخليفة على اجراء تحقيق في تلك المظالم ،  
 وادان التحقيق مسلك احمد على .<sup>٩٣</sup>

وبلغ ذلك الصراع قمته عندما قام الزاكي باستدعاء احمد على  
 ووجه اليه عدة تهمة اهمها انه يتصل بالخليفة راسا دون علم الزاكي . وكان  
 مسلك احمد على يتصف بعدم المبالاة " وظهر منه ما كان كامنا بالضمير " .  
 وهو " مبني على الحقد " . وراعى الزاكي في ذلك المسلك وفي مخالقات  
 احمد على مايؤدى " للفتنة " بالجيش فقام بوضع احمد على واتباعه في  
 السجن . وقد وصف احمد على الاسباب والظروف التي ادت الى  
 اعتقاله بان الزاكي منذ عودته الى القضاة وهو يسلط الاهالى لكى

٩٣ الخليفة الى احمد على ٦ جماد اول ١٣١٠ هـ ١٠ / ٢٧ / ١ / ٢٤

٩٤ الزاكي طلع الى الخليفة ٢٧ شعبان ١٣١٠ هـ ١٠ / ٤ / ٤ / ٤٤٤

يدعو على احمد على امام القضاء حتى كما يقول " صرنا انا  
 الليل واطراف النهار نحن وجماعتنا امام القضاء في الشريعة " فابلق  
 احمد على الامر الى الخليفة . فاستدعاه الزاكي على حين غفلة  
 هو واعوانه " وفي الحان اجري ضبط منازلنا واجري تجريد هم  
 مما جميعه حتى ثياب النساء " <sup>٩٥</sup> . ولكن الخليفة سرعان ما امر باطلاق  
 سراح احمد على حتى لا يمشى منهم الاعداء .

خرج احمد على من السجن - تسنده قرابته من الخليفة -  
 وهو اكثر تصميما لتحطيم الزاكي . فاخذ يتصل بالخليفة سرا يخبره  
 ان الزاكي لا يعمل باى امر ياتيه من الخليفة بل بما يقتضيه رايه  
 وان جميع تصرفات الزاكي تتواءم الى احداث خلل في الجيش . وذهب  
 الزاكي الى اثاره الخليفة اكثر عندما ذكر له ان الزاكي قال باستدعاء  
 " عيال التعايشة " لوقوفهم ضد الجهادية ومنعهم من الاستيلاء على  
 الجبخانه وذلك عندما اشيع عن موت الزاكي . فقد ارسل الزاكي  
 بعضا من الجهادية ليلا وقاموا بضبط وتكثيف عيال التعايشة " واغلظ  
 عليهم في القول ... وصار ... تجريد هم حتى من عمهم واسلحتهم

وحرابهم وما كان بطرفهم من الجيخانة وتركهم مجردين بهذه  
 الصفة لأنهم نساء<sup>٩٦</sup>. وكان من جراء تلك الروايات أن استدعى  
 أحمد علي إلى البقعة . ولعله وجد فرصة اختلى بها من الخليفة  
 وأوغر صدره ضد الزاكي .

وتذهب بعض الروايات إلى أن الخليفة قد وصلته معلومات  
 عن ثراء الزاكي ويطشه وتزعته الاستقلالية فقد استكى بعض الأمراء  
 في جيش الزاكي بعد عودتهم من أعلى النيل عن بطش الزاكي وطفغيانه  
 وأنه لن يتردد من إعلان استقلاله عن الخليفة إذا وجد القوة  
 الكافية<sup>٩٧</sup>. وكان من مظاهر ثراء الزاكي أنه إذا حضر إلى أدمان  
 يخرج في موكبه عظيم يحيط به خمسون حارسا مسلحا<sup>٩٨</sup>. وكان من جراء  
 الصراعات المستمرة التي عاشها الزاكي خاصة مع التعايشة أن بدأ<sup>٩٩</sup>  
 يفقد عظم الخليفة . ومما زاد من نكوك الخليفة أن الزاكي طلب

٩٦ أحمد علي إلى الخليفة ٢٧ رمضان ١٣١٠ هـ ١٠/٢/١٩٩٢

٩٧ <sup>90.cit,</sup> Slatin, / pp. 987-8

٩٨ إبراهيم فوزي، ص ٢٩٢ - ٣٠١

٩٩ <sup>cit,</sup> The Mahadist State, P. 196٩٩

عند عودته من اعالي النيل مزيدا من الاسلحة النارية . فرفض  
 الخليفة طلبه وانب الزاكي وذكر له ان لديه " بذلك البقاز من  
 صنف السلاح الرامنتون وغيره مقدار وافر لم يحصل مثله في مركز اخر"  
 وان جميع القواد الاخرين بالبوغازات ليس لدى واحد منهم " ربح  
 في معك من الاسلحة . " ١٠٠

وفي منتصف عام ١٨٩٣ ( مطلع عام ١٣١١ ) استدعى الخليفة  
 الزاكي الى امدردمان بفترة " النمتع بالزيارة ومشاهدة الانوار  
 الساطعة " ، كما طلب منه ان يحضر معه جميع رؤساء الارباع مقاديم  
 الجهادية بحجة خروج الحبش الى محاربة الايطاليين .<sup>١٠١</sup> فاذا علمنا  
 ان الزاكي صاحب معه في تلك الزيارة ثلاثة من امراء الارباع وثلاثة  
 وعشرين من مقاديم الجهادية وثلاثين من امراء الرايات بثلاثة وعشرين  
 من المقاديم الصغار لادركنا ان الزاكي قد ذهب فعلا الى امدردمان  
 دون ان يسلم بنوايا الخليفة وانه بذلك اصبح هو وقواده تحت قبضة  
 الخليفة وحرمة الخاص . فالخليفة لم يشأ ان يدخل في مناصرة باعتقال  
 الزاكي في القطارف وهو بين قواده وجيشه وكان <sup>طوبى</sup> احمد قد ذهب سرا

١٠٠ الخليفة الى الزاكي طمأن ٢١ جماد اول ١٣١٠ هـ ١٢/١/١٠٥

op.cit,  
 slatin ,/p. 500

لمقاومة الخليفة لان الزاكي رفض اصطحابه معه .

وفي امدردمان وضعت خلية محكمة لمباغشة الزاكي واعتقاله  
وقام بتنفيذها يعقوب والقاضي احمد علي لكراهيتهما للزاكي ان كان  
يحتقرهما . وتم اعتقاله في سبتمبر ١٨٩٣ ( صفر ١٣١١ ) ووضع في  
السجن مكيلا بالقيود . وشرح الخليفة اسباب اعتقال قائده الكبير  
بان " بد عارضا شديدا وقيل انه كان معه من سابق الا انه اشتد  
عليه في هذا الوقت وباسباب ذلك اجرينا زجره وحبسه بالعشيرة فان  
طاب وشفى من ذلك العارض فيها ولا فيصير معالجه منه الى ان  
يقدر الله له الشفاء او يقضى الله امرا كان مفعولا " ومكث الزاكي  
في السجن اربعة عشر يوما من خلالهما من الاكل ومن الشرب ومات  
في ٢٠ سبتمبر ١٨٩٣ ( ١٠ ربيع اول ١٣١١ ) . ووصف الخليفة بانه  
" هلك في السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة " وانه بمجرد خروج  
روحه اشتعلت النار في جسمه واسود وجهه . ١٠٢

وفي الحار سين احمد علي اميرا على القزارف فغادر امدردمان

مرا حتى يستنظير مباغتة اعوان الزاكي هناك . وفي القزارف حاصر

منزل الزاكي حتى قبل نزوله من ظهر الزوامل . فصادر كل

ممتلكاته وممتلكات اعوانه ، كما صودرت في امدرمان خمسة الاف

ريال وكميات من خواتم الذهب والجواهر . واعتقل جديد حمدان

وحامد طمل واربعة اخرين من اعوان الزاكي وجلدت اخته حتى

الموت . وطلب احمد طلي من كل شخص له تالامة على الزاكي

ان يقدمها للقضاء بل وقرر مراجعة كل احكامه ولكنها كانت مهمة

صعبة " والتبس " الامر على القضاء .

لقد نجح احمد على في القضاء على الزاكي وسبع في الاستيلاء

على السلطة ، وبذلك انتهى فصل هام من صراعات المهديت فبماهي

اسباب ذلك الصراع وماهي اهميته ، قد يبدو ذلك الصراع في

مظهره تنافسا بين قائدين ولكنه في الواقع صراع بين تيارين بين التيار

الذي سماه البروفسير مكي شبيكه اولاد العرب وسماه هولت اوتقراطية

التعايشة " وسماه سعيرونوف في كتابه عصيان المهدي " ارسقراطية

البقارة من جانب وبين القيادات الاخرى للدولة المهديت سواء ان كانوا

قوادا مشهورين او اشراف او " لولاد البلد " . فقد شهدت السنوات  
الاخيرة او ربما النصف الثانى بأكمله من حكم الخليفة مهاد  
من جانبه نحو اهله التعايشة لقولهم انصاب الهامة فى الدولة .  
وقد استغل التعايشة ذلك الاتجاه واخذوا يطمحون فى كل القيادات  
الهامة . وكان الاحتفاظ بالزكاى لمقدرته الحرية التى  
تفوق مقدرة احمد على وبغرض الاستفاداة منه ضد الحبشة وفى  
اعالى النيل . وعندما فقدت الحروب دورها الهام فى الدولة لصح  
وجود الزكاى غير مرغوب فيه . ويعكس ذلك الصراع كذلك بعض  
اجوانب الادارية لدولة امهدية . فالاقاليم الشاسعة والجهوش الضخمة  
المرابطة فى البوغازات والثروات التى تكونت من الغنمة كلها مظاهر تنم عن شبه  
استقلال . وبالرغم من تدخل الخليفة المستمر لفرض سيطرة مركزية الا ان  
الجنوح نحو نوع من الاستقلال كان غير مقبول لدى الخليفة . والطريقة الفظة التى قتل  
بها الزكاى كانت انتقاما لاشياء تراكت عبر سنوات وسنوات . والطريقة التى اعتقل بها  
الزكاى توضح قوته الاقليمية . فالزكاى لم يعتقل كما يعتقل اى شخص خارج على  
نقد الخليفة بل استدرج رويدا رويدا وجرد من مصادره قوته واتخذت



لذلك  
احتياطات / ثم قبح عليه . حقا لقد كان ذلك الصراع من الفصول الهامة  
في تاريخ الدولة المهدية

### غزوة احمد على الى اغردات .

عندما تولى احمد على زمام القيادة في القضايف وجد  
نفسه يرث حكما تكلمه انتصارات الزاكي الحربية التي مازالت اصداءها  
تتردد في سهول القضايف ومرتفعات القلايات ولذلك كانت فترة احمد  
على - على قصرها - محاولة دائبة من جانبه ليمضي لنفسه مجدا  
حربيا يقترب به من الزاكي وبما ان الحروب على جبهة القلايات لم  
تعد ذات وزن فقد اتجه الى جبهة كسلا التي كانت تواحه في ذلك  
الوقت خطر الزحف الايطالي فما ان عاد من امدرامان حتى طلب الاذن  
من الخليفة بغزو جهات كسلا لنجدة مساعد مقدوم وللحصول على  
كساء للانصار . ويعتقد احمد على ان الاوان مناسب للذرو " بالنظر  
لنشاط البحر ورطوبة الارض واستور القندول ووجود المياه بكثرة بالطرق"  
فوافق الخليفة بحذر شديد ولعله كان يدرك مقدرات احمد على  
الحربية . فحذره من مهاجمة ابي جنود محصنين والا يقترب من

سبحر السالح بالنظر لعدم اشعة" <sup>١٠٣</sup> وان يكون متيقظا لمر

الاعداء " ولربما انهم يكسوا لكم الكائن " وطلب منه ان يستشير  
اهل الراى " اما مثل ولد فرج الله وغيره من الخبراء فلا تدخلهم  
في المشورة بل اطلب منهم خبرة الطريق فقط " ويؤكد احمد على  
ان الغرض من الفزوة ليس مهاجمة الايطاليين بل تاديب القبائل  
الضاربة في الصحراء . ويوصيه بالا يركن الى اولئك الرطانة "  
ويقصد الخليفة بتلك القبائل بعض الهندودو والبني عامر . <sup>١٠٤</sup> وخرج  
احمد على من كسلا يصحبه خمسة الاف وثمانمائة وسبعة واربعين  
جهاديا ومائتين وسبعين من الخيالة .

ولكن احمد على - جريا وراء الشهرة الحربية لم يتبع راى  
الخليفة تماما وتوغل بجيشه داخل ارتريا حتى وصل اغردات بطريقة  
غير منظمة ويرى النور عنقرة السبب ف ذلك هو خاطر حميدان الذى  
افسد راى احمد على . فكلما اتفق القواد على راى ياتى حميدان

١٠٢ الخليفة الى احمد على ، ١٢ جماد آخر ١٢١١ هـ ١٠ / ٢٧ / ١٠ / ٢٣٦  
op.cit,  
JL.tin, / pp. 503 ١٠٤

ويغير رأي احمد على فعندما اتفق القواد على السير بأسرى  
 خور بركة لسهولة ووفرة مياهه تدخل حصان واثر على احمد  
 على حتى سار بطريق الجبال المتعب . وعندما قرر القواد  
 ان يمسكروا في منهل "كوفيت" لضرب "عربان الحبار" كان رأي  
 حميدان المسير الى "سقليب" حيث لا توجد مياه واضلر الجيش  
 للمسير اثناء الليل يحثا عن ماء . وهكذا وصل الجيش السرى  
 اغردات " على حالة سيئة " . ١٠٥

وكان حاكم اغردات الايطالى " ارمندى " على علم بتحركات  
 احمد على وبالحالة جيشه الممغنوية وهو يتجوز ب هدى في هضاب  
 اورتيا . فارس بعض المنشورات وشها في طريق الجيش مخاطبا فيها  
 الجهادية قائلا " علم طرفنا انه بدون اختياركم مجبورين من الدراويش  
 المتعصبين عمالين غشوا ضد القبائل الذى تحتنا وقصى  
 الامان والراحة للجميع قبل ان نقاتلكم ونعدمكم اوعدكم تتركوا امراكم  
 وتحضروا طرفنا باسلحتكم بالشرف المستحق للمساكر الطيبين ويمط لكم

١٠٦

الامان والراحة . " ولكن تلك التهديدات لم تؤثر على احمد على واستمر يستحث جيشه للمسير نحو اغردات . ولعله قد سمعوا به ضعف حامية اغردات ان كان بها حوالى الفى جندى فقط .

وفى ٢٢ ديسمبر ( ١٣ جماد ثانى ) دارت المعركة بين الطرفين وهزم فى نهايتها الانصار وفقدوا تسعمائة وواحد وتسعين قتيلًا ونفس المدد مفقودين بالجمال . وقتل فى تلك المعركة احمد على وعبدالله ابراهيم وعبدالرسول عمر فاصبح مجموع الخسائر الفا وسبعمائة وتسعة وخمسين كما فقدوا الفا وخمسمائة وتسع وثلاثين من البنادق الرامتوف وكميات من الذخيرة واربعة وسبعين من الخيول ، وعادت قلوب الجيش الى كسلا تجرر اذيال الهزيمة وانفتح البابين امام الايطاليين للزحف غربا نحو كسلا .

وبهذا اختتمت احدى فصول الدولة المهدية وهى تعاني ضعفا داخليا وتواجه خطرا خارجيا استعماريا . ويقتضى على احمد فضيل ان يشرف على الفصل الاخير من تاريخ هذه الدولة .

## الفصل الخامس

احمد فضيل ونهاية دولة المهديّة

١٨٩٤-١٨٩٩ (١٣١١-١٣١٦ هـ)

شهدت السنوات الخمس التي قضاها احمد فضيل في منطقة القصارف - القلابات

اقول نجم المهديّة وزوالها • لقد قضى احمد فضيل معظم تلك السنوات متنقلا بين كسلا والقصارف والقلابات ورفاعة والسيلوكة وامدرمان واخيرا غرب السودان حيث لقى مصرعه • وكانت تلك التقلّلات تملؤها الظروف الحربيّة التي تطرأ من حين لآخر • ولذلك

---

١ قبل ان يتولى احمد فضيل امانة القصارف قام بعدة مهام حربيّة واصبح من اكتمر التعاضد معرفة بالجهادية وقربا للخليفة • وكانت اول مهمة قام بها في يوليو ١٨٨٢ (شوال ١٣٠٤) حيث بعثه الخليفة الى شات وبقى بها حتى ابريل ١٨٨٨ (شعبان ١٣٠٥) • ثم ذهب الى الابيض واصبح عاملا للسرية الغربية وهناك قام بالقاء القبض على الهاريين في سرية القلابات • وفي يونية ١٨٨٨ (شوال ١٣٠٥) ذهب الى الاضية وليث بها حتى نوفمبر ١٨٨٨ (ربيع اول ١٣٠٦) واستطاع القضاء على قبائل الحمر • ثم ارسله الخليفة الى الفاشر لتعزيز موقف عثمان ادم ضد ابو جيمزة • ووصل الفاشر في ١٢ / ١ / ١٨٨٩ (جماد اول ١٣٠٦) حيث اشترك في معركة الفاشر ضد ابي جيمزة • وفي فبراير ١٨٨٩ (جماد ثاني) كان في الاضية للمرة الثانية لتتبعه اخضاع الحمر • وفي نفس الشهر تحرك الى البقعة حيث تولى قيادة الجهادية بالكاره خلفا لفضل المولسي صابون • واشترك مع يعقوب في القضاء على الاشراف • وبقى قائدا للجهادية حتى

لم تلق تلك المنطقة اهتماما منه ، ولعل هذا يعزى ايضا الى ان الدولة المهدية اخذت شكلا تنظيميا محددا ولم تطرأ عليها اى تحولات اساسية . فكانت تلك السنوات اعوام حركة عنيفة وحرب لا اعوام هدوء واستقرار . حقا انها سنوات عاصفة في تاريخ الدولة المهدية وهى تصارع فى عدة جهات للحفاظ على كيانها — من اخطر الخارجى الذى اخذ يشد من خناقها عليها حتى قضى على كيانها .

### ٢ الاضاع الداخلية فى عهد احمد فضيل

كانت هزيمة احمد على غربة كبيرة على دولة المهدية ان فتحت ثغرة فى جبهة كسلا بمععب حراستها . وادراكا لخطورة هذا الموقف قام الخليفة نورا بتعميم

== بعثه الخليفة الى كسلا وخلفه ابراهيم الخليل فى قيادة الجهادية . راجع :

مهدية ، ٤ / ٢ / ٢٠ / ١

مهدية ، ٢٤ / ٣ / ٢٠ / ١

مهدية ، ٣٠ / ٤ / ٢٠ / ١

مهدية ، ٣٤ / ٤ / ٢٠ / ١

٢ لا يمكننا ان نتعرف بوضوح الى الاوضاع الداخلية فى عهد احمد فضيل ان لم نضع فى اعتبارنا حادثتين هامتين . الاولى تصدى الايطاليين لكسلا ثم احتلالها فيما بعد فى يوليو ١٨٩٤ ( محرم ١٣١٢ ) والثانية بداية الاستعداد لحملة كشتنر ثم تحركها فيما بعد ايضا نحو دنقلا فى مارس ١٨٩٦ ( شوال ١٣١٢ ) . وقد عولجت الحادثتان فى عدة مراجع لعل أهمها :

Shibeika, British Policy, Chapter x الذى يعالج فيه هذه القضية .

The Holt, Mahdist State, pp. 195-7 and 204-6

أحمد فضيل سار يومها خلفا لأحمد علي • وصيب في نفس الوقت بقاء فلول

الجيوش المعادة من أفراد في كسلا • وفي ٥ فبراير ١٨٩٤ (٢٩ رجب ١٣١١)

وصل أحمد فضيل إلى كسلا وتسلم القيادة من عبد الله حامد أبي فليح •

ويبدو أن مزينة أحمد علي أحداث بعض المظاهر السلبية أهمها نسل الاستمرار

من جبهة كسلا إلى التقاريف شربا من شرب المواجهة وبخا عن القوت • فقد عانى

الجهنم في كسلا شبه مجاعة ، وحتى عندما خرجوا إلى الغزو كان مع كل واحد منهم

"كيلة" واحدة من الذرة وعند عودتهم من أفراد مكثوا خمسة أيام بدون قوت وعندما

صرفت لهم الذرة كانت شحيحة "بواقع التفريقراط واحد بالتقطيع شئ في شئ" •

وانعدمت الامانة حتى للاكفان ودار الميت يدفن "تحت التراب بدون كفن عارى" •

قراي أحمد فضيل أن يواجه الازمة بصريقتين • فصرف نصف ريام لكل جهـ ادى

٣ منذ الأيام الأولى لأحمد فضيل والخليفة مستفسر عنه سرا وعن قدرته الحربية وسلوكه • فقد كتب إليه النور عنقر خطاها سرا بهذا المعنى • ولعل هذه ظاهرة

عريضة أن يكتب الخليفة مستفسرا عن واحد من التعاليم بواسطة شخص آخر. أن

أن التعاليم تابوا هم عين الخليفة الساهرة والمراقبين لسلوك بقية القواد •

٤ عبد الله حامد إلى الخليفة ، ٢٥ رجب ١٣١١ ، مندية ، ١٤٢/٢/٢٤/١

مخلوعة أولى . ثانيا رأى ضرورة القيام للخزير " فى طاعة الله ورسوله منسرة دينه " . الا ان الخليفة افترض على فكرة اخرون للجهاد ولعله كان يخشى من وقوع كارثة اخرى مثل كارثة احمد على قد توءى باقية اباقية من معنويات الانصار . فاقترح على احمد فصيل ان ينتقل بمجيشه الى القصارف خصوصا بعد ان علم بسان الانصار قد احدثوا باطل كسلا " كل التشويش من نهب رقيقهم واشيائهم "

وصل احمد فصيل الى القصارف بارباعه الاربعة ومعه قواده وهم فضل الحسنه ، النور عنقرة ، محمد نور نور وعبد الله حامد ابى فلج ، ومعه حوالى ستة الاف وخمسمائة من الجنود وحوالى الاربعة الاف بندقية وكمية من انجبخانة . وادى تحول الجيش الى التعاف مركز كسلا لذلك طالب احمد فضل بارسال رايات جديدة من امد زمان راسا لان الرايات التى معه لن تقبل العودة الى كسلا " بالنظر لما شاهدوه من عيق معاشيا " . فارسل الخليفة مائتين وخمسة وخمسين مجانس فارتفع عدد

المجاهدين بكسلا الى حوالى الف وسبعمائة . ولقد ولنا ان نسال عن الاسباب

التى ادت الى نقل كل الجيوش الى القصارف وترك مركز كسلا مفتوحا فى الوقت الذى

كان فيه الخطر الايمالى يقترب بل ان الايطاليين عقدوا احتلوا كسلا فى يوليو ١٨٩٤



(محرم ١٣١٢) • هل كان ذلك التحول نتيجة للظروف المعيشية في كسلا أم  
 ان الخليفة احس بسعفه امام الايطاليين فتخلى لهم عن كسلا عنوة ؟ لعنهما اسببان  
 معا ففيهما / <sup>يكن</sup> ضعف المهدي في سنواتها الاخيرة هذه : الجوع والتخول  
 الاستعماري •

منلت مشكلة نقص المواد الغذائية تواجه دولة المهدي طوال السنوات الباقية  
 من عمرها • وراى احمد فضيل ان لخذ الجهادية باسدة في هذا الصدد قد يدفعهم  
 للالتجاء بالحشة او بالايطاليين فاستعان عليهم "بكرة التذكير" • وراى احمد فضيل  
 ان يتخذ عدة اجراءات لمواجهة لعدم اذرة • فطلب ارسال اربعمئة جمل  
 صحلة باذرة من القلعة رانج وذلك لتصرفها على الجنود على ان يعتمد الانصار  
 المتبقين بالقضارف على زرعهم • كما طلب ارسال عبد القادر لبي سن بولد زايد  
 من امدرمان لمساعدته في عملية الزراعة<sup>٥</sup> • وكان الاجراء الثالث ان يقوم بعدة

٥ احمد فضيل، ابن الخليفة، شعبان ١٣١٢، مهدي، ١/٢٠/٦/٢٠١١

غزوات بجلبب الغداة • ففي آخر عام ١٨٩٣ (منتصف ١٣١١) ارسل احمد فضيل حملة لغزو ثلاثة جهات في الحبشة هي " البرون " وجبل " تايو " و " الدنكر " • وفي منتصف ١٨٩٥ (آخر ١٣٠٢) خرج فضل احسنة قاصدا غزو بعض جهات الحبشة ولكن هبّول الامطار ادى الى عودته الى المركز • وتمثل الاجراء الرابع في ارسال مجموعات من الجهادية للإشراف على عملية الزراعة وحراستها • فارسل احمد فضيل مائتين وعشرين من الانصار الى جهة الفاشر<sup>٦</sup> ومعهم سبعون اردبدا " تاريب " والحقها بثلاثة وثمانين اردبا اخرى عندما شاهد " وفرة الخريف " • وقسم اليك المجاهدين بحيث تشرف كل مجموعة على زراعة ارض احد رؤساء الارباع ان كان لكل قائد ريع زراعه الخاصة به • فكان من بينهم خمسة وعشرون جهاديا للإشراف على زراعة احمد فضيل<sup>٧</sup> • وفي العام التالي ارسل مائتين وثمانين جهاديا

٦ مركز الفاشر هو منبر على الضفة الغربية لخور الفاشر في قبالة كسلا • وقد اقامه الانصار بعد احتلال الايطاليين لكسلا • والفاشر تعني في اللهجة المحلية نوعا معيناً من الارز • الارز المرتفعة الصالحة للزراعة • وليس لهذه الفاشر اى صلة بالفاشر عاصمة دارفور • (هذه المعلومات مأخوذة من بعض اهالي المنطقة)

٧ احمد فضيل الى الخليفة ، ٩ محرم ١٣١٣ ، مريية ، ١ / ٢٠ / ٢ / ٢٢١

للقيام بنفقر العمل السابق • ويرر احمد فضيل اهتمامه الشديد بالزراعة لانها  
 " هي راس السرج وعين الثمرة وفيها راحة الجسد بحصول مو\* ونتم الكفاية للتقوية  
 بها على الجهاد وبالمثل مسألة الزراعة بالقشارف حاصل الاستعداد لها وتارى حث  
 الاصحاب عليها" <sup>٨</sup> ويبدو ان سياسة احمد فضيل الزراعية قد حققت بعض النجاح اذ  
 تومرت الذرة حتى بلغ الاردب في القشارف ريالاً بل ان المزارعين " صاروا يطلبون  
 النار باخذ الغلال منهم بالدين ٠٠٠٠ ولم يجدوا راغب في ذلك " <sup>٩</sup> وشجعت  
 تلك الوفرة الغذائية على انتشار قطاع الطرق الذين يعترضون المسافرين وينهبون  
 ممتلكاتهم • فعين احمد فضيل دوريات للمناطق الخطرة • وتدل ظاهرة قطع  
 الحريق هذه بالرغم من وفرة المحصول الو\* مو\* توزيع الذرة مما جعلها معدومة  
 عند البعض •

وفي عام ١٣١٨ (١٣١٦) والانتصار يواجهون خطر الغزو الانجيزي - المصري  
 من الشمال اخذت اسرار الذرة ترتفع نسبيا فبلغ الاردب بريالين قوشلى في القشارف

١. احمد فضيل الى الخليفة ، ١٦ الحجة ١٣١٣ ، مئدية ، ١ / ٢١ / ١ / ١٣١

٢. احمد فضيل الى الخليفة ، ٦ صفر ١٣١٣ ، مئدية ، ١ / ٢٠ / ٢ / ٢٨٣

وبريال ونصف في مناطق الزراعة • وعندما اخذت جيوش كشمير تتوغل داخل اراضي السودان بدا الانتصار ينفرون من الزراعة فارسل احمد فضيل مائتي جهازي لمراقبة الزراعة على نهر عطبرة • وعند انتقال احمد فضيل مع جيشه الى امدمان طلب ارسال اعداد وافرة من البمال الى القصارف لحمل اذرة لانها متوفرة هناك بينما " جهات الاسر [حاصر بنا] الشيق وسعوبة العشر وتعاليمه في الاسعار وعدم تيسيره " ١٠

وتست في تلك الفترة بعض التغييرات في حدود المراكز وفي قيادات الارباع • فاخذت سبعة جهات من القصارف وضعت الى الجزيرة " لخدمة الانتصار بالبقعة " ، واعيدت جهة " كركوج وتوابعها الثلاثة " الى القصارف • كما نقل المركز من التسمات الى الجيرة لقربها بين القصارف ولاهيتها الزراعية • كما انشأت مراكز جديدة غربي انفاشر واصهر والمقطع على نهر عطبرة لمراقبة الايطاليين الذين احتلوا كسلا • واجرى احمد فضيل بعض التقلات في قيادات الارباع فعزل فضل لصيل من ربح الامدادية

---

١٠ احمد فضيل الى عبد الرحمن احمد امين سوق القصارف ، ١٨ صفر ١٣١٢ ،

وعين بدلا عنه عيسى كشور • ونقل خاطر حمدان بربعه الى الفاشر وعزله نيمـا  
 بعد ليحل محله عثمان الككر ثم محمد صالح عري • وعزل حامد على من كسلا  
 لسوء ادارته وتعميده على قوت الانصار • فقد استولى على مائة اردب من الذرة  
 كانت مرسلة " لتقوية " الانصار • وجمع حامد على لنفسه ثروة كبيرة بلغت مائة  
 وتسعة من الرقيق وثمانية واربعين وخمسة وسبعين من الاغنام وخمسة واربعين من الجمال  
 وسبعة خيول وسبعة وثلاثين ريالاً • بذلك تم عزله ووضع في القضارف تحت المراقبة •  
 وفي عام ١٨٩٦ (١٣١٤) أصبح امراء الارباع هم فضل الحنفه وعبد الله حامد وسد  
 الله عز الدين وعبد الرحمن البرجو وعيسى كشور • ووزع الحبش في المنطقة على  
 المراكز كالآتي :

مع احمد فضيل ٤٧٤٨

بالقضارف ٢٥١٨

باصبرى ٤٤٠

- 
- ١ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٦ القعدة ١٣١٢ ، مئدية ، ١ / ٢١ / ١١٠  
 ٢ احمد فضيل الى الخليفة ، ٥ ربيع اول ١٣١٤ ، مئدية ، ١ / ٢١ / ٢ / ١٦١

٢٨٢	بالفاشر
١٤٧	بالجيرة
٢٦١	بالقلايات

ولابد لنا ونحن نتعرض للاوضاع الداخلية في هذه الفترة ان نختتم الحديث عن قبيلتي الشكرية والنبانية . ونعل اسم ما يستحق الملاحظة ان دولة المهديّة أصبحت تعتمد كثيرا على حائني القبيلتين لتساعدا في عملية الزراعة . ولذلك طلب احمد فضيل ارباع ولد زايد وعبد القادر ابي سن وجه ابي جن من امدرمان فورا عندما استدعاهم الخليفة " للذاكرة " <sup>١٣</sup> . وبإسرع من خضوع الشكرية التام للمهديّة الا انهم كانوا يخفون في داخلهم تدمرا مرفضا للنظام . فقد قام عبد القادر ابو سن بالاتصال باحد الشكرية ويدعى حسب الله رحمة الله وكان مقيما بكسلاتحت حماية الايطاليين . واشتكى عبد القادر في رسالته من سوء حالة قبيلته . ويبدو ان " المجرهيدانقو " حاكم كسلالاتاني قد اطلع على تلك الرسالة ، فانصل بعبد القادر وعرض عليه حماية

حكومته وطلب منه ان يرحل باهله الى كسلا<sup>١٤</sup> . ويبدو ان عبد القادر قد تحايل على احمد فضيل وطلب منه ارسال بعض اعوانه كطلائع لكشف اخبار الايطاليين بكسلا بينما كان يهدف الى الاتصال بالايطاليين هناك<sup>١٥</sup> . ولكن تلك الاتصالات لم تثمر وظلت مجهولة لدى احمد فضيل تماما . فقد كان احمد فضيل مرتاحا لمسلح عبد القادر بل وصحب معه جعفر ابي عيسى في احدى غزواته تعبيرا عن تلك الثقة . وشهد منتصف عام ١٨٩٦ ( مطلع عام ١٣١٤ ) وفاة عبد القادر ابي سسن وخلفه جعفر ابي سسن في زعامة القبيلة . وفي اغسطس من نفس العام ( ربيع اول ) توفي محمود عمت زايد وخلفه عوض الكريم عيسى زايد . وقد تبارك هذا الزعيم الجديدان في الدفاع عن دولة المهديّة ضد الخطر الاستعماري وسمح لهما الخليفة برفع راية للجهاد خاصة بكل منهما .

وشهدت تلك السنوات الاخيرة في عهد الخليفة انقسام قبيلة الشكرية بسين

١٤ . الميجر هداقو حاكم التكا الى عبد القادر ابي سسن ، ١٨١٥ ( ٢٠ جماد اول ١٢١٣ هـ )  
مؤدية ، ١ / ٢٤ / ٢٧

١٥ . عبد القادر ابي سسن الى الخليفة ، ١ جماد اول ١٣١٢ هـ ، مؤدية ، ٢ / ٥ / ٢١

رفاعة والقضارف انقساماً واضحاً • وكان رأى عبد الرحيم ابو دقل ، عامل جهة القضارف ،  
 ان الشكرية يجب ان ينتموا على رفاعة لا القضارف لانهم اصلاً من جهة " انتهى •  
 وانهم لا يرغبون التبعية لجعفر " لتسوشهم من تنبعه ••• وكراهيتهم لجهة القضارف <sup>١٦</sup> .  
 ولكن الخليفة رأى ان يكونوا تابعين لجعفر • واعترض عبد الله عوض التريم ابو سن  
 على قرار الخليفة بحجة ان الشكرية في رفاعة " ما لهم علاقة في القضارف ولا سكنة ولا تبعية "  
 وانهم قد انضموا عليه في رفاعة " ومنهم المساعدة التابعة ••• في امر الدين وحفظ  
 البنية وغيثهم الإقامة مع اهلهم الموجودين هنا ورجوعهم للقضارف في هذا الزمن فيسهل  
 كبير ضرر لهم وشقة " <sup>١٧</sup> • وهكذا انتهى عهد الخليفة والشكرية يعانون لانتقال انساما  
 جغرافياً ، ويظهرون ولا ١٠٠ ويخفون نفورا وتزمر للمنظام <sup>١٨</sup> .

- 
- ١١ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، • ربيع اول ، ١٣١٦ ، مديّة ، ٢ / ٢ / ٢٠١٤
- ١٢ عبد الله عوض التريم ابو سن الى الخليفة ، ٢٠ ربيع اول ١٣١٦ مديّة ، ٢ / ٢١ / ٢٠١١
- ١٨ ولعل الشاعر الحارث لو قد عبر عن هذا الشعور في قوله :
- يا يابا النفس بالانجيز اسفونا



وحدثت في تلك الفترة بعض الاحداث الصغيرة التي تعكس تدهور الاوضاع  
 الداخلية لدولة المهديّة وهي تعيين السنوات الاخيرة من عمرها • منها محاولة  
 تغيير العملة • فقد كانت المعاملات التجارية من جهة ولد مدني وحتى كركوك والقمارف  
 والقديبات تنسم بالريال القوشلي • وفي عام ١٨٩٢ ( ١٣١٤ / ١٥ ) امر الخليفة  
 بعدم استعمال اريال القوشلي وان يستبدل بالريال المجيدي • وادى ذلك  
 الاجراء الى توقف التعامل التجاري " وتعرض الضروريات على الناس " • وقد اتخذ  
 الخليفة ذلك الاجراء لتعدد انواع الريال القوشلي ولتكره استعماله حتى اصبح  
 مضموس المعالم<sup>١٩</sup> • ولكن احمد فضيل رأى ان يستعمل الريال المجيدي فسمى  
 امديان ويترك استعمال القوشلي في بقية المناطق • ويبدو ان الخليفة وافق على  
 رأى احمد فضيل • الا ان ذلك الاجراء يعكس ضعفا في النظام الاقتصادي •  
 فالدولة غير قادرة على اصدار عملة مقبولة للناس وغير قادرة على فرض عملة معينة

٩ احمد فضيل الى الخليفة ، ٨ ايلول ١٣١٥ ، مودية ، ١ / ٢١ / ٣ / ١٦٦

يقتله الناس مما جعلهم يدخلون الى علة يرونها مناسبة دون خشية من النظام الحاكم . ولم يقتصر تزعزع الثقة في العملة فحسب بل انعكس في مظاهر اخرى اهمها هروب الامراء الرايات من قياداتهم . فقد هرب ثلاثة من الامراء من القضاة بعد ان باعوا " عيوشهم " وحملوا عوائلهم . بل ان بعض الامراء اخلوا منازلهم من العوائل استعدادا للتشتت في انحاء البلاد في حالة انهيار النظام الحاكم . ولخذت القضاة انفسها تستقبل مجموعات من الانصار هاربين من اعدوان عندما اخذت تقترب منها جهوش كشعر " . وقد وصل فقدان الثقة مرحلة جعلت النور عنقرة يطالب بمسودة احمد فضيل الى القضاة والبقاء بها حتى يبعث الرهبة في الاعداء والثقة للانصار . واقترح الخليفة بناء حصن حول القضاة لحماية الاهالي وبعث الطمانينة في نفوسهم . كما امر الخليفة باغلاق سوق القضاة من العصر حتى لا يصبح مسرحا للجواسيس والسموم بالليل . ويمكننا ان نلاحظ ان الاختلاسات بدأت تأخذ طريقها في هذه الفترة الى قلب النظام . فقد اعتقل اسماعيل عبودي امين بيت المال القضاة لاختلاسهم

سبعمائة ريال من امانته<sup>٢١</sup> .

وعانت اميرية في هذه الفترة نقضا في القوى البشرية المحاربة . ولاشك ان كثرة الحروب وامتداد المجاعة عبر سنوات عديدة وتسلب الجهادية قد ادى الى ذلك النقص . ويبدو ان الدولة اصبحت تعتمد على تجنيد كل افراد القبائل مع استمرار اعتمادها على البقارة وخاصة التعايشة . وقد حوت كل الكشوفات الخاصة بالجيش في عام ١٨٩٥ (١٣١٣) الى عام ١٩١٢ (١٣١٥) فرقا جديدة في الجيش هم الخماسي والسداسي وهو لاء صبية صغار كانوا يضافون للجيش ولغلبهم من لبناء التعايشة . فاذا وصلت الدولة مرحلة تجنيد الصبية في سن خمسة عشر سنة سنة فان هذا يعكس بعض نواحي ضعفها<sup>٢٢</sup> .

ولاشك ان تحركات احمد فضيل المستمرة — اما منفردا او بجيشه — قد ساهمت بدورها في اشغال الادارة الداخلية في هذه المنطقة . وكانت تلتسك

٢١ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٠ رجب ١٣١٣ ، مودية ، ١ / ٢١ / ١٩٨٨

٢٢ هناك عدد من هذه الكشوفات ولكن اهمها ،

مودية ، ١ / ٢١ / ١

انحركات تمهيدا لضروف الحربية واحتياجات الدفاع والتشاور مع الخليفة في الاخطار  
 الخارجية المتجددة . وفي يونيو عام ١٨٩٤ ( محرم ١٣١٢ ) ، عشية الاحتمال  
 الايطالي لكسلا ، غادر احمد فضيل القصارف الى امدرمان ولكنه عاد في الشهر  
 التالي لمواجهة اي تطورات قد تنشأ عن احتلال كسلا . وبعد شهر من عودته  
 رجع ثانية الى " البقعة " ويبدو ان تلك الرحلة كانت للتشاور في كيفية تلافى  
 الخطر الايطالي ، وربما لهذه لتهداة الاحوال بين احمد فضيل والنور عنقرة . وفي يوليو  
 عام ١٨٩٥ ( صفر ١٣١٣ ) قام احمد فضيل برحلته الثالثة الى امدرمان وفي نفس الوقت  
 من العام التالي قام برحلة رابعة الى رحاب الخليفة . وفي صريق عودته المسى  
 القصارف استعداد الخليفة الى امدرمان لمواجهة الزحف الاستعماري الذي بدأ بقيادة  
 تشنر . وعاد احمد فضيل بجيشه ليقبى برفاعة على امية الاستعداد ان ان امدرمان  
 لم تكن تحتل جيشه بأكمله . وفي اغسطس ١٨٩٢ ( ربيع ثاني ١٣١٥ ) تحرك  
 احمد فضيل بجيشه الى اسبلوقة وبقي بها حتى يناير ١٨٩٨ ( رمضان ١٣١٥ ) وكان  
 ذلك الاجراء قد اتخذ لمواجهة اي تطورات قد تنشأ من معركة عصبية . وفي  
 فبراير ١ ( شوال ) عاد احمد فضيل الى القصارف بعد هزيمة الانصار في معركة

عصبة • وفي يوليو (ربيع أول ١٣٢٦) غادر أحمد فضيل القطار، بكل جيشه إلى

امدرمان لنقدم موقف الخليفة •

من الواضح ان أحمد فضيل لم يمكث بالقطار طويلا وحتى عند بقائه بها

كان مشغولا بقضايا هامة على مستوى الدولة ككل فلاغرابية • اذا تدهورت الأوضاع

الداخلية ولحق بالناس الكثير من الظلم والتعدي على حقوقهم<sup>٢٣</sup> ويمكننا ان نخلد

إلى القول بان عهد أحمد فضيل شهد طغيان الأحداث الخارجية والخطر الاستعماري

على الأحداث الداخلية ولذلك كان عهده عهد تدهور داخلي وفقدان الثقة بـ

المهدية •

### الصراع بين دولة المهدية والايطاليين

لاشك ان احتلال الايطاليين لكمل في يوليو ١٨٩٤ (محرم ١٣١٢) قد فتح

جبهة جديدة كان على المهدية مواجهتها مما استغرف قدرا من طاقاتها الحربية • فقد

---

٢٣ عبد الرحيم البرجو إلى الخليفة ، ١٥ رمضان ١٣١٥ ، مدية ، ٢ / ١٨ / ٩ / ٣٠٤ - ١٠٥

قام الايطاليون بغزو كسلا والاستيلاء عليها وحرقها وهرب مساعد قديم من المعركة حتى لقبه الخليفة " بحليمه " . ولم يكن الانتصار على يقين من امر الايطاليين ان كانوا ينوون الاقامة بكسلا او الحودة<sup>٢٤</sup> . ولذلك طلب الخليفة من احمد فضيل اتخاذ من الاحتياطات اللازمة وان يكون على حذر من مكر " الايطاليين والعربان المنافقين " ، فقام احمد فضيل بارسال عمر محمد الشيخ مع خمسين جهاديا للاقامة بالفاشسر " لرصد اخبار الاعداء " ، كما عين عددا من المجاهدين " لمرقاة " بالطرزو . اندلعت على مركز القدارف من بحرى ومن قبلى " . ورتب عددا من الدوريات لتصر من القومات حتى انفاشر ودوريات اخرى من الفاشر الى جهة اصبرى على ان تتعاقب هذه الدوريات يوميا . ولاهمية نقطة الفاشر لانها " موالية لكسله " ارسل احمد فضيل احد عشر راية بقيادة كويس النور لتعزيزها . واصطدمت تلك الرايات بأربعة " قلعات " للايطاليين فى الطوية . فهاجم الانتصار الايطاليين و " هزموهم قتلوا واخفوهم طعنا وضربا " وقتل فى تلك المعركة القائد الايطالى هرودة<sup>٢٥</sup> . ويبدو ان

٢٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٣ صفر ١٣١٢ ، مديدة ، ١ / ٢٠ / ١١٢

٢٥ المشار الى اسحق الى احمد فضيل ، ٢ جمادى الاخر ١٣١٢ ، مديدة ، ١ / ٢ / ١١٢

الايطاليين تهيبوا الخروج من تحصيناتهم في كسلا بعد تلك الواقعة .

وفي ابريل ١٨٩٥ (شوال ١٣١٢) قرر احمد فضيل ان يغزو جزر كسلا قبل

ان يرتفع نهر عصبة فيحول بين الانصار و " جهة المعاش " اذ ان بقاء الجيش

بالقنارف يؤدى الى " تضايق بالمعاش ونزوماته الضرورية بالمركز لانه ليس

بيت ماله خالى " . ويقترح احمد فضيل غزو المنطقة " الوسطانية بالتحديد ما بين

بحر انبرة . . . وبحر النيل الازرق . . . ( اذ ) فيها حلالات معتاد سربها . . . .

وهي جنة دنكر و جهة الفنجارة " وبها من الغنائم ما يساعد الجيش على تحمل فترة

الخريف <sup>٢٤</sup> . واستعدادا لتلك الغزوة استدعى احمد فضيل رايات خاطر حميدان

من الفاشر شي ان يعيد تقوية مركز الفاشر والمراكز الاخرى بعد انتهاء فصل الخريف .

لقد تحولت جيوش الهندية الى مجموعات مقاتلة تبحث عن قوتها في مختلف

الاتجاهات . ويشح كذلك الاستفادة من العوامل الجغرافية اذ تسبب التيهون

١١. امراكتر في زمن الخريف ويعد تقويتها بعد انتفاذ المعاجمة الى هجوم مرتقب .  
 بعد انباء الخريف ارسل احمد فضيل ثلاث عشرة راية الى افانر وتمسك  
 رايات الى مسرع الانسحاب وعائة وثلاثة واربعين جناديا بقيادة عبد الرحيم  
 البردقل الى الحبرون .

وفي مايو ٦ ١٨ (شوال ١٣١٣) حدث تصور سياسي هام في تلك المنطقة  
 عندما استنماع الحبر هزيمة الايطاليين في معركة عدوة . ولم تغب اهمية ذلك  
 الحدث على انتباه الانصار فقد وصلت اخباره الى الانصار عن طريق جواسيسهم  
 من الجبرنة . وعلم احمد فضيل كيف دار الايطاليون " في وهن وخيبة وقلة جموعهم  
 بكسلة " <sup>٢٧</sup> . فرأى ان يغتنم فرصة انشغال الايطاليين بالتحرب مع الحبشة ويقوم  
 بغزو كسلا واعادتها . وتردد الخليفة كثيرا قبل ان ياذن بملك الغزوة خوفا من  
 وقوع كارثة حربية اخرى قد تؤثر على نظامه بالكلية <sup>٢٨</sup> . وعندما علم الايطاليون

٢٧ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٠ رجب ١٣١٣ ، مئدية ، ١ / ٢١ / ١١

٢٨ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٠ شعبان ١٣١٣ ، مئدية ، ١ / ٢١ / ٣٨



تحرك الانصار قاموا بتعزيز كسلا فارسلوا كميات وافرة من المؤن والذخيرة و ٢٥٠٠ جندي بقيادة الكولنيل استفاني • وفي ٢ ابريل (١٨ شوال) خرج الابطال من تحصيناتهم وهاجموا الانصار فتراجع احمد فضيل الى تكوف بخسارة اربعمائة رجل • وفي اليوم التالي هزم احمد فضيل وقد ثمانمائة رجل آخرين وانسحب من المعركة <sup>٢٩</sup> • ولكن احمد فضيل لم يعط صفدا صادقا للمعركة فقد ذكر للخليفة بأنه هزم الابطال بسين حتى تراجعوا لكسلا وداروا " يرموا جملهم من بطن زريبة الدير ٠٠٠ ويأتى منها اعدام الخيول " • لما ذكر ان جيخانة الانصار فرغت منهم مع العلم بان كل جندي معه سبع دسنة منها • وهذا ما جعله ينسحب من المعركة ويتراجع الى نهر عظيرة <sup>٣٠</sup> • ومن هناك دار الى انصارف حسب تعليمات الخليفة ثم قام بتفوية المراكز المواجهة للايطاليين فاربع عبد الرحيم ابني دقل ومعه ست عشرة راية وعشرون صندوقا من الجيخانة الى اصبري وارسل حامد على برهم الجعليين والدناقلة وعشرين صندوقا

٢٩ شقير ، ص ١١١٥

٣٠ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٤ شوال ١٣١٣ ، مهدية ، ١ / ٢١ / ١ / ١٠٢

جيشانة الى الفاشر • لما رأى حراسة "المقطع" بالدوريات "الوقتية المتعلة كـل  
 دورية تتسلم من المقدمة لها الى ان يعتلى البحر" • ورأى ان تلك الاحتياطات  
 كافية " لان البحر دخله النفس" <sup>٣١</sup> • ويتضح من تلك الاجراءات ان احمد فضيل  
 قد هزم فعلا في تكروفي وأنه اتخذ تلك الاحتياطات لاحتمال تقدم الايطاليين •  
 وشهدت الاشهر التالية نشاطا حربيا ملحوظا من جانب الانتصار ومن جانب  
 الايطاليين ايضا • فقد قام احمد فضيل بحملة توغل بها داخل اترريا • وكانت تلك  
 الحملة بتوجيه من الخليفة الذي رأى ان مواجهة الايطاليين في سواحي كسلا ولخضاع  
 القبائل الموالية لهم سيجعل بقاءهم في كسلا امرا صعبا وسيخفف من ضغطهم  
 على المراكز الحربية على نهر عطبرة • فارسل الى احمد فضيل ثلاثمائة صندوق من  
 الجيشانة بقد ومدفعين • وفي ديسمبر ١٨٩٦ ( رجب ١٣١٤ ) تحرك الجيش من  
 اقضارف قاصدا النومات ومنها عبر نهر عطبرة وسار محازيا لنهر سيتيت حتى مسرع  
 الحجار النزق حتى وصل الجيرة • وهناك تأكد لـ احمد فضيل ان الانتصار لـ

---

٣١ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٠ القعدوت ١٣١٣ ، مودية ، ١ / ٢١ / ١ / ١٠

يمكنوا من التسلل والرجوع الى القنطرة ، فتمرف لكل مجاهد سبع نوبت جبهانسة •  
ثم اتجه الجيش الى سرف ميتيت حتى وصل " حلال العبيد الببازة محل الزرع " <sup>٣٢</sup>  
في " امديب " - بين كسلا واغردات - دارت معركة مع القبائل المتعاونة مع  
الايطاليين وكانت بقيادة علي نورين ، وبعد غزيمة " العربان " بقي الجيش ثلاثة  
ايام قنابها في " شن بلقة الغارات بالخيول واهل السلاح على الجهات وتخريبها "  
ومارس الجيش نفس الاعمال الحربية في " مقريب " وظل في مسيره حتى سرف  
العيل " صعيد نسلة " • وقد بلغت جملة القرى التي هاجمها الجيش منذ خروجه  
من بحر سينيت اثنين وثمانين قرية مفرقة في عشر مناطق <sup>٣٣</sup> • وعندما وصل الجيش  
الى سرف الفيل وجد عليه حراسة من خمسين شخصا بقيادة حسب الله ولد رحمة  
الله الشكري فهاجمهم الانصار وواصلوا مسيرهم الى كسلا • وكان بها " اربعة  
ديانات وانكبانة بها مائة نفر " • ولم يشعر الايطاليون بقدوم الانصار " لداعي قطع

٣٢ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٩ رجب ١٣١٤ ، مديدة ، ١ / ٢١ / ٢ / ٢١١

٣٣ احمد فضيل الى الخليفة ، غاية شعبان ، ١٣١٤ ، مديدة ، ١ / ٢١ / ٢ / ٢١٥

اسلك " وقفل الصريق امام الجواسيس • وظلوا يتحصنون بكسلا ولم يخرجوا  
 لملاقاة الانصار • ولهذا السبب وفرغ الزاد وخشيت من تسلب الجهادية لجهات  
 ابهر باسباع الجوع " قرر احمد فضيل العودة الى القصارف • ولحل السبب الالم  
 انه كان يخشى من هزيمة كالتى لحقت به من جراء مهاجمة الايطاليين في تحصيناتهم<sup>٣٤</sup>  
 بلغت غنائم الانصار من تلك الغزوة مائة جمل وسبعمائة من الاغنام ومائتى بقرة ومائتى  
 عشرة من الخيل ومائة من الرقيق وبلغ الخمس الخاص بالخليفة مائة وخمسة وثمانين  
 من الابقار • وفقد الانصار ثمانى شهداء في كل المعارك<sup>٣٥</sup> •

وكانت عودة احمد فضيل الى القصارف بدون ان من الخليفة وهذا يخالف  
 التقاليد المتبعة في المهديّة • ولذلك رأى ان يقوم بغزوة اخرى حتى لا يبدو  
 عودته وكأنها خوفا من الحرب • وذكر للخليفة ان تلك الجهات لم تكن معروفة مسن

---

٣٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ٣ رمضان ١٣١٤ ، مهديّة ، ١ / ٢١ / ٢ / ١٧

٣٥ احمد فضيل الى الخليفة ، ٢٧ رمضان ١٣١٤ ، مهديّة ، ١ / ٢١ / ٢ / ٢٤

عيل للانتصار واما الان فانهم صاروا فيها خبراء " والدرب فاتح " . كما ان الجيش لم يمس ضرر من الغزوة السابقة . والذرة أصبحت شحيحة بالقضارف كما ان ارتفاع نسيب الانصارى فى الغنيمه <sup>سيصبح</sup> حلفزا قويا <sup>٣٦</sup> . وبالرغم من تعدد الاسباب التى اوردتها احمد فضيل الا انها تتناقض مع ما ذكره من قبل من قلة المعادى بجهات سلا . ولعل الخليفة لحسن بضعف تلك الحجج فرفض خروجه الجيش للغزو . وانشغل بعدها الخليفة بالخطر الزاحف من الشمال . وهكذا انتهت مجهودات احمد فضيل الحربية ضد الايطاليين دون ان تغير من الواقع الحربي فى المنطقة ودون ان تحدث اى اثار سياسية .

اما مجهودات الايطاليين الحربية فقد تركزت فى الهجوم على النقاط الحربية التى اقامها الانصار على نور عذبة وبالذات مركز اصبرى لانه اهمها اذ يسيطر على الطريق الى البعانة والقضارف . وفى يونيو ١٨٩٦ ( مطمح عام ١٣١٤ ) هجم الايطاليين على مشرع المقطع بعد ان عبروا البحر سباحة . وبما ان الانصار لا يعرفون

السباحة - فاعلبيهم من الغرب - فلم يتمكنوا من اللحاق بهم وضربهم ولذلك طلب قائد المنطقة مده بالمراكب • وبعد اسبوع من تلك الحادثة هاجم الايطاليون مركز اصبرى وظلوا يعطرونه بانصرام من الشاطئ الشرقى دون ان يتمكن الانصار من العبور اليهم لامتلاء النهر • ولحق عبد الرحيم ابو دقل بضعف موقفه ان كان معه مائة وخمسون رجلا مقاتلا فقط فاستغاث باحمد فضيل طالبا " النجدة النجدة " • اما الايطاليون فقد اعدوا هجومهم مرتين متتاليتين بالرغم من وجود دوريات كانت تمر على الشاطئ الغربى • وعندما بدا النهر فى الانحسار زادت خطورة الموقف ان كان بإمكان الايطاليين العبور الى الضفة الغربية ومهاجمة اى من المراكز المنتشرة عليه •

٣٧  
فارسى احمد فضيل الرايات " اللازمة " لتعزيز الموقف فى اصبرى والفاشر • وفى يناير ١٨٩٢ ( رجب ١٣١٤ ) هجم الايطاليون على مركز اصبرى ودارت معركة عنيفة استمرت ثلاثة ايام استولى بعدها الايطاليون على شاطئ النهر الغربى • وظل الانصار داخل تحصيناتهم والمعركة دائرة • وبعد اسبوع نفذت جبهة الانصار

فاغتر ابو دقل للتراجع الى الصفية بعد ان فقد احد عشر شهيدا وخرج من جماعته  
 خمس وثلاثين واستولى الايطاليون على لصبرى<sup>٣٨</sup> . ثم قاموا بتعزيز مواقعهم فسمى  
 لصبرى بان حضروا في اعداد جديدة " اكثر مما كانوا به " كما انهم " متغلبين ...  
 بالبناء اللزوم للاقامة " . ولكن ابو دقل ظل يجهل نواياهم " ان كانوا متوجهين  
 للقضارف ام قاسدين اعمال فقط على شاطئ " بحر انبرة بمحلات معلومة لديهم "<sup>٣٩</sup>  
 ولعل الخليفة ادرك ان نشاط الايطاليين المتزايد في الشرق كان الخزان منـه  
 شغل الانتصار حريبا حتى تسهل مهمة الجيوش الغازية من الشمال . ولذلك رأى  
 ضرورة الاهتمام بمركزى لصبرى والفاشر حتى لاتصبحا منافذ للتسلل الايطالى ، بل  
 ورأى ضرورة استعادة لصبرى . ولكن احمد فسيل افترض على تلك الخطوة خوفا من  
 ان يتسلل الانتصار وينضموا الى الاعداء فيعلم الاعداء " بحالة ضعفهم بعد التسلل "  
 واقترح اما ان يقوم الجيش بأكمله الى لصبرى والفاشر او يرسل ربيع عبد الرحيم

٢٩ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، ٧ شعبان ١٣١٥ ، مهدية ، ٢٢/١١/٦/٢

٣٠ عبد الرحيم ابو دقل الى الخليفة ، ٢٢ شعبان ١٣١٥ ، مهدية ، ٣٠/١١/٦/٢

البرجوازية الى هناك • ولكن الخليفة رأى ان تلك الخطوة تخدم اغراض  
 الاوربيين تماما ورأى ان يرسل بعض الخيالة من السرية وان يعود ابو دبل الى  
 الجبل مع بعض التعزيزات • ورا ذلك بدلا من ارسال خبراء من الجيش الى  
 ترسل دوريات تسيرون الفاشر واصبري ليصبح نهر عطبرة تحت " الاستكشاف  
 المستمر" <sup>٤٠</sup> • وشغل الخليفة بالخطر الذي اخذ يشتد من الشمال فامر ابد دنا  
 بالانسحاب الى رفاعة ليكون بالقرب من ام درمان • وهكذا انتهت علاقة الدولة المهدية  
 باوجود الابن الى في كملا - حتى استولى عليها الانجليز - وكانت كعندهم دائما  
 راجحة في المعارك الحربية • وقد انهكوا من قدرات الدولة المهدية في تلك  
 الجهة ايما انكسار •

### سياسة دولة المهدية تجاه الحبشة

تتلخص سياسة دولة المهدية تجاه الحبشة في هذه الفترة في ثلاثة اتجاهات  
 رئيسية : حربية ، واقتصادية ، ودبلوماسية • اما الناحية الحربية فقد شهدت

٤٠ احمد فتيل الى الخليفة ، ٨ شوال ١٣١٥ هـ ، مهدي ، ١ / ٢١ / ٣ / ٢٩٤



تدهورا عاما في عهد احمد فضيل • وهذا التدهور هو امتداد للتدهور الذي  
 بدأ بعد معركة القلايات الكبرى واستمر بقية عهد الزاكي طعل واحمد علي • ولعل  
 ابرز مظاهر ذلك التدهور افتقال المركز العسكري من القلايات الى القدارف • ويعكس  
 ذلك التحول انصراف الدولة المهدية عن الحروب الحثيثة وتركيزها على الزراعة  
 وعلى جبهتي كسلا والشمال • واصبحت القلايات مركزا عسكريا صغيرا به خمسمائة  
 جهادي بقيادة النور صلصه (غير الخليفة اسمه فيما بعد الى صلاح) ومع عدد  
 من الامراء المغمورين مثل حسن سعد النور وعمر ولد دوم وعيسى ولد ابورابحمة •  
 وينعكس ذلك التدهور الحربي كذلك في تحويل نقطة الجيرة الى التومات • ولذلك  
 فالاعمال الحربية التي تمت في هذه الفترة لاتعدو عن كونها مناوشات في الحدود  
 وبعض اعمال التجسس وبعض حركات الشفنة • وكان اولئك الشفنة مصدر ازعاج  
 حتى لدولة الحبشة نفسها • لقد تحول النشاط في هذه المنطقة الى اعمال  
 اللصوصية بعد ان كانت مسرحا لمعارك هامة • ولعل انتصار الحبش على الايطاليين  
 قد اعطى الحبشة وضعها حربيا متفوقا وساعد بذلك في حسم الصراع بين الدولتين •  
 على ان ذلك التدهور العسكري لم يصرف الانتصار عن تتبع اخبار الحبش

والتجسس على تحركاتهم<sup>٤١</sup> . وكان الانتصار بعض الجواسيس داخل الحبشة ممن  
 بعض القبائل التي كانت تنظر صوب المهديّة ترغب في ان تستظل بظلها . ولعل  
 الجبرته هم اهم تلك القواعد . وكان للجبرته راية في جيوش المهديّة منذ بدايته  
 الثورة واستمرت طوال عهد المهديّة تنقل من الفور فورا الي عراحد خوجيني  
 وغيرهما . وعمل الجبرته ينقلون للانتصار لخبار الحين بانتظام حتى اصبر عليهم  
 الى حروبهم . وارسل الانتصار الشيخ حسين الجبرتي الى شلقه حاملا معه الامان  
 لاسلها وذلك بغرض افساد مشاريع منليك لضم اهل تلك المنطقه الى صفه لاستغلالهم  
 في ازعاج حدود الانتصار<sup>٤٢</sup> .

ونقل الانتصار يعتمدون باخبار الحين فند دائما في تلك الج نواياهم  
 وهم في نظرهم دائما " اعداء الله ولا يوه من لهم عاقبة كونهم مبغضين بالمكسر " .  
 وشعر الانتصار بارتياح شديد عندما اشتد الصراع بين الحبش والايطاليين فضا فسي

٤١ : مكين علي الى احمد فسيل ، ٨ شعبان ١٣١١ ، مهديّة ، ٢٠ / ٣٥ / ١٩ / ٢٢٢  
 ٤٢ : النور صلعه الى فضل الحسنه ، ١٩ ربيع اخر ١٣١٢ ، مهديّة ، ١ / ١ / ٤ / ٦٤

نظر الانتصار أعداء الله . وعندما انتصر الحبس على الايطاليين " قاتلهم الله " معا لم يهدأ خاطر الانتصار وربما اعتقدوا بتقديم الحبس الى القلايات . فارسل احمد فضيل ربيع عبد الرحيم البرجو وسعد الله عز الدين ولكن الحبس قبعوا في مكانهم وتلاشت مخاوف الانتصار<sup>٤٣</sup> .

١١ انشباط التجاري فقد أصبح يمثل عنصرا هاما في علاقة الدولتين ولم تكن العلاقة التجارية بين المهدية والحشة تتأثر بالظروف الحربية بل ظلت تسير دائما في مجراها الطبيعي وظل " النقادية " واردين بحالة امنئتان وهم لا لهم تعلق بالحراية ومن عوايدهم السابقة ان الحراية تكون دائرة ما بين الانتمسار والمكادة وهم يحسروا يبيعوا ويشتروا<sup>٤٤</sup> . وفي السنوات الاخيرة هذه أصبح انشباط التجاري يحتل حيزا كبيرا في تلك المنطقة . ولعل خيرا ما يعبر عن سيادة اناحية التجارية هذه ما كتب حاكم شلقا الى النور صلاح قائلاً " ونحن صالين عمارة

٤١ محمد فرج الى الخليفة ، ١٩ شوال ١٣١٣ ، مهدية ، ٢/٢٦/١٠/١٢٠٠

٤٤ احمد فضيل الى الخليفة ، ١٢ شوال ١٣١٢ ، مهدية ، ١/٢٠/٢/١٢٣٣

اسواق وعمار البلد بالمضرة معكم ونحن نهينا تنبيه للنقاد بالانزول وانتم كذا  
 تنبيه تنبيه وتعصوهم امان الله واما رسوله \*<sup>٤٥</sup> ويبدو ان اعطاء الامان للنقاد  
 كان من الضرورات الهامة لاستمرار التجارة • فقد كانوا يحسبون احيانا الى القلايات  
 بجزء من بداعتهم لانهم غير مطمئنين على مستقبلها • ولم يتردد الانصار في تأمين  
 النقادية وتأمين بداعتهم • ولعل الحبش لم يكونوا اقل حرصا من الانصار على استمرار  
 تلك التجارة • وكثيرا ما كانوا يرسلون اهدايا الى امراء الانصار والى الخليفة تعبيرا  
 عن شعورهم ابدي حتى لا يعترض الانصار على عملية التبادل التجاري • بل لجأ  
 الحبش ، وتبعهم الانصار فيما بعد ، الى اعطاء التجار الذين كانوا يتنقلون عبر الحدود  
 اوراقا تثبت سويتهم التجارية حتى لا يشعروا بالتجسس • وحيانا كانت تشك سلطات  
 البلديات في بعض التجار فكانوا يضعونهم " تحت النظر اشبه بحبس عين " <sup>٤٦</sup> •  
 ونتيجة لتلك المجهودات فقد انتعشت التجارة في القلايات واصبح " المكادة طالعين

٤٥ حاتم تلقا الى النور صلعه ، ١٨٩٤ (غرة جماد اول ١٣١٢) ، مصرية ١ / ٣٤ / ١٦ / ٢٠

٤٦ احمد فصيل الى الخليفة ، ١٠ اغر ١٣١٢ ، مصرية ، ١ / ٢٠ / ٦ / ٢٤٢

نازليين " بل ان بعضهم كان يأتي من صوع ومن " اقصاد ديارهم من لم يسبق له  
 وصول للقازيات كلية حتى في زمن الكفرة وكذا من سبق حضوره وانقطع المنسبين  
 العديدة " . وحتى التومات التي لم تعرف من قبل كمركز تجارى أصبح يسرد  
 اليها النقادية باعداد كبيرة اذ وصلها في شهر واحد ثمان وثمانون تاجرا <sup>٤٧</sup> .

واصبحت زريبة القنايات سوقا تجاريا نشطا ودار صراع بين عدد من العمال  
 حول الاشراف على تلك الزريبة لان الاشراف عليها كان مصدرا للثروة والنفوذ . واخيرا  
 ولي امرضا الى يوسف سليمان وادم الجزولي ولعل هذه الادارة الثنائية كانت بفرض  
 سادى الفلاعب باموال الزريبة . وتقاضت دولة المندية من النقادية العشور على بغدادتهم  
 واحيانا كانت تلك العشور تزيد قليلا . وبلغت ايرادات العشور في تلك الفترة مبالغ  
 هائلة . ففي فبراير ١٨٦٨ (رمضان ١٢١٥) بلغت خمسمائة ريال ، وبعد شهرين  
 الف ريال وفي الشهر التالي بلغت الف وخمسمائة ريال وفي نهاية نفس الشهر كانت  
 الف ريال اخرى . وقد ادت تلك الايرادات الهائلة الى ان يفكر الخليفة نسي

الدخول في عملية التجارة وذلك باستخدام رؤوس أموال لجلب بضائع من الحبشة  
وبيعها • وسارت الاجراءات لتنفيذ تلك الخطوة في سرية تامة وظل السندويون من  
الخليفة " يتصلون بانقادية سرا<sup>٤٨</sup> • ولعل انشغال الخليفة بالزحف البريطاني في  
ذلك العام ادى الى توقف تلك المصالح •

وكانت اهم البضائع التي ترد الى القلايات الاقمشة مثل الديمورية والمرمر والزرق  
والدبلان والولامة والجاوة • وكانت الديمورية والمرمر اكثرها انتشارا ، ويأتي البن في  
المرتبة الثانية اذ يصل الوارد منه في العام الى عشرات القناطير • ثم يأتي العسل  
بعد ذلك • وكان من ضمن الواردات بعض الكماليات مثل العطور والفناجيين  
وغيرهما • اما الحيوانات الواردة فاهمها الخيل والحمير • اما صادرات القلايات  
فقليلة اهمها الابقار وبعض المنتجات الزراعية •

وان انتعاش الحركة التجارية الى انتشار المنفعة — قطاع الطرق — في تلك  
المنطقة • واضطر الحمير الى اقامة دوريات في الصرق لحراسة القوافل التجارية •

بعد انتشار الشقة القوافل وصحوا بهاجمون القرى في كل من البلدين مثل هجومهم على القومات . وحدث ان ذهبوا قافلة بها مبلغ ثمانمائة ريال . واشتهر " كدانا مريه " كخطر اولئك الشقة في تلك المنطقة ، وكان مصدر ازعاج اكسير للحيث انفسهم . وبالرغم من ان نشاط الشقة قد ادى الى عرقلة الحركة التجارية الا انه كان مظهرا لانتعاش تلك الحركة وازدهار الطرقات بالقوافل .

وتصورت العزقات الدبلوماسية بين البلدين في هذه الفترة تصورا ملحوظا . وكان لتدهور الاحوال الداخلية في دولة المهدي وتزايد الخطر الخارجى اثره على الخليفة ان تنازل شيئا عن التشدد المذهبي الذي كان سمة لعلاقته بالحشة في الفترات الاولى من حكمه . فشهدت السنوات الاخيرة من عهده محاولات جادة لاقامة نوع من السلم او قل الصلح مع الحشة . فنشبت حركة السود التي كانت تروى وتخدو بين الخليفة والنفس . على ان احببوا كانوا اكثر ويدا بسيرة احلال السلم خصوصا قبل عدامهم وبعد انتصارهم على الايطاليين .

وبدأت تلك المفاوضات برسول من قبل منليك يدعى محمد لطيف الجبرتو جاء

يحمل رسالة شفوية إلى الخليفة فيها عرضا للصلح . وغادر محمد الطيب بملاط منليك في يوليو ١٩١٥ ( صفر ١٣١٣ ) بعد أن قابل منفشا ( ابن يوحنا ) . واعداد الخليفة رسول منليك إليه برسالة يطلب فيها من منليك أن يحرر مذاتبة رسمية بختمه " بالتماس ذلك ( المسلم ) للنظر فيها " <sup>٤٩</sup> . ويبدو أن محمد الطيب مرض في الطريق ولم يتمكن من مقابلة منليك فورا وفي ذلك الاثناء انتصر منليك على الايطاليين <sup>٥٠</sup> . فأرسل الراس بتوادد منقشا رسالة سريعة إلى الخليفة تباينة عمن منليك جاء فيها " والان فان الامبراطور يرغب في السلام والعلاقات الاخوية ومن الأرجح أن تكتب له حالا خطايا وديا " <sup>٥١</sup> . واتبعها منليك برسالة من عنده

٤٩ : الخليفة إلى منليك ، ١٣ صفر ١٣١٣ ، مهدية ، ١ / ٣٤ / ١٢ / ٢٢

يرى هولت أن هذه الرسالة حادة النغمة . ولكن إذا قارنها مع رسائل الخليفة نرى فيها تنازلا كبيرا من جانبه .

Holt, The Mahdist State, pp. 196-7

٥٠ : محمد الحليمي إلى أحمد فضيل ، ١٣١٣ ( بقية التاريخ غير مذكور ) ، مهدية ٢ / ٤١ / ٨ / ٧٨

٥١ : الراس بتوادد منقشا إلى الخليفة ، ١٩١٤ ( ١٣١٢ ) ، مهدية ، ١ / ٣٤ / ٦ / ٢١٩



حملها رسولا خالصا يدعى الحاج احمد الجبرتي حتى يسمع الخليفة " دامة الكلام من لسانه " . يقول منليك في تلك الرسالة الهامة " ومن جهتي انا احب السلم والامان والمحبة كما ( لتخبركم ) قبل الان ٥٥٥٥ . واذن كذلك احب ان اعيش بالسلم والمحبة مع جيراني الافريقيين ولا اريد معهم حرب ولا اكرام بل المحبة السلمية الحقيقية التي هي صيبة - احب ايدا ان اعيش بالمحبة مع الدول الذي يحيد من بلادنا - ولكن العدو الذي يجي على من دون حق ارجعه بقوة ربنا - ولا اريد ان اتوت من حدود اثيوبية والدور خناقه مع الناس " <sup>٥٢</sup> وتكتب بتوادد منقشا الى الخليفة مـ كذا ذلك المعنى قائلا " وارجو ان الفت نشارك لتكون على حسنة من الانجليز الذين دخلوا دنقلا في الشتاء ، ان عدوك عدونا وعدونا هم عدوك ونحن يدا واحد في اتحاد متين " <sup>٥٣</sup> .

تبعث الخليفة في سبتمبر ١٨٦٦ ( ربيع اخر ١٣١٤ ) وفدا برئاسة محمد عثمان حاج خالد معه عبد الرحمن الجبرتي ومحمد اسفوسى وادم الجزولي وعبد الرحمن

٥٢ منيت الى الخليفة ، ١٦ ابريل ١٨٩٦ ( ٣ القعدة ١٣٠٣ ) ، مديية ١ / ٣٤ / ١٦ / ٢٢١  
٥٣ بتوادد منقشا الى الخليفة ، ١٢ يريو ١٨٦٦ ( ٦ صفر ١٣١٤ ) ، مديية ١٢ / ٣٤ /

المعزى واليدري الجبرتي • وتحرك الوفد في ٢٧ أكتوبر ( ٢٠ جماد أول ) من  
 انصار الى انقذبات حيث تخلف بعض اعدائه • ثم ساروا الى ثلقة وبعد ذلك  
 شمر وحملوا الى ليو (Liou) وهي عاصمة الراير منقذا • وهناك تأخر الوفد  
 شهرا لمرور محمد عثمان حاج خالد وبعض مرافقيه وقد اكرم منقذا الوفد غاية الاحكام  
 ومسيرهم بقدمهم وهو في راي ولد حاج خالد " صاحب الاهتمام الاساسي في عقد  
 الصلح ليوقف غارات الانصار " <sup>٥٤</sup> • وكانت البعثة تقابل في طريقها الى منليك  
 من اديس ابابا باسفاوة " حتى كلما مرينا على قطر يحتفلون بمراسم مساعات باسفيول  
 والبغال ويحملوا غننا من بهائمنا على رؤسهم ويحملونا فوجن على بهائمهم  
 وبهائمنا يطلقونها سدا تمشي " <sup>٥٥</sup> وعند وصول الوفد الى اديس ابابا قابله منليك  
 " بعساكر الخاصة " • فسلم محمد عثمان خالد رسالة الخليفة الى الامبراطور •  
 وتختلف هذه الرسالة عن رسائل الخليفة السابقة في روحها وطريقة عرضها •

٥٤ محمد عثمان حاج خالد الى الخليفة ، ٢٧ جماد آخر ١٣١٤ ، مديية ، ٥/٢/٣٦/٢

فان خليفة في تلك الرسالة يقبل مبدئيا العرض المتقدم من منليك لعقد الملاح بينهما  
 يمكن الخليفة ابدى تحفظات معينة . فهو يرد كد لمنليك بانة لاملة له بالاوربيين  
 ليس بينه وبينهم الا الحرب ، ويطلب من منليك ان يكون كذلك وان يعطى جميع  
 الاوربيين من الدخول الى بلاده . فاذا وافق منليك على ذلك عليه ان يرسل  
 سخدا من صرفه " لانقاذ الصلح " . فتلقى منليك الرسالة " بغاية السرور باقبال  
 والانشراح بجميع مقاعد خليفة المهدي وافق عليها موافقة الضيق الصالح " <sup>٥٦</sup> . وكان  
 منليك متحمسا لعقد الملاح ويرى ان المخزقات الدينية لانهم كثيرا بل اقترح انشاء  
 مواصلات منتظمة بين البلدين .

وقابلت البعثة قبل عودتها الراس منقشا ابن يوحنا وقابلت الراس عدا وعات  
 تحمل رسائل منهم جميعا الى الخليفة . وصحبتهما كذلك بعثة سلازم من منليك مكونة

٥٥ الخليفة الى منليك ، ربيع اخر ١٣١٤ هـ ، مهدي ، ١ / ٣٤ / ١٢ / ٢٤

٥٦ محمد عثمان حا خاند الى الخليفة ، ١٨ شوال ١٣٢٤ هـ ، مهدي ، ١ / ١٠ / ٢٢ / ٢٠ .

من عشرة اشخاص . وفي ابريل ١٨٩٧ (نفاية شيار ١٣١٤) وصلت البعثتان الى  
 انقاراف في طريقهما الى اندرمان . وراى ولد حاج خاند ان تكرم بعثة منليك  
 بالمستوى اللاتى فاقترح على الخليفة ان يذبح لها كل يوم " خروف " وهى نفس  
 الطريق . ثم راى ان يتاخر بالبعثة حتى تصل الى اندرمان مع " عربة العيد ...  
 ليرى (رئيسها) مايرغبه ويرهبه " . وفي مايو (مطلع ذى الحجة) وصلت البعثة  
 الى اندرمان وسلمت الرسائل الثلاثة .

وكان رد منليك على رسالة الخليفة واحدا . فذكر له انه لا توبت بينه  
 وبين الاوربيين اى علاقة ماعدا التجارة والتي هى ضرورة لمحبة وللشودان معا وان  
 ايقافها سيكون اكثر ضررا للبلدين . اعرب عن استعداد له لقبول اى شروط اخرى  
 وانه مستعد لتقديم اى مساعدة من - مال وضاد فى حالة اى غزو اوربي على  
 السودان<sup>٥٧</sup> . وجاء فى رسالة منقشا " فالآن حيث صارت المحبة ستكون الامر

---

٥٧ اقوال محمد عثمان حاج خالد التى ادلى بها للمخابرات البريطانية بعد  
 واقعة كرى ، ١٨٩٨ (١٣١٦) ، مبدية ، ١ / ٢٤ / ١٥ - ١٤٣ - ١٥٠

من الشر الذي فات " وابدؤ استعدادك بالتعاون مع الخليفة <sup>٥٨</sup> . وكتب السراسر  
 ٥٩. لـ " قائلًا " ونحن جميعا الاثيوبيون والسودانيون ابناؤ بلد واحد . . . . وارسلمت  
 نتر من توابعي . . . . لتأكيد المحبة وبعد هذا اجعل الطريق مفتوح لتسهيل المواصلات  
 بيننا " وبحث للخليفة بحداد ويغل كعنوان لتلك المحبة <sup>٥٩</sup> . على ان تلك البعثات  
 البريدية لم تمر عن عقد اى معاهدة بين البلدين <sup>٦٠</sup> . ولعل الغزو اثريعياني قد  
 شغل الخليفة ولعله كذلك قد صرف منليك من الخليفة .

وصلب الخليفة من منليك ان يعاونه فى الخطط ولد تور الفورى عام ١٨٩٧ سنقول  
 الذى تمرد على سلطة الخليفة . فوجدها منليك فرصة ليزحف بحدوده ثريا نعيمو

- 
- ٥ . منقشاً يوحنا الى الخليفة ، ١٣ سبتمبر ١٨٩٧ ( ١٠ رمضان ١٣١٤ ) ، مودية ،  
 ٢٢٧ / ١٦ / ٢٤ / ١
  - ٥ . تكلاهيمانون الى الخليفة ، ١٨٩٧ ( ١٧١٥ ) ، مودية ٢٣٠ / ١٦ / ٢٤ / ١
  - ٦٠ . يقول عبد الله حسين انه فى عام ١٨٩٧ ابرمت معاهدة بين منليك والخليفة  
 وهذا ما لم يحدث بقاتا . راجع :  
 عبد الله حسين ، ص ٢٥١

النيل الأزرق • كما أرسل حملة أخرى نحو النيل الأبيض بغرض وقف الترحسف  
 الأوربي على النيل • وكتب للخليفة موضحاً تلك الخطوة بقوله " أخبرك أن الأوربيين  
 الموجودين حول النيل الأبيض مع الانجليز قد خرجوا من الشرق والغرب وقصدوا  
 أن يدخلوا بين بلادى وبلادك ... والآن امرت جيوشى أن يوصلوا الى النيل  
 الأبيض ولربما تسمع خبر من التجار أو غيرهم تفكر فى شئ • لخر ولذلك كتبت  
 اليك لى تعرف القصد وانت من جهتك تحفظ ولا تدع الأفرنج يدخلوا بيننا ونشدد  
 لأنهم اذا دخلوا الأفرنج فى وسطنا يصير تعب عظيم لنا .... وإذا كان يحضر  
 عندك احد من الأفرنج عابر طريق اعمل كل اجتهادك حتى تصرفه بالسياسة " ٦١  
 وعندما اخذت جيوش كشمير تقترب من امدرامان بعث منليك برسالتين الى  
 الخليفة يطلب منه ان يفتح عينيه من الأوربيين • كما أرسل له علماً فرنسياً لى

---

٦١ مصرية ، ١ / ٣١ / ١٦ / ٢٥٦ • ( هذه الرسالة بدون عنوان وبدون تاريخ  
 ولكن من الواضح انها من منليك الى الخليفة وانها كتبت حوالي

يرفعه في حدوده اذا هاجمه الانجليز • ولكن الخليفة رفع رقع العلم واعاد  
 بن محمد الطيب الى خليك ٦٢ •

### نهاية دولة المهدية في منطقة القضايف - القلايات

عندما احتل كتشنر دنقلا طلب الخليفة من احمد فصيل ان يحضر بجيشه الى  
 امدرمان لمواجهة اي تطورات غير مرتقبة • وفي ذلك الاثناء تم احتلال دنقلا  
 بواسطة الانجليز وانسحب منها الايطاليون • فارجع الخليفة احمد فصيل الى القضايف  
 لمواجهة الخضر الذين ظهر في الشرق واخذ منه رايته فضل الحسنه وعبد الله  
 حبيب وادامها الى جيش محمود ولد احمد • وعندما اقتربت جيوش كتشنر من  
 امدرمان راي الخليفة ضرورة حضور احمد فصيل • فخادر القضايف بجيشه وترك  
 خلفه حامية بقيادة النور عنقرة وسعد الله عز الدين • وفي طريقه الى امدرمان علم  
 احمد فصيل بسقوطها فعاد ادراجه الى القضايف • واتصل الخليفة باحمد فصيل

من مخبائه بدار الجوامعة وحته على الصعود واخبره بأنه سيعيد الكرة - استمر  
 ينتصر الدين ٦٧ .

أما نتسرفقد رأى ان تراجع احمد فضيل بذن الجيش الى القضايف سيكون  
 بتدريخضوة • فامر الكلونيل بارسونز (C.S.G. Parsons) القائد  
 البريطاني لحامية كندا بان يتحرك الى القضايف • كما ارسل احد معاونيه - هنتر  
 (H. Hunter) الى النيل الازرق لمطابقة تراجع احمد فضيل ثم التقدم الى سنار  
 وارصير واحتلالهما • اما بارسونز فقد اتجه الى القضايف واحتلها في ٢٢ سبتمبر  
 (٦ جماد اول ١٣١٦) بعد ان خرجت حامية الانتصار بقيادة النور عنقرة وسلمت  
 نفوسها • واتجه احمد فضيل الى القضايف بعد ان رفض كل العروض - استمر  
 قدمت له للتسليم • وفي ٢٨ سبتمبر (١٢ جماد اول) هاجم القضايف ولكن الحامية  
 البريطانية المتحصنة في القضايف نجحت في صد الانتصار وتراجع احمد فضيل الى

٦٨ الخليفة الى احمد فضيل ، ( بدون تاريخ - ولكنها كتبت بعد واقعة كبرى ) ،

مصرية ، ١ / ٤٢ / ٣ / ٠٤



٦٤ . بار وظل يرسل الدوريات من هناك لقطع أعمال الجهاد بكسلا .

فارسل كشمير تعزيزات إلى القضايف بقيادة المجر رندل (Rundle)

بهدف زعزعة احمد فضل من موقعه . فوصل الجزء الاول من فرقة رندل إلى

القضايف في ٢٢ اكتوبر (٦ جماد ثاني) بقيادة كينسن (J. Kinson)

عند ذلك ادرك احمد فضل ضعف موقعه وخطورة بقاءه في عمار فغادرها فسي

٢٣ اكتوبر (٧ جماد ثاني) قاعدا اللحاق بالخليفة . فسار عن طريق بيلة - الرهد

إلى الروصيرد بنى الحريق هجره ثلثة آلاف من جيشه وانضموا إلى السلطة

الجديدة ٦٥ . وهذا انتهت السلطة المهدية في القضايف .  
منطقة ٦٦

أما القضايف فقد قلم الحصن باحتلالها عندما علموا بنوابة الخليفة فسي

امدراة . يكتب بتراود منقشا إلى القمندان الإنجليزي في القضايف قائلا " لقد

٦٤ نعيم شكير ، ص ١٢١٦

٦٥ يونان ليب زرف ، ص ١٧

٦٦ أما احمد فضل فبعد مغادرته القضايف اتجه إلى الروصيرد . وهناك كان  
هتتر قد ترك حامية بقيادة لويس . وعندما كان احمد فضل يعبر بجيشه ==

دخلنا القلبات بأمر الملك منليك والذي يرغب في خلق علاقات حسنة معكم بغرض فتح الطريق التجاري وإنشاء علاقات تجارية بين السودان والحبشة • وقال لي منليك انه لا يوجد انسي • سوى المحبة بين الحبس والانجليز<sup>٦٢</sup> ثم دارت مفاوضات بين الانجليز والحبس انتهت باخلا\* الحبس للقلبات ودخلتها الجيوش الانجليزية بقيادة مارسونر في ٧ ديسمبر (٢٣ رجب) •

وبما ان حل عام ١٨٩٩ حتى كانت الدولة المهدية قد انهارت في كل المنطقة تعرضت السلطة الاستعمارية الجديدة ظلها على كل منطقة القصارف - القلبات •

== النيل عن طريق شلالات الدمازين هاجمه لومر واسرقتة جيشه الذي كان على الضفة الشرقية ووقع خسائر فادحة في البقية التي كانت تعبر النيل • وفي ٢٦ ديسمبر تمكن احمد فضيل من عبور النيل مع البقية الباقية من جيشه فاتجه بهم غربا الى النيل الابيض • وعند عبوره للنيل الابيض التقى بالوابور الذي كان عائدا من فشودة فسلم جزء\* منه جيشه الى الانجليز • اما احمد فضيل فاتجه غربا للحاق بالخليفة • وعندما ارسل كاشف حملة للقضاء على فلول المهدية بقيادة الخليفة هاجمت تلك الحملة احمد فضيل في الطريق • وفي ٢٤ نوفمبر لقي احمد فضيل مصرعه مع الخليفة في ام ديكرات •

٦٢: نيواد منقلا الى قمتدان القصارف ، ٢٤ يناير ١٨٩٩ (١٢ ريسان ١٣٢٦) ،  
مهدية ، ٢٥١ / ١٦ / ٣٤ / ١

## الفصل السادس

### دولة المهدي في منطقة القصارف - القلابات

#### تلخيص وتقييم

تدور هذه الدراسة حول الدولة المهديّة - سياستها الداخلية وسياساتها الخارجية في منطقة القصارف - القلابات . هي دراسة منطقة او حالة معينة - (case-study) في الدولة المهديّة . فمأى النتائج والاتجاهات التي ابرزتها هذه الدراسة فيما يختص بتركيب الدولة المهديّة وعلاقتها بالامبراطورية الحبشة، وكيف قادت تلك السياسة في اتجاهاتها العامة الى نهاية دولة المهديّة .

ماهى طبيعة الثورة المهديّة ؟ الثورة المهديّة ثورة شعبية بدأت بدعوة بسيطة خالفتة في جزيرة أبا وسرعان ماشرت في كل أنحاء البلاد سريان النار في الهشيم ، وماهى الا سنوات ثلاث او يزدن قليلا حتى اندكت كل معازل الحكم التركي - المصرى وانهارت قلاع الواحدة تلو الأخرى . هى حقاً ثورة شعبية لان أغلب قطاعات الشعب اشتركت فيها بمحض لختيارها . فالمهدى لم يكن موجوداً في كل أنحاء السودان وبالرغم من ذلك استجاب الناس لدعوته . كان يكفى أن يرسل المهدى رسالة من عنده او رسولا من لده حتى يتقبل الناس تلك الرسالة أو يلتفون حول ذلك الرسول . لقد كانت استجابة تلقائية وفعالة وحاسمة . وفى

بعض الأحياء كانوا يلتفون حول أى شخص يرفع راية المهدية بينهم • ففى منطقة  
 القضايف - القلابات نلاحظ هذه الظاهرة بوضوح • فالثورة هناك قامت اما على اكتاف  
 دعاة ارسلهم المهدي من جانبه مثل الحسين عبد الوالد ، او دعاة قاموا بمحض  
 اختيارهم فالتف الناس حولهم مثل محمد ارباب • فلماذا هذه الاستجابة السريعة ،  
 وما الذى قاله المهدي للناس حتى خفوا مستظلمون براية المهدية ويدافعون عنها ؟  
 الذى فعله المهدي هو أن جعل من الدين أداة ثورية أى حول القوانين  
 الدينية الى ايدولوجية ثورية • وهو بهذا استطاع ان يجعل من الدين عاملا موحدا  
 لمختلف قطاعات المجتمع التى كانت تترج تحت نير الحكم التركى - المصرى • ان  
 تقسيم المهدي للمجتمع الى مؤمنين وكفار واعتبار اتباعه هم المؤمنون واعتبار غيرهم  
 من الاثراك والفئات الاخر هم الكفار ، ان هذا التقسيم وضع حدا فاصلا بين  
 الفئات التى يدعوها للثورة والفئات الرجعية • وقدم المهدي بذلك فكرة ثورية  
 لا تشارك مستمدة من ثقافتهم قريبة الى عقلم ووجدانهم • ولذلك فان فكرة الجهاد التى  
 لخص فيها المهدي عقيدته الثورية هى التى دفعت الناس فى مختلف أنحاء البلاد  
 لحمل السلاح والثورة ضد الحكم التركى - المصرى • ولذلك فالحديث عن الدوافع

الدينية الاقتصادية والسياسية كل بمعزل عن الآخر لا يهرى بحق عن طبيعة الحركة المهدية . كل هذه الاسباب موجودة في احشاء الحركة وكل واحد منها يكمل الآخر . والتناقض الذى قد يبرزه بعض الكتاب حول هذه الاهداف هو غشى الحق تناقض كلفى في طبيعة تناولهم لاهداف الثورة لافى طبيعة الثورة نفسها .

على ان المهدي لم يعيش طويلا لشهد الانتقال من مرحلة الثورة السى مرحلة الدولة فى تاريخ المهدية . على ان المهدي كان قد تعرض لبعض القضايا النظرية الخاصة بتنظيم الدولة تمثلت فى كتاباته حول الغنمة وطريقة توزيعها وحول الزكاة وطريقة جمعها . وشهدت الاشهر الاخيرة من حياته بروز بعض القضايا المالية فى منطقة القضايف - القلايات وفى البقاع الاخرى من السودان ، وقد تناول تلك القضايا بالشرح واقترح لها الحلول اللازمة . كما وضع المهدي على ايام حياته اللجنة الاولى فى بناء جيش نظامى تابع للدولة وكان تكوين ذلك الجيش تابع من سياسة المهدي المالية . فالمهدي لذا وضع الاسس النظرية للدولة المهدية وعالج بعض القضايا العملية معتمدا على تلك الاسس مما جعلها مثالا

يحتذى به ، على<sup>١</sup> تلك الاسس وتلك الحلول كانت محددة وفي نطاق ضيق  
 مما رعى على عاتق الخليفة مسئولية التصدي للفتايا الادارية لدولة المهديسة  
 في مدى ثلاثة عشر عاما .

انضم للثورة المهدية في سنواتها الاولى مجموعات مختلفة من قطاعات  
 الشعب — انضم اليها الشرق والغرب والشمال ، اولاد العرب واولاد البلد ،  
 زعماء القبائل وقادة الطرق الصوفية ، ... الخ . ولكن بعد انهيار الحكم  
 التركي — المصري واستقرار الدولة الجديدة اخذت الدولة المهدية ، شأنها  
 شأن أى دولة اخرى ، تلف حول مجموعة معينة من ذلك الخليط العريض .  
 وكانت تلك المجموعات التي التفت حولها الدولة هي المجموعات التي لها مصالح  
 اكبر من غيرها في التغيير الجديد — المجموعات التي فتح لها انهيار الحكم  
 التركي — المصري ابوابا جديدة لتلج منها الى آفاق أكثر رحابة في حياتها  
 ومعيشتها . ولعل تمرد الاشراف الأول ورفضهم الاعتراف بأحقية خلافة عبيد  
 الله التعايشي كان هو الناقل الذي أعلن بداية الاستقطاب في الدولة المهدية

واضعاً اولاد العرب أو البقارة وبالذات التعايشة في شق ، واولاد البلد في شق آخر . فسياسة الخليفة عبد الله طوال سني حكمه كانت تأكيداً لهذا المبدأ ، مبدأ الولاء لحكمه وحكم أهله من التعايشة وقبيلته البقارة .

فتقسم الدولة الى عمالات وتحديد حدود كل عمالة عن الاخرى كان يخضع للولاء للخليفة الذي كان رمز السلطة الجديدة . ولعل عمالة القضايف - القلابات توضح هذا الاساس خير توضيح . فقد ظلت حدود هذه العمالة لا يستقر لها قرار حيناً ثقل وحيناً اخر تزيد تبعاً للعامل أو الامير الذي يعين بها وتبعاً لاحتياجات الدولة فيما يختص بسياساتها نحو القبائل الواردة من الغرب . ولعل موقع القضايف - القلابات بين كسلا والجزيرة قد ساعد في اضطراب حدودها طوال عهد الخليفة . وتغيير الامراء والقواد كان ايضاً يعبر عن تلك السياسة . فالشخصيات القيادية في المنطقة من اولاد البلد والتي كانت موجودة في بدايات الثورة المهدية اخذت تختفي الواحد تلو الآخر . فاختفى الطريفي ، العوضي المرضي ، محمد عثمان حاج خالد ، وحل محلهم قواد من التعايشة أو من

سم أكثر قربا للخليفة من التعاضد فتوالى على المنطقة يونس الدكيم وحمدان والزلكى واحمد على واحمد فضيل وظهرت شخصيات مثل مساعد قيدوم ، حامد ولد على ... الخ . نفس التحول حدث فى الجيوش المربطة فى القلايات وفى القضايف . فامراء الاربعاء ورواس "الميات" بل الجنود انفسهم تحولوا تدريجيا الى تلك الفئات من المجتمع ذات الولاء للخليفة والتي لها / أكثر من مصلحة غيرها فى التحول الجديد . هذه هى السمة الاولى للدولة المهدية .

المظهر الثانى للدولة كان سياستها الاقتصادية المتمثلة فى الغنمة ، الزكاة ، السياسة الزراعية والتجارة . اما الغنمة فكانت من الدوافع الرئيسية للجهاد والجهاد هو المحرك للحروب الداخلية والخارجية ضد اعداء الله . ولعل منطقة القضايف - القلايات كانت أكثر تعرضا لاغراض الغنمة من المناطق الاخرى لانها كانت تزخر بتلك الحروب بالذات الحروب ضد الحبشة . ولذلك كان الصراع حول الغنمة وامتلاكها أكثر حدة فى هذه المنطقة من المناطق الاخرى وكانت الغنمة سببا فى سقوط هذا الامير وذاك .



أما الزكاة أو حقوق الله كما كانت تعرف في دولة المهديّة ، فقد حددها المهدي وفق الأسس المتعارفة في الفقه الإسلامي ، وسار الخليفة على نهج المهدي مع بعض المرونة التي تقتضيها الظروف المتجددة في الدولة . إلا أن الطريقة التي كانت تجمع بها الزكاة كانت تمثل مشقة على الناس وغثا لهم في حياتهم وكثيرا ما اضطر الخليفة لرفع العمال عن كاهل الناس . بل أن الخليفة كان يعنى الناس أحيانا من حقوق الله هذه حتى لا تشكل حاجزا بينهم وبين استمرار حياتهم اليومية أو تعوقهم عن القيام بمهام الزراعة .

وقد اهتم الخليفة بالزراعة إلا أن سياسته الزراعية كانت تخضع للظروف السياسية والحربية . فعصره مع القبائل مثل الشكرية والضبانية وترحيل أهلها النعاشية من الغرب ووقف الجزيرة لإطعام الملازمين كلها أثرت بشكل مباشر على الزراعة . كما أن الجيوش المربطة على الحدود فاقمت من مشكلة الغذاء . ويمكننا أن نقول إذا ، أن مجاعة ١٣٠٦ هـ كانت نتيجة حتمية لهذه السياسة . وبعد عام ١٣٠٦ هـ اضطر الخليفة لتعديل سياسة الزراعة فأعطى اهتماما أكبر

باستقرار القبائل ومشاركتها فى عملية الزراعة و انتاج الطعام •

وكان موقف الخليفة واضحا بالنسبة للتجار الوافدين من الشمال من مصر •

فهو يعتبرهم جواسيسا وكان يشك كثيرا فى نواياهم ولذلك لم يشجع التجارة مع

مصر • على ان هذا الشك لم يقتصر على التجارة مع مصر فحسب ، بل امتدت

بعض ظلاله لتأثر على التجارة مع الحبشة • ولكن موقف الخليفة منها لم يكن

متشددا بقدر تشدده فيما يختص بجهة الشمال ، ولذلك اتعفت سياسة الخليفة

التجارية فى جهة القلايات بالتأرجح فحينما يسمح باستمرارها وحينما آخر ينهسى

عنها ويحذر من المكادة والنقادة • على ان العلاقة التجارية ظلت دائما فى

تصاعد حتى وصلت مرحلة فكر فيها الخليفة ان يدخل بنفسه فى العملية التجارية •

وبالنسبة للسياسة القبلية فان منطقة القضايف - القلايات تمثل نموذجا

حيا لتلك السياسة . ففي هذه المنطقة توجد قبيلة الشكرية وقبيلة الضبانية وهما من

اكبر القبائل السودانية فى ذلك الوقت • لقد وقعت هاتان القبيلتان موقعا مؤيدا

للثورة المهدية فى سنواتها الاولى وان كان تأييدهما لم يخل من تردد • ولكن

ما ان بدأ الخليفة يمارس سياسته الداخلية الخاصة بالاعتماد على اهله من التعايشة

وعلى البقارة عموماً ، وما ان وضع لهما الاتجاه الجديد للدولة الفتية ، وما ان بدأت مالحتهما الاقتصادية الموروثة من العهد التركي — المصري تنقلص حتى جنح زعماء قبيلتين للمعارضة فيرمقدين للتحويلات الجديدة ومراكز القوة المستى فرضت نفسها على مسرح الحياة السياسية . فاضطر الخليفة للقضاء عليهما عبر مراحل مريرة من الصراع انهكت دولة المهديدي سياسياً واقتصادياً . وما كان للخليفة ان يفعل غير ذلك والا لاصبح مركزه وخلفته نهياً للاطماع السياسية والتحديات القبلية التي اكتنفت الدولة المهديدي بعد وفاة المهدي .

على ان الخليفة بفطرته السياسية ادرك خطورة المضي في هذا الطريق الوعر — طريق معاداة القبائل التي تجهد عطية الزراعة . فرأى اعادتها الى قواعد الاقتصادية في مناطق الزراعة بعد تجريدتها من قوتها السياسية والعسكرية . ولكن تلك العودة كانت عبر بحر من الدماء هو الذي خضب الدولة المهديدي بتلك الصورة الدائمة التي جعلت الكثير من السودانيين ينحون فيها على الخليفة باللائمة ويحطونه نتيجة الصراع الحاد بين اولاد العرب واولاد البلد .

وكان من نتيجة تلك السياسة القبلية في منطقة القضايف — القلايات  
 ان انقسمت قبيلة الشكرية الى شقين ، وكان من نتائجها ايضا ان اضعفت  
 قبيلة الضبانية حتى فقدت وجودها المستقل وذابت بين الشكرية وقبيلة بكر  
 على ايما هذه .

وما تقدم يمكننا ان نلمح الخطوط العريضة للتركيب العسكرى لدولة  
 المهديّة ، اى الجيوش التى تكونت تحت ظلها وطبيعة تلك الجيوش . ففسد  
 كانت الدولة المهديّة منذ قيامها وحتى نهايتها دولة ذات طابع عسكرى . فقد  
 كانت اغلب امراء المهديّة ان لم يكن كلهم قوادا عسكريين يسيطرون على  
 مجموعات من المقاتلين . فالصراعات الداخلية والخطر الخارجى فرضا على الدولة  
 المهديّة هذا الطابع . فمماذ ان أعلن المهديّ دعوته فى قدير وحتى هزيمة  
 الخليفة فى كبرى ، عيرسبعة عشر سنة كانت الدولة المهديّة فى حالة حرب ،  
 ما ان تنتهى من معركة حتى تدخل من لخرى يدفعها حماس الدعوة والغنمة  
 فى بادى الامر وتدفعها الرغبة على المحافظة على كيانها داخليا وخارجيا ففى

نهاية الأمر • وقد فرضت هذه الطبيعة العسكرية ظلا قاسيا على الدولة المهدية أدى إلى ذلك الاستقطاب الذي قسم الدولة إلى شقين ، كما أدى/التدهور الاقتصادي الذي أدى إلى ازدياد تدهورها •

وكانت من نتيجة ذلك الصراع أن تكونت في ظل الدولة المهدية جيوش عديدة أصبحت تتمثل في نوعين من المقاتلين ، الجهادية وهم الجنود المحترفون حملة الأسلحة النارية ، وأولاد العرب من القبائل الموالية لحكم الخليفة والستى حملت معها من مواطنها طبيعتها الحربية وأسلحتها • وكان لهذه الجيوش وضع ممتاز في المهدية • أما الذين ظلوا خارج هذا الإطار فهم مواطنون من الدرجة الثانية •

وطيه فان السياسة الادارية والاقتصادية والقبلية والعسكرية قادت ، وبالضرورة ، إلى اضعاف كيان الدولة المهدية وجعلها عرضة للغزو الاستعماري الذي كان يترص بها خلال مايقرب من حقبتين • فمادنا عن السياسة الخارجية لدولة المهدية والتي كانت تمثل المظهر الثاني لنشاطها •

كانت سياسة دولة المهديّة سياسة قتالية لاتقبل حلا وسطا بين امو من  
والكافر . وكان من الممكن ان تكون الدولة المصريّة والانجليز الذين كانوا يحتلونها  
هم الاعداء الاساسيين لدولة المهديّة . ولكن دخول الحبشة منذ السنوات الاولى  
للثورة المهديّة بجانب الحكومة المصريّة خلق جبهة جديدة على شرق الدولة  
المهديّة ، وطبقت الدولة المهديّة قانونها القاسى على الحبشة القانون الذى  
يفرق بين المو من والكافر تفريقا حادا . ويرى سيمرنوف ان دخول  
الحبشة فى الصراع كان بايعاز من بريطانيا التى رأت ان القضاء على الدولة  
المهديّة لايمكن ان يتم بدون اضعافها وانهاكها بالحروب المستمرة<sup>١</sup> . وبالرغم  
من ان هذا الرأى يحتاج الى دراسة عميقة وهو يدخل ضمن السياسة البريطانيّة  
فى الحبشة فى اواخر القرن الماضى ، الا انه من الممكن ان نلاحظ بواحد هذه  
السياسة دون الالتزام بها . فخطاب الامبراطور يوحنا الى الخليفة الذى

---

١ سيمرنوف ، ص ٨٣-٩٣

يخبره فيه بانصالي الانجليز به وطلبهم له بأن يدخل في حرب مع المهدية  
 يشير الى هذا الاتجاه . وهما كانت دوافع الحبشة فان دخولها في الصراع  
 ضد الدولة المهدية اضعف من تلك الدولة وزاد من مشاكلها ثقلا على  
 ثقل .

على ان السياسة الخارجية لدولة المهدية تجاه الحبشة لم تمر في  
 خط مستقيم فقد اعترتها فترات صعود وهبوط . بدأت العلاقة بالحرب وسارت  
 في هذا الطريق حتى وصلت قمته في معركة القلايات الكبرى التي <sup>قتل</sup> بها الملك  
 يوحنا . ثم تلتها فترة طويلة من المفاوضات والحروب الصغيرة والغزوات تتخللها  
 بعض الاشرقات السلمية والعلاقات التجارية ، وانتهت الى مفاوضات بغرض  
 احلال السلام بين البلدين والوصول الى نوع من الاتفاق حال دون الوصول  
 اليه الجيوش الزلخفة من الشمال .

اما إيطاليا فقد لعبت بحق دورها في تشتيت المجهودات الحربية  
 لدولة المهدية . وبالرغم من ان الدولة المهدية لم تصطدم لصطداما عنيفا مع

إيطاليا ، إلا أن الوجود الإيطالي قد ازدهر الخليفة كثيرا • وكانت كسلا نقطة  
من نقاط الانطلاق التي دخل بها الجيش الانجليزى - المصرى الى  
السودان •

إن منطقة القصارف - القلابات تمثل فصلا هاما من فصول الدولة  
المهدية • وقد كانت مسرحا هاما لنشاط داخلى وخارجى واعطتنا بحق مثالا  
حيا لعلنا نرى تفهم الطبيعة الكاملة للدولة المهدية •



المصادر

١ - وثائق المهدية

(١) القسم الأول

- ٤ / ١ رسائل الزاكي طمل الى الخليفة  
 ٦ / ١ رسائل حامد علي الى الخليفة  
 ٢٠ / ١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة واحمد فضيل  
 ٢١ / ١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة واحمد فضيل  
 ٢٢ / ١ رسائل يونس الدكيم الى الخليفة  
 ٢٥ / ١ رسائل الخليفة الى حمدان ابى عنجة  
 ٢٦ / ١ رسائل الخليفة الى حمدان ابى عنجة  
 ٢٧ / ١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف والزاكي طمل واحمد  
 علي من طرف لآخر  
 ٢٨ / ١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحمدان ابو عنجة  
 واحمد علي من طرف لآخر

١ لم أذكر الأرقام التفصيلية للوثائق اكتفاء بالتفاصيل الواردة في الشواهد والخاصة  
 بكل وثيقة . فالأرقام الأولى تمثل نعمة المجموعة كلها والأرقام الثانية تمثل المجموعات  
 الصغيرة التي تشمل عددا من الوثائق .

- ٢١ / ١ رسائل حمدان ابو عنبجة الى الخليفة
- ٢٤ / ١ الرسائل المتبادلة بين الخليفة من طرف وحاكم الحبشة والايطاليين
- من طرف آخر
- ٤٢ / ١ رسائل الخليفة بعد سقوط الخرطوم

## (٢) القسم الثاني

- ١ / ٢ قوائم بالجنود
- ٥ / ٢ رسائل من الخليفة الى أشخاص مختلفين
- ٦ / ٢ مختلفة
- " ٢ / ٢
- " ٩ / ٢
- " ١٠ / ٢
- " ١١ / ٢
- " ١٣ / ٢
- " ١٥ / ٢
- " ١٦ / ٢
- " ١٧ / ٢
- " ١٨ / ٢

مختلفة	١٦ / ٢
"	٢٠ / ٢
"	٢١ / ٢
"	٢٢ / ٢
"	٢٣ / ٢
"	٢٣ / ٢
"	٢٤ / ٢
"	٢٥ / ٢
"	٢٦ / ٢
"	٢٧ / ٢
"	٢٨ / ٢
"	٢٩ / ٢
"	٣٠ / ٢
"	٣١ / ٢
"	٣٣ / ٢
"	٣٤ / ٢
"	٣٥ / ٢

مختلفة	۳۶/۲
"	۳۷/۲
"	۳۹/۲
"	۳۱/۲
"	۴۰/۲
"	۴۱/۲

(۱) دفاتر الصادر

۱	دفتر صادر
۲	دفتر صادر
۳	دفتر صادر
۴	دفتر صادر
۵	دفتر صادر
۷	دفتر صادر
۹	دفتر صادر
۱۱	دفتر صادر
۱۲	دفتر صادر
۱۳	دفتر صادر

دفتري صادر ١٥

دفتري صادر ١٧

(٤) القسم الثامن من وثائق المهدية

١- اسماعيل بن عبد القادر الكردفاني ، الطراز المنقوش ببشري قتل يوحنا

• ملك الحبوش

٢- وثائق حيدرآباد ٥/٨ قلم

(٥) تقرير البكباشي سعد رفعت

(ب) مراجع عربية

ابراهيم فوزي • السودان بين يدي غردون وكشنر (جزءان) ، القاهرة ،

١٣١٩هـ

يوسف ميخائيل • مخطوط غردون في السودان ، تحقيق الدكتور صالح محمد

نور (رسالة دكتوراة لجامعة لندن - غير منشورة) ، ١٩٦٢ •

الطاهر عبد الكريم • ود زايد شحم السبل • بيروت ، ١٩٦٨

- فيليب رفلر • الجغرافيا السياسية لأفريقية • القاهرة ، ١٩٦٥
- محمد إبراهيم أبو سليم • منشورات المهدي • بيروت ، ١٩٦٩
- محمد فؤاد شكرى • مصر والسودان : تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن  
التاسع عشر : ١٨٢٠-١٨٩٩ • مصر ١٩٦٣
- مكي شبكة • السودان عبر القرون • بيروت ، ١٩٦٥
- نعيم شقير • جغرافية وتاريخ السودان • بيروت ١٩٦٧
- يونس لبيب رزق • السودان في عهد الحكم الثنائي الأول ١٨٩٩-١٩٢٤ •  
٩٩ رسالة دكتوراه لجامعة عين شمس - غير منشورة (١٩٦٧) •
- عبد الله علي إبراهيم • الصراع بين المهدي والعلماء • شعبة أبحاث السودان  
كلية الآداب - جامعة الخرطوم ١٩٦٨ •

### ج- مقالات عربية

- محمد سعيد القدال ، الطراز المنقوش مجلة الدراسات السودانية العدد  
٢ المجلد (١) يونيو ١٩٦٩ ص ١٤٠ - ١٤٥
- سمير نوف ، س . ر • عصيان المهدي في السودان - (ترجمة محمد إبراهيم نقد ،  
غير منشورة) •

- Abu Saleem, Mohamad Ibrahim : The Central Archives and Possibilities of Research. A Paper Presented to the Philosophical Society of the Sudan (1964).
- Barbour, K.M. : The Republic of the Sudan : A Regional Geography. London, 1961.
- Carlson, Lucile. Africa's Lands and Nations. New York, 1967.
- Hill, Richard. Egypt in the Sudan, 1820-1881. London, 1959.
- \_\_\_\_\_. A Bibliography of the Anglo-Egyptian Sudan from the Earliest Times to 1937. London.
- Holt, P.M. : The Archives of the Mahdia. London 1955.
- \_\_\_\_\_. The Mahdist State in the Sudan, 1881-1898. Oxford, 1958.
- \_\_\_\_\_. A Modern History of the Sudan. London, 1961.
- Jones, A.H. and Elizabeth Monroe. A History of Ethiopia. Oxford, 1962.
- Neufild, C. A Prisoner of the Khalifa. London, 1899.
- Perham, Margerg. The Government of Ethiopia. London 1947.
- Sanderson, G.N. England, Europe and the Upper Nile, 1882-1899. Edinburgh, 1965.
- Shibeika, Mekki. British Policy in the Sudan. London 1952.
- Slatin, R.C. (Von). Fire and Sword in the Sudan. London 1896.
- Theobald, A.B. The Mahdia : A History of the Anglo Egyptian Sudan. London 1951.
- Wingate, F.R. Ten Years Captivity in the Mahdi's Camp, 1882-1892. London 1892.

- \_\_\_\_\_ . Mahdism and the Egyptian Sudan. London, 1891.  
Trimingham, J. Spencer, Islam in Ethiopia. London, 1965.

### هـ - مقالات بالانجليزية

#### Sudan Notes & Records (S.N.R.)

- Cumming, D.C. "The History of Kassala and the Province of  
Take," SNR, Vol. XX, Part I (1937), 1-45.  
Reid, J.A. "The Mahis Emirs," SNR, XX Part II, (1937),  
308-312.  
Sanderson, G.N. "Emir Suliman Abu Ingar Abdalla?" SNR, Vol.  
XXXV, Part I, (1954), 22-71.  
SNR, "The History of Gallabat," Vol. VII, No I (1920),  
93-101.  
Theobald, A.B. "The Khalifa Abdallahi," SNR, Vol. XXXI  
(1980), 254-273.

#### The Journal of African History (JAH)

- Marcus "Ethio-British Negotiations concerning the Western  
Boardu with Sudan, 1896-1902," J.A.H., Vol. IV  
(1963), 81-94.  
al-Naqqar, Umar "Takrur : History of A name," JAH, Vol. X,  
No 3 (1969) 365-374.  
Sanderson, G.N. "The Foreign Policy of Negus Menelik II :  
1896-1898," JAH, Vol V (1964), 87-97.



Journal of Ethiopia History (JEH)

Pankhurst, Richard "The Trade of Northern Ethiopia in the Nineteenth and Early Twentieth Centuries," JEH, Vol. II, (January) 1964), 49-159.

Bulletein of the School of Oriental and African Studies

Holt, P.M. "The Sudanese Mahdia and the outside world," SOAS, Vol. XXI (1956), 276-290.